



رحلة ابن بطوطة

المسماة

تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار

تأليف

شمس الدين أبي عبد الله محمد بن عبد الله اللواتي الطنجي

المجلد الثالث



أسد الدين محمد

مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية
سلسلة «التراث»

رحلة ابن بطوطة

المسماة

تحفة النظر
في غرائب الأمصار
وعجائب الأسفار

تأليف

شمس الدين أبي عبد الله محمد بن عبد الله اللواتي الطنجي

قدّم له وحققه ووضع خرائطه وفهارسه

عبد الهادي التازي

عضو أكاديمية المملكة المغربية

المجلد الثالث

1417 هـ / 1997 م

أكاديمية المملكة المغربية

شارع الإمام مالك، كلم 11، ص.ب. 5062

الرمز البريدي 10.100

الرباط - المملكة المغربية

تليفون : 75.51.24 / 75.51.13

75.51.89 / 75.51.35

فاكس : 75.51.01

محتوى الكتاب من مصطلحات

وتعليقات وخرائط وصور

يلزم المحقق وحده

حقوق الطبع محفوظة للأكاديمية

رقم الإيداع القانوني : 1997/321

ردمك 006-0-46-9981 (المجموعة)

ردمك 9981-46-009-5 (الجزء الثالث)

الفصل التاسع

آسيا الوسطى

- ❑ الاتجاه إلى خوارزم عبر سراجوق
- ❑ أولية التتر وتخريباتهم
- ❑ أخبار علاء الدين طرْمُشَرين سلطان تركستان وماوراء النهر
- ❑ مدينة سمرقند ...
- ❑ بين مسجد بلخ وجامع رباط الفتح !
- ❑ مدينة هرات وسلطانها والحديث عن السنة والشيعة
- ❑ من الجام إلى بسطام
- ❑ وداع خراسان إلى بلاد الهند.

خريطة آسيا الوسطى

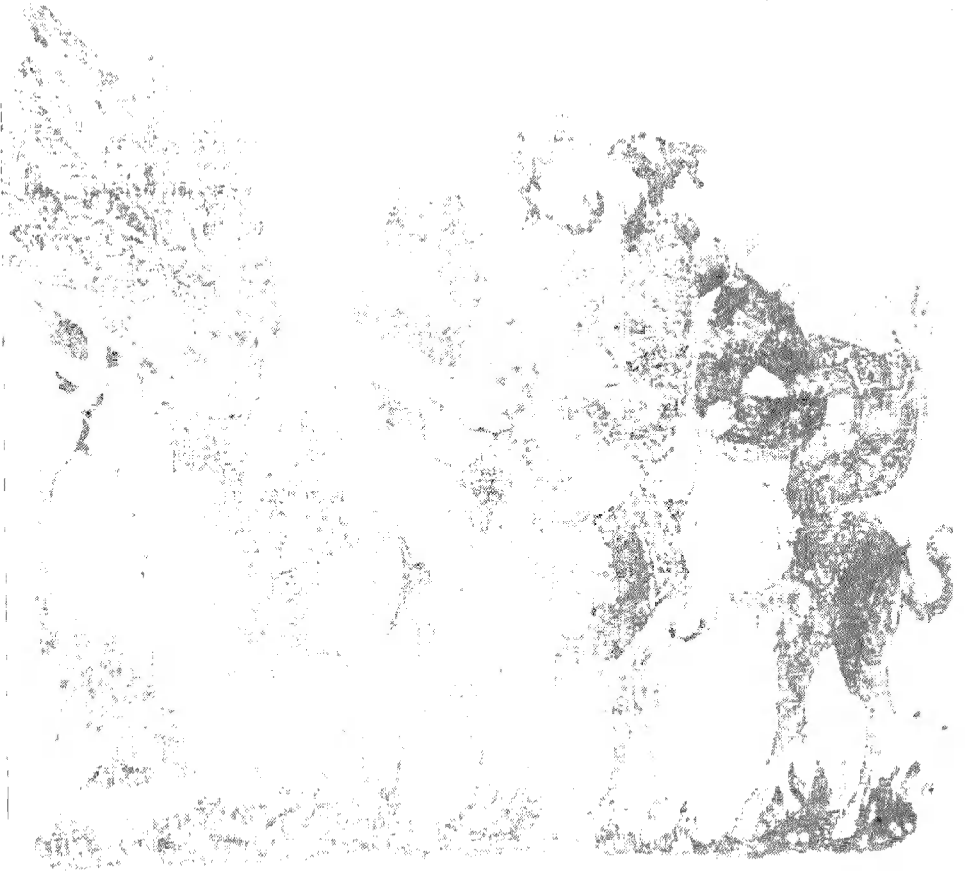


فسرنا من السُّرا عشرة أيام، فوصلنا إلى مدينة سَرَا جُوق، وجوق بضم الجيم المعقود وواو وقاف، ومعنى جوق صغير، فكانهم قالوا : سرا الصغيرة، وهي على شاطئ نهر كبير زَخَّار يقال له أَلُوْصو بضم الهمزة واللام وواو ومد وضم الصاد المهمل وواو، ومعناه الماء الكبير (1) وعليه جسرٌ من قوارب كجسر بغداد، وإلى هذه المدينة انتهى سفرنا بالخيال التي تجر العربات ويعناها بها بحساب أربعة دنائير دراهم للفرس وأقل من ذلك لأجل ضعفها ورخصها بهذه المدينة واكثرنا الجمال لجر العربات.

وبهذه المدينة زاوية لرجل صالح معمر من الترك، يقال له أظا بفتح الهمزة والطاء المهمل، ومعناها الوالد، أضافنا بها ودعا لنا، وأضافنا أيضا قاضيها ولا أعرف اسمه، ثم سرنا منها ثلاثين يوماً سيرا جادا لا ننزل إلا ساعتين إحداهما عند الضحى والأخرى عند المغرب، وتكون الإقامة قدر ما يطبخون الدُّوقي ويَشربونه، وهو يطبخ من غلية واحدة ويكون معهم الخليع (2) من اللحم، يجعلونه عليه ويصبون عليه اللبن، وكل إنسان إنما ينام أو يأكل في عربته حال السير. وكان لي في عربتي ثلاث من الجواري، ومن عادة المسافرين في هذه البرية الإسراع لقلّة أعشابها، والجمال التي تقطعها يهلك معظمها وما يبقى منها لا ينتفع به إلا في سنة أخرى بعد أن يسمن والماء في هذه البرية في مناهل معلومة بعد اليومين والثلاثة، وهو ماء المطر والحسيان.

(1) سراجوق هي بالذات سرايتشيك (SARAICHIQ) الحالية على بعد 40 ميلا من مصب نهر أورال (l'Oural)، المسمى أولو سو (ULU-SU) من لدن الأتراك، يعني النهر الكبير والمسمى يايك (YAYIK) من قبل الجغرافيين العرب..

(2) الخليع من الكلمات المغربية الغير المتداولة في جهات أخرى، ويتعلق الأمر بنوع من اللحوم المصبرة على الطريقة التالية، تؤخذ شرائح من لحوم العجل أو الخروف على شكل قديد وتنقع في التوابل : أبزار، ثوم، ملح، قزبر، بعد هذا تشمس جيدا وتلقى في طناجير كبيرة مضافا إليها طبعاً زيت الزيتون وقطع مختارة من الشحم... إلى جانب الماء... وتتم هذه العملية عند الصيف ولها طقوس خاصة في قواعد المغرب وخاصة مدينة فاس ومراكش... وهكذا يتوفر معظم البيوت على خوابي من الخليع تقصدها العائلة عندما يطرأ صيف وخاصة في فصل الشتاء حيث يتعذر الخروج... ومن العادة أن الأسر تتهاداه فيما بينها عند الحاجة - أنظر معجم دوزي



الجميل سفينة الصحراء.
عن مقامه الحبري 1 المكتبة الوطنية بباريس

ثم لما سلكنا هذه البرية وقطعناها، كما ذكرناها، وصلنا إلى خوارزم، وهي أكبر مدن الأتراك وأعظمها وأجملها وأضخمها لها الأسواق المليحة، والشوارع الفسيحة، والعمارة الكثيرة، والمحاسن الأثيرة، وهي ترتج بسكانها لكثرتهم، وتموج بهم موج البحر، ولقد ركبت بها يوماً ودخلت السوق فلمّا توسطته، وبلغت منتهى الزحام في موضع يقال له الشُّور (1)، بفتح الشين المعجم واسكان الواو. لم أستطع أن أجوز ذلك الموضع لكثرة الازدحام، وأردت الرجوع فما أمكنتني لكثرة الناس، فبقيت متحيراً وبعد جهد شديد رجعت

4/3

وذكر لي بعض الناس أن تلك السوق يخفّ زحامها يوم الجمعة لأنهم يسدّون سوق القيسارية وغيرها من الأسواق، فركبت يوم الجمعة وتوجّهت إلى المسجد الجامع والمدرسة، وهذه المدينة تحت إمرة السلطان أورُبِك، وله فيه أمير كبير يسمى قُطْلُوْدُمُور (2)، وهو الذي عمّر هذه المدرسة وما معها من المواضع المضافة، وأما المسجد فعمّره زوجته الخاتون الصالحة تُرَابِك (3) بضم التاء المملوّة وفتح الراء وألف وبك بفتح الموحدة والكاف

وبخوارزم مارستان له طبيب شامي يعرف بالصهيوني نسبة إلى صهيون من بلاد

(3) يلاحظ أن ابن بطوطة سكّت هنا عن شكل الكلمة على خلاف عادته، ويقول ياقوت أن الخاء بين الضمة والفتحة والألف مسترقة مختلصة ليست بألف صحيحة، هكذا يلفظون به، وخوارزم ليس اسماً للمدينة، إنما هو اسم للإقليم بجملته، يقول ياقوت فاما القصبة العظمى فقد يقال لها اليوم الجرجانية، وأهلها يسمونها (كُرْكَانِج) ويقول عن الجرجانية، إنها مدينة عظيمة على ذلك نهر جيحون (AMUDARYA) وهي بالذات (URGENTCH) فغيرت إلى الجرجانية، وقد جاءها ياقوت سنة 616=1219 فوصف بردها الشديد، ونقل عن البشاري المقدسي أنها أي خوارزم في المشرق كسجل ماسة في الغرب وطباع أهلها مثل طبع البربر... وقال وكانت قصبتها قديماً تسمى المنصورة... ثم انتقل أهلها إلى الجرجانية، والجدير بالذكر أن نبيه إلى أن ياقوت نقل عن رحلة السفير ابن فضال حول خوارزم... ويلاحظ العمري أن الأتمان كانت متشابهة تقريباً مع سراي وأن المركزين معاً كانا يستعملان نفس المقاييس والمكاييل.

(4) الشُّور : اسم خوارزمي ويعني بالفارسية الحركة والهيجان - حول القيسارية انظر ج 1، 151 تعليق 94

(5) قُطْلُوْدُمُور (QUTLUGH - Tomur) كان في صدر الذين آمنوا أورُبِك خان على الاستيلاء على الحكم عام 713=1313 وكان مكلفاً بإدارة المملكة ولم يلبث أن سمي حاكماً على خوارزم.

(6) يوجد ضريح تُرَابِك الخاتون داناً في مقبرة في الجرجانية، أنظر آثار الإسلام التاريخية فيما كان يعرف بالاتحاد السوفييتي - حول صهيون من بلاد الشام ج 1، 160 تعليق 125

الشام، ولم أر في بلاد الدنيا أحسن أخلاقاً من أهل خوارزم، ولا أكرم نفوساً ولا أحب في الغرباء (7).

ولهم عادة جميلة لم أرها لغيرها، وهي أن المؤذنين بالمساجد يطوف كل واحد منهم على دور جيران مسجده معلماً لهم بحضور الصلاة (8)، فمن لم يحضر الصلاة مع الإمام ضربته الامام بمحضر الجماعة، وفي كل مسجد دُرّة معلقة برسم ذلك، ويفرم خمسة دنائير تنفق في مصالح المسجد، أو تطعم للفقراء والمساكين، ويذكرون أن هذه العادة عندهم مستمرة على قديم الزمان.

ويخرج خوارزم نهر جيحون أحد الأنهار الأربعة التي من الجنة (9)، وهو يجمد في أوان البرد كما يجمد نهر إتل: ويسلك الناس عليه، وتبقى مدة جموده خمسة أشهر (10). وربما سلكوا عليه عند أخذه في الذوبان فهلكوا!

ويسافر فيه في أيام الصيف بالمراكب إلى ترمذ ويجلبون منها القمح والشعير، وهي مسيرة عشر للمنحدر.

ويخرج خوارزم زاوية مبنية على تربة الشيخ نجم الدين الكُبرا، وكان من كبار الصالحين (11)، وفيها الطعام للوارد والصادر، وشيخها المدارس سيف الدين ابن غصّبة من

(7) ابن بطوطة هنا يرد الاعتبار لأهل خوارزم الذين نال منهم اللحاح في شعره

ماهم وحق الله غير بهائم !	ما أهل خوارزم سلالة آدم
وثيابهم وكلامهم في العالم ؟	أبصرت مثل خفافهم ورؤوسهم
فالكلب خير من أبينا آدم "	أن كان برضاهم أبونا آدم

باقوت في معجم البلدان

(8) ظلت هذه العادة معروفة في بخارى إلى العصور الأخيرة على ما حكى لنا عند زيارة المنطقة

(9) نهر جيحون نهر أمو دريا (AMU DARYA) ونهر إتل هو الفولكا على ما تقدم.

(10) بقي ابن فضلان في الجرجانية (URGENTCH) طوال شهرين من شعبان رمضان 309 هـ/ديسمبر 921 إلى يناير 922 وقد قال بهذه المناسبة: وجمد جيحون من أوله إلى آخره وكان سمك الجمد سبعة عشر شبراً، وكانت الخيل والبغال والعجل تجتاز عليه كما تجتاز على الطرق وهو ثابت لا يتخلخل فاقام على ذلك ثلاثة أشهر !

(11) نجم الدين الكُبرا رجل صالح صوفي سُهر وردّي الطريقة ومؤسس طريقته الخاصة المعروفة بالطريقة الكُبروية التي لا تزال قائمة حتى أيامنا هذه . . . وقد قتل من لدن المغول عند احتلالهم للجرجانية عام 617=1221 وما يزال قبره مزاراً للناس هناك

البافعي مرآة الجنان وعبرة اليقظان فيما يعتبر من حوادث الزمان.

د.ف. بارشولوف - تركستان، نقله عن الروسية صلاح الدين عثمان هاشم - الكويت 1981
صفحة 126-536 614-616 663، انظر تعليق الناشرين D.S. ج III ص 451

كبار أهل خوارزم، وبها أيضا زاوية شيخها الصالح المجاور جلال الدين السمرقندي من كبار الصالحين أضافنا بها، وبخارجها قبر الإمام العلامة أبي القاسم محمود بن عمر الرّمخسري (12) وعليه قبّة، وزمخشر. قرية على مسافة أربعة أميال من خوارزم، ولما أتيت هذه المدينة نزلت بخارجها وتوجّه بعض أصحابي إلى القاضي الصدر أبي حفص عمر البكري (13)، فبعث إلي نائبه نور الاسلام فسلم علي، ثم عاد إليه ثم أتى القاضي في جماعة من أصحابه فسلم علي، وهو فتى حدث السن، كبير الفِعال وله نائبان أحدهما نور الإسلام المذكور والآخر نور الدين الكرمانى من كبار الفقهاء، وهو الشديد في أحكامه، القوي في ذات الله تعالى.

7/3

ولما حصل الاجتماع بالقاضي، قال لي: إن هذه المدينة كثيرة الزحام ودخولكم نهاراً لا يتأتى، وسيأتى إليكم نور الإسلام لتدخلوا معه من آخر الليل فقلنا ذلك ونزلنا بمدرسة جديدة ليس بها أحد، ولما كان بعد صلاة الصبح أتى إلينا القاضي المذكور، ومعه من كبار المدينة جماعة منهم مولانا همام الدين ومولانا زين الدين المقدسي، ومولانا رضي الدين يحيى، ومولانا فضل الله الرضوي، ومولانا جلال الدين العمادي، ومولانا شمس الدين السنجري إمام أميرها، وهم أهل مكارم وفضائل، والغالب على مذهبهم الاعتزال (14) لكنهم لا يظهرونه لأن السلطان أوزبك وأميره على هذه المدينة قتلودمور من أهل السنة.

8/3

وكنّت أيام إقامتي بها أصلي الجمعة مع القاضي أبي حفص عمر المذكور بمسجده، فإذا فرغت الصلاة ذهب معي إلى داره وهي قريبة من المسجد فأدخل معي إلى مجلسه وهو من أبداع المجالس فيه الفرش الحافلة وحيطانه مكسوة بالملف وفيه طيقان كثيرة، وفي كل طاق منها أواني الفضة المموّهة بالذهب والأواني العراقية، وكذلك عادة أهل تلك البلاد أن يصنعوا في بيوتهم، ثم يأتي بالطعام الكثير، وهو من أهل الرفاهية والمال الكثير والرباع وهو سلف الأمير قتلودمور متزوج بأخت امرأته واسمها جيغا أغا، وبهذه المدينة جماعة من الوعاظ والمذكّرين أكبرهم مولانا زين الدين المقدسي والخطيب مولانا حسام الدين المشاطي الخطيب المصقع أحد الخطباء الأربعة الذين لم أسمع في الدنيا أحسن منهم.

9/3

(12) محمود الرّمخسري ولد في زمخشر من قرى خوارزم وسافر إلى مكة فجاور بها زمناً فلقب بجار الله، ثم عاد إلى الجرجانية، من مدن خوارزم فتوفي بها عام 538=1144 من أشهر كتبه الكشف في تفسير القرآن وأساس البلاغة، ومعجم عربي فارسي الخ. وكان معتزلي المذهب، شديد الإنكار على المتصوفة.

(13) هو حسام الدين الصدر (اختصار صدر الدين علي ما يبدو) وهو يعني هنا قاضي القضاة في شرق فارس وفيما وراء النهر (TRANSOXIANE) بارتولد تركستان ص 477-485-508.

(14) من الطريف أن نجد ابن بطوطة يتعاطف مع المعتزلة هنا على ما نعرفه من تمسكه بالمذهب السني.

وأَمِير خوارزم هو الأمير الكبير قُطْلُوذُمُور، وقُطْلُو بضم القاف وسكون الطاء المهمل وضم اللام، ودُمُور بضم الدال المهمل والميم وواو مد وراء، ومعنى اسمه الحديد المبارك، لأن قُطْلُو هو المبارك ودُمُور هو الحديد، وهذا الأمير ابن خالة السلطان المعظم محمد أوزبك، وأكبر أمرانه وهو واليه على خراسان، وولده هارون بك متزوج بابنة السلطان المذكور التي أمها الملكة طَيْطُغُلي المتقدم ذكرها، وأمراته الخاتون تَزَابِك صاحبة المكارم الشهيرة.

ولما أتاني القاضي مسلماً عليّ كما ذكرته، قال لي: إن الأمير قد علم بقدمك وبه بقية مرض يمنعه من الإتيان إليك، فركبت مع القاضي إلى زيارته وأتينا داره فدخلنا مشوراً صغيراً فيه قبة خشب مزخرفة قد كُسيّت حيطانها بالملفّ الملون، وسقفها بالحريز المذهب والأمير على فرش له من الحريز وقد غُطّي رجليه لما بهما من النقرس، وهي علة فاشية في الترك، فسلمت عليه وأجلسني إلى جانبه، وقعد القاضي والفقهاء وسألني عن سلطانه الملك محمد أوزبك وعن الخاتون بَيَلُون وعن أبيها، وعن مدينة القسطنطينية فأعلمته بذلك كلّ ثم أوتي بالمواد فيها الطعام من الدجاج المشوية والكراكي وأفراخ الحمام وخبز معجون بالسمن يسمونه الكَلِيجا (15) والكعك والحلوى، ثم أوتي بموائد أخرى فيها الفواكه من الرمان المحبب، في أوان الذهب والفضة، ومعه ملاعق الذهب، وبعضه في أواني الزجاج العراقي، ومعه ملاعق الخشب، ومن العنب والبطيخ العجيب. ومن عوائد هذا الأمير أن يأتي القاضي في كلّ يوم إلى مشوره فيجلس بمجلس معدّ له ومعه الفقهاء وكتابه ويجلس في مقابلته أحد الأمراء الكبراء ومعه ثمانية من كبراء أمراء الترك وشيوخهم يسمون الأرغجية (16) ويتحاكم الناس إليهم، فما كان من القضايا الشرعية حكم فيها القاضي، وما كان من سواها حكم فيها أولئك الأمراء، وأحكامهم مضبوطة عادلة لأنهم لا يُنْهَمون بميل ولا يقبلون رشوة. ولما عُدنا إلى المدرسة بعد الجلوس مع الأمير بعث إلينا الأرز والدقيق والغنم والسمن والأبزار وأحمال الحطب.

وتلك البلاد كلّها لا يعرف بها الفحم وكذلك الهند وخراسان وبلاد العجم.

(15) الكَلِيجا الفارسية (AL-KULITCHE) نوع من الحلوى المحشوة بالتمر. وتعرف في بغداد بنفس الاسم إلى اليوم ويقصد بالمحبب أنه يقدم إلى الضيوف حبواً تسهلاً عليهم في تناول

(16) الأرغجية يارغورجي (YARGHURI) كلمة من شرق تركيا تعني الشخص الذي يفصل في النوازل القضائية ومنها كلمة YARJU بمعنى حاكم.

وأما الصين فيوقدون فيها حجارةً تشتعل فيها النار كما تشتعل في الفحم (17)، ثم إذا صارت رماداً عجنوه بالماء وجففوه للشمس وطبخوا بها ثانية كذلك حتى يتلاشى.

حكاية ومكرمة لهذا القاضي والأمير.

صليت في بعض أيام الجمع على عادتي بمسجد القاضي أبي حفص، فقال لي : إن الأمير أمر لك بخمسمائة درهم وأمر أن يصنع لك دعوة ينفق فيها خمسمائة درهم أخرى يحضرها المشايخ والفقهاء والوجوه، فلما أمر بذلك قلت له : أيها الأمير تصنع دعوة يأكل من حضرها لقمة أو لقمتين، لو جعلت له جميع المال كان أحسن له للنفع، فقال : أفعل ذلك، وقد أمر لك بالالف كاملة !! ثم بعثها الأمير صحبة إمامه شمس الدين السنجري في خريطة يحملها غلامه، وصرفها من الذهب المغربي ثلاثماية دينار (18).

13/3

وكنت قد اشتريت ذلك اليوم فرساً أدهم اللون بخمسة وتلاثين ديناراً دراهم وركبته في ذهابي إلى المسجد فما أعطيتُ ثمنه إلا من تلك الالف ! وتكاثرت عندي الخيل بعد ذلك حتى انتهت إلى عدد لا أذكره خفية مكذب يكذب به ! ولم تزل حالي في الزيادة حتى دخلت أرض الهند، وكانت عندي خيل كثيرة لاكتني كنت أفضل هذا الفرس وأوثره وأربطه أمام الخيل، وبقي عندي إلى انقضاء ثلاث سنين، ولما هلك تغيرتُ حالي وبعثتُ إلي الخاتون جيجا أغا إمراة القاضي مائة دينار دراهم وصنعت لي أختها ثرابك زوجة الأمير دعوة جمعت لها الفقهاء ووجوه المدينة بزوايتها التي بنتها وفيها الطعام للوارد والصادر وبعثت إلي بفروة سمور وفرس جيد، وهي من أفضل النساء وأصلحهن وأكرمهن جزاها الله خيراً.

14/3

حكاية [الخاتون المتقشفة]

ولما انفصلت من الدعوة التي صنعت لي هذه الخاتون وخرجت عن الزاوية تعرضت لي بالباب امرأة عليها ثياب دنسة وعلى رأسها مقنعة ومعها نسوة لا أذكر عددهن فسلمت علي

(17) يلاحظ مرة أخرى اهتمام ابن بطوطة بالحطب والفحم كطاقة لها أهميتها في المناطق الباردة. ونذكر أن ابن فضلان ذكر في رحلته أن الرجل إذا أراد أن يبرِّب صاحبه ويحمله دعاه هكذا : تعالى إليّ نتحدث فإن عندي ناراً طيبة !

النار فأكفه الشتاء فمن يُرد أكل الفواكه شاتياً فليصطلي !
- يراجع التعليق رقم 53 ج 1، ص 132.

(18) الدينار المغربي وزن 4.722 جرام بينما الدينار في الشرق وزن 4.233 - تراجع التفصيلات التي ذكرها الناشران الأولان ج III ص 454 هذا ويلاحظ أن ابن بطوطة من خلال قوله خيفة مكذب يكذب به أنه يعي جداً ما يتناجي به الناس مما رواه ابن خلدون !

فرددت عليها السلام، ولم أقف معها ولا التفت إليها، فلما خرجت أدركني بعض الناس، وقال لي : إن المرأة التي سلمتُ عليك هي الخاتون، فخجلت عند ذلك وأردت الرجوع إليها فوجدتها قد انصرفت فأبلغت إليها السلام مع بعض خدامها واعتذرتُ عما كان مني لعدم معرفتي لها !

15/3

ذكر بطيخ خوارزم

وبطيخ خوارزم لا نظير له في بلاد الدنيا شرقاً ولا غرباً إلا ما كان من بطيخ بخاري، يليه بطيخ إصفهان، وقشره أخضر، وباطنه أحمر، وهو صادق الحلاوة، وفيه صلابة.

ومن العجائب أنه يقدد ويبس في الشمس ويجعل في القواصر كما يصنع عندنا بالشريعة والتين المالقي (19)، ويحمل من خوارزم إلى أقصى بلاد الهند والصين، وليس في جميع الفواكه اليابسة أطيب منه !

16/3

وكنْتُ أيام إقامتي بدهلي من الهند متى قدم المسافرون بعثت من يشتري لي منهم قديد البطيخ، وكان ملك الهند إذا أوتي إليه بشيء منه بعث إليَّ به لما يعلم من محبتي فيه، ومن عادته أنه يُطرف الغرباء بفواكه بلادهم ويتفقدهم بذلك.

حكاية [التاجر الكريم]

كان قد صحبني من مدينة السرا إلى خوارزم شريف من أهل كربلاء يسمى علي بن منصور، وكان من التجار فكنت أكلفه أن يشتري لي الثياب وسواها، فكان يشتري لي الثوب بعشرة دنانير ويقول اشتريته بثمانية، ويحاسبني بالثمانية ويدفع الدينارين من ماله وأنا لا أعلم لي بفعله إلى أن تعرفت ذلك على ألسنة الناس، وكان مع ذلك قد أسلفني دنانير فلما وصل إليَّ إحسان أمير خوارزم رددت إليه ما أسلفنيه، وأردت أن أحسن بعده إليه مكافأة لأفعاله الحسنة، فأنبى ذلك وحلف أن لا يفعل، وأردت أن أحسن إلى فتى كان له اسمه كافور فحلف أن لا أفعل، وكان أكرم من لقيته من العراقيين.

17/3

وعزم على السفر معي إلى بلاد الهند ثم إن جماعة من أهل بلده وصلوا إلى خوارزم برسم السفر إلى الصين فأخذ في السفر معهم، فقلت له في ذلك، فقال : هؤلاء أهل بلدي

(19) اشتهرت مالقة بتينها الطيب الذي يستورد منها لأقاصي البلاد ومن هنا تغنى به أبو الحجاج البلوي : مالقة حيت ياتينها الفلك من أجلك ياتينها !!

- المقرئ النفع ج 1، ص 151 الكدية الارتزاق والاستعطاء 1

يعودون إلى أهلي وأقاربي ويذكرون أنني سافرت إلى أرض الهند برسم الكدية فيكون سبة، وعلي لا أفعل ذلك.

وسافر معهم إلى الصين فبلغني بعد وأنا بأرض الهند، أنه لما بلغ إلى مدينة المالق (20) وهي آخر البلاد التي من عمالة ما وراء النهر، وأول بلاد الصين، أقام بها وبعث فتى له بما كان عنده من المتاع فأبطأ الفتى عليه وفي أثناء ذلك وصل من بلده بعض التجار ونزل معه في فندق واحد فطلب منه الشريف أن يسلفه شيئاً بخلاف ما يصل فتاه، فلم يفعل، ثم أكد قُبْح ما صنع في عدم التوسعة على الشريف بأن أراد الزيادة عليه في المسكن الذي كان له بالفندق، فبلغ ذلك الشريف فاغتم منه ودخل إلى بيته فذبح نفسه (21)، فأدرك وبه رمق، واتهموا غلاماً كان له بقتله، فقال لهم: لا تظلموه فإني أنا فعلت ذلك بنفسي ومات من يومه غفر الله له.

18/3

وكان قد حكى لي عن نفسه أنه أخذ مرة من بعض تجار دمشق ستة آلاف درهم قراضاً فلقى ذلك التاجر بمدينة حماة من أرض الشام فطلبه بالمال، وكان قد باع ما اشترى به من المتاع بالدين فاستحى من صاحب المال، ودخل إلى بيته وربط عمامته بسقف البيت وأراد أن يخنق نفسه، وكان في أجله تأخير فتذكر صاحباً له من الصيارفة فقصدته وذكر له القضية فسلفه ما لا دفعه للتاجر.

19/3

ولما أردت السفر من خوارزم اكرتيت جملاً واشترت محارة (22) وكان عديلي بها عفيف الدين التوزري، وركب الخدّام بعض الخيل، وجللنا باقيها لأجل البرد ودخلنا البرية التي بين خوارزم وبخاري، وهي مسيرة ثمانية عشر يوماً في رمال لا عمارة بها إلا بلدة واحدة، فودعت الأمير قُطْلُوذْمُور وخلع عليّ خلعة، وخلع علي القاضي أخرى وخرج مع الفقهاء لوداعي، وسرنا أربعة أيام، ووصلنا إلى مدينة ألكات (23) وليس بهذه الطريق عمارة

20/3

(20) المالق مدينة تقع على وادي إيلي (II.1) شمال غربي المدينة الحالية وُلْجا (Oulja) على مقربة من الحدود الحالية الصينية والروسية. كانت عاصمة الامبراطورية المغولية جغتاي (TCHAGHATAI) وكانت تشمل منطقة ما وراء النهر

(21) يلاحظ أن ابن بطوطة أثارت انتباهه عملية إنتحار لُزْمِيل له من أهل كربلاء (العراق)، انتحر حفاظاً على مروءته وبقاعاً عن شرفه. وقل ما يحصل هذا من مسلم يعرف أن نبي الاسلام عليه الصلوات ندد بالذين يستعجلون بازهاق أرواجهم والعجب أن زميله سبق له أن فكّر في الانتحار.

(22) المحارة نوع من الهوداج يركب فيها اثنان، كل واحد في جهة، ويسمى الرفيق عديلاً... ويستحسن أن يكون الراكبان متقاربين في الوزن! وقد تقدم استعمال هذا اللفظ (المحارة) الذي يعتبر من الألفاظ الغريبة في استعمال ابن بطوطة ج I، ص 404 - ج II، ص 148.

(23) الكاث أو (KATH) تقع على الشاطئ الشرقي لنهر جيحون أموداريا وكانت العاصمة القديمة لخوارزم وقد تهدم جانب منها في القرن الرابع الهجري = العاشر الميلادي بفعل فيضان المياه، وأعيد بناؤها في الجنوب الغربي من الموقع القديم، وقد تأثرت على ما يظهر من الغزو المغولي.

سواها، وضبط اسمها بفتح الهمزة وسكون اللام واخره وتاء مثناه، وهي صغيرة حسنة نزلنا
خارجا على بركة ماء. قد جمدت من البرد فكان الصبيان يلعبون فوقها ويزلقون عليها

وسمع بقدمي قاضي الكات، ويسمى صدر الشريعة وكنت قد لقيته بدار قاضي
خوارزم فجاء إلي مسلما مع الطلبة، وشيخ المدينة الصالح العابد محمود الخيوقى (24)، ثم
عرض علي القاضي الوصول إلى أمير تلك المدينة، فقال له الشيخ محمود القادم ينبغي له
أن يزار (25). وإن كانت لنا همة نذهب إلى أمير المدينة ونأتي به ففعلوا ذلك، وأتى الأمير بعد
ساعة في أصحابه وخدامه فسلمنا عليه، وكان غرضنا تعجيل السفر، فطلب منا الإقامة،
وصنع دعوة جمع لها الفقهاء ووجوه العساكر وسواهم ووقف الشعراء يمدحونه، وأعطاني
كسوة وفسا جيدا، وسرنا على الطريق المعروفة بسيبياه (26)، وفي تلك الصحراء مسيرة ست
دون ماء.

21/3

ووصلنا بعد ذلك إلى بلدة وبكنة (27)، وضبط اسمها بفتح الواو واسكان الباء الموحدة
وكاف ونون، وهي على مسيرة يوم واحد من بخارى بلدة حسنة ذات أنهار وبساتين وهم
يذخرون العنب من سنة إلى سنة، وعندهم فاكهة يسمونها العلو (28) بالعين المهملة وتشديد
اللام، فيبيسونه ويجلبه الناس إلى الهند والصين، ويجعل عليه الماء ويشرب ماؤه، وهو أيام

(24) الخيوقى نسبة إلى خيو (KHYA) وتقع على الضفة الشمالية لنهر جيحون على قناة تستمد
مائها من النهر. ولم تحدد بالضبط وضيفة الشيخ في المدينة المذكورة

(25) شاعت هذه القولة بين الناس ويقول بعضهم في مقابلتها إن القادم هو الذي عليه أن يزور الآخرين،
والظاهر أن القولة تتحكم فيها ظروف الزائر والمزور. ولله در الامام الشافعي عندما قال عن أحمد بن
حنبل

قالوا يزورك أحمد أو تزوره
إن زارني فبفضله أو زرته فلفضله والفضل في الحالين له "

- د. التازي التاريخ الدبلوماسي للمغرب ج 1، ص 193

(26) سيبياه لم نقف على هذا الاسم في جهة أخرى ابن فضلان سافر من بخارى إلى الكات على متن
المركب نازلا في نهر جيحون، أما ابن بطوطة فقد كان عليه أن يقطع القيفا- الواقعة شرقي النهر وقد
أورد ياقوت اسم قرية تحمل اسم سباري من قرى بخارى يقال لها سبيري أيضا

(27) وبكنة هي حاليا (WABKAN) بضاحية على بعد (40 كم شمال شرقيها وما تزال إلى الآن
محتفظة بمناذيتها الأنفة التي ترجع لآخر القرن السادس الهجري - الثاني عشر الميلادي
- كتاب آثار الاسلام التاريخية في الروسا ص 6

(28) العلو بالفارسية (Alu) البرقوق، وقد اكتسب البرقوق الاصفر لبخارى شهرة كبيرة

كونه أخضر حلؤ فاذا بيس صار فيه يسير حُوضة ولحميته كثيرة ولم أر مثله بالأندلس ولا بالمغرب ولا بالشام.

ثم سرنا في بساتين متصلة وأنهار وأشجار وعمارة يومًا كاملاً، ووصلنا إلى مدينة بخارى (29) التي ينسب إليها أمام المحدثين أبو عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري (30)، وهذه المدينة كانت قاعدة ما وراء نهر جيحون (31) من البلاد، وخربها اللعين تنكيز التتري (32) جد ملوك العراق، فمساجدها الآن ومدارسها وأسواقها خربة إلا القليل، وأهلها أذلاء، وشهادتهم لا تقبل بخوارزم وغيرها لاشتغالهم بالتعصب ودعوى الباطل وإنكار الحق، وليس بها اليوم من الناس من يعلم شيئاً من العلم ولا من له عناية به !!

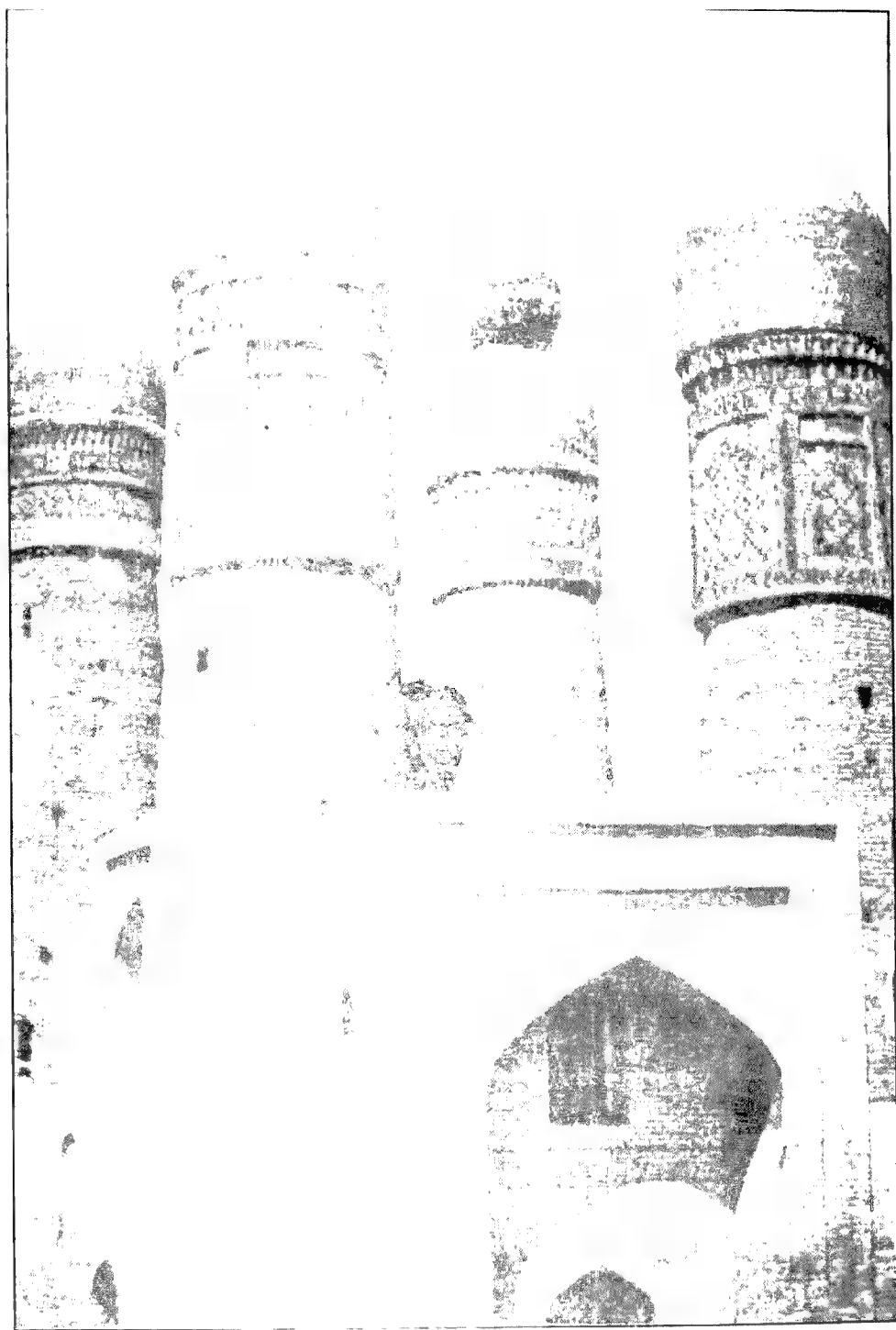
(29) بخارى كانت عاصمة مزدهرة لمملكة السامانيين نسبة لسامان خدائي الذي اعتنق الإسلام وأسس الدولة السامانية فيما وراء النهر (287-389) (900-399) وقد احتلت بخارى من قبل جيوش جنكيز خان عام 617=1220 ثم عمرت بعد هذا الوقت بقليل، وقد هدمت مرتين متعاقبتين من لدن المغول إيلخان فارس عام 767=1273 وعام 716=1316 ولم يمكن لها بعد أن تتخلص من الدمار الذي لحقها ...

(30) محمد بن إسماعيل البخاري، الحافظ لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم صاحب الجامع الصحيح المعروف بصحيح البخاري، ولد في بخاري وقام برحلة طويلة في طلب الحديث، واختار من الأحاديث ما وثق برواته، وهو أول من وضع في الإسلام كتاباً على هذا النحو. وقد تعصب عليه جماعة ورموه بالتهمة فأخرج إلى (خوتك) من قرى سمرقند فأدركه أجله بها عام 256=870. زرت ضريحه في خوتك بمناسبة المهرجان الدولي الذي أقيم هناك تكريماً للإمام البخاري بمناسبة مرور 200 سنة على ميلاده، الملحق الثقافي لجريدة (العلم) 1974/10/18.

(31) ما وراء النهر هو بالذات ما نجده في التعبير اليوناني (TRANSOSIANAS)، وكلا التعبيرين لهما معنى واحد، ويتعلق الأمر بالأقاليم الواقعة بين جيحون (OXUS) أموداريا (AMU DARYA) وبين جيحون سيرداريا داريا (J. AX ARTES). وداريا كلمة فارسية بمعنى نهر.

(32) تيمودجين (TE MUDJIN) الذي أصبح سلطاناً للمغول عام 602 = 1206 هو بالذات جنكيز، لقب مغولي للتركي (تنكيز) .. أو تنيز، ومنها كان الاسم باللغة العربية - التتار كانوا في الأصل قبيلة تركية تمغلت وهيمنت على القبائل الأخرى في عهد ميلاد جنكيز. ستكون تلك القبيلة أول من يخضع له بيد أن اسمه سيبقي، عبر المصادر التاريخية الصينية والعربية والروسية مرتبطاً باسم المغول. نذكر أخيراً أن ملوك العراق آنذاك هم إيلخانيون منحدرين من هولاكو حفيد جنكيز.

C.E. BOSWORTH : MOGHOLISTAN. Ency. de l'Islam, N.E., 1991.



مدينة الأمراء - جامع الخليلي - عمان



منارة في بخارى

ذكر أولية التثر وتخريبهم بخارى وسواها.

23/3

كان تنكيز خان (33) حداد بارض الخطأ (34)، وكان له كرم نفس وقوة وبسطة في الجسم، وكان يجمع الناس ويطعمهم، ثم صارت له جماعة فقدموه على أنفسهم، وغلب على بلده وقوي واشتدت شوكته واستفحل أمره فغلب على ملك الخطأ، ثم على ملك الصين، وعظمت جيوشه وغلب على بلاد الختن وكاشغر والمالِق.

وكان (35) جلال الدين سنجَر بن خوارزم شاه ملك خوارزم وخراسان وما وراء النهر (36) له قوة عظيمة وشوكة، فهابه تنكيز وأحجم عنه ولم يتعرض له فاتَّفَق أن بعث تنكيز تجاراً بأمتعة الصين والخطأ من الثياب الحريرية وسواها إلى بلدة أطرار (37)، بضم الهمزة، وهي

(33) كان جنكيز ابناً لأحد رؤساء عشيرة، وقد كان أحد أجداد أبيه رئيساً لأول كونفيدرالية مغولية، والأسطورة التي تقول: إنه كان حداداً توجد أيضاً عند كيوم دوزبُوك (G. de Ruibrouk) الذي زار قراقورم عاصمة المغول عام 1254=652. وربما كان الأصل في هذا اللقب أتياً من اسمه الأول تيمورجين تامور (TAMUR) تيمور (TIMUR) - (حديد)، أو أتياً من الأسطورة التركية القديمة التي يربدها المغول: إيرجان كُون (ERGENEKON) حيث توجد العشيرة التي كانت محاصرة في إقليم مطوق، واستطاعت أن تخرج بفضل حدادٍ عمل على إذابة جبل من حديد... هذه الأسطورة التي ترمز للانتشار المغولي في المنطقة لا تعني بآية حال لقب احتقار بأصل جنكيز كما يبدو من سياق تعبير ابن بطوطة! الأمر الذي يفسر كيف أن ديلام دو روبروك استطاع أن يلتقط الأسطورة في قراقورم منذ فترة سابقة لزيارة ابن بطوطة. هذا وقد ذكرني تقديم ابن بطوطة تحقيقه عن تاريخ ظهور جنكز خان فيما أقدم عليه ابن خلدون بدوره في رسالته إلى العاهل المريني التي قدم فيها نبذة عن تاريخ التثر وذلك في اعقاب اجتماع بالشام مع تيمورلنك. - د. التازي التاريخ الدبلوماسي للمغرب ج 7 ص 222-223. جامع التواريخ لورشيد الدين فضل الله الهمداني - مصدر سابق.

(34) الخطأ اسم أعطى لشمال الصين أو شمال غربها كما سيأتي حيث كونت لها مملكة مستقلة تحت سيادة خطان أو دولة لياو (LIAO) وهو يستمد أصله من (الخطان) الذين أسسوا هناك دولة من عام 294-516 (907-1122).

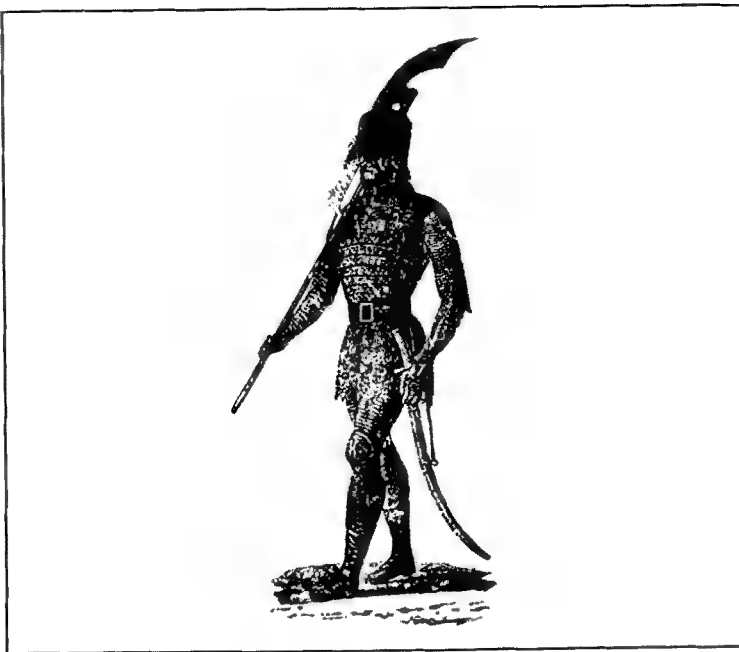
(35) فتح الصين الذي ابتدئ منذ سنة 606=1209 انتهى عام 678=1279 -الختن وكاشغر يوجدان معا في إقليم سينكيانج (SINKIANG)، والمالِق يوجد في سيميرتشي (SEMIRYECHE)، والكل فتح حوالي عام 612=1215.

(36) لقد حكم آل خوارزم شاه في هذه المنطقة منذ نهاية القرن الثاني عشر إلى وصول المغول، ابن بطوطة هنا يخلط بين محمد خوارزم شاه الملقب بسنجر 596-617 = (1200-1220) الذي يرجع للفترة التي وقعت فيها حادثة أطرار التي ستحكي بعد هذا، وبين ابنه جلال الدين الذي أصبح شخصية أسطورية وهو الذي قاوم المغول من الهند إلى الأناضول طوال عشر سنوات من 618 - إلى 628= (1221-1231). انظر تاريخ ابن الأثير الجزري وتاريخ ابن واصل...

(37) تقع أطرار (يرسمها ترجمان بارتولد (أترار) في سيحون (JAXARTES) أو سيرداريا (SIR DARYA) على بعد 100 ميل شمال طشقند، وقد قام جلال الدين بتكبيد المغول هزيمة منكرة في باروان (PARWAN) شمال كابل بيد أنه حوَصِر من لدن جنكيز خان واستطاع أن ينجو بحياته عندما عبر نهر السند. انظر بارتولد: تركستان ففيه الحديث مفصلاً عن هذه الواقعة ص 622، وهو أي بارتولد يذكر ابن بطوطة كمرجع هام لهذه الأحداث في عدد من الصفحات.



الخان الأعظم للمغول الذي خرب خوارزم والباقي^١



رسم جندي مغولي

24/3 أخر عمالة جلال الدين، فبعث إليه عامله عليها مُعلماً بذلك واستأذنه ما يفعل في أمرهم فكتب إليه يأمره أن يأخذ أموالهم ويمثل بهم، ويقطع أعضائهم ويردّهم إلى بلادهم لما أراد الله تعالى من شقاء أهل بلاد المشرق ومحنتهم رأياً فانلاً وتديراً سيئاً مشنوماً، فلما فعل ذلك تجهز تنكير بنفسه في عساكر لا تحصي كثرة برسم غزو بلاد الإسلام، فلما سمع عامل أطرار بحركته بعث الجواسيس لياتوه بخبره فذكر أن أحدهم دخل محلة بعض أمراء تنكير في صورة سائل فلم يجد من يُطعمه، ونزل إلى جانب رجل منهم فلم ير عنده زاداً، ولا أطعمه شيئاً، فلما أمسى أخرج مُصراًناً يابسة عنده، فبلّها بالماء، وفصد فرسه وملاها بدمه وعقدها وشوّاها بالنار، فكانت طعامه فعاد إلى أطرار فأخبر عاملها بأمرهم وأعلمه أن لا طاقة لأحد بقتالهم فاستمد ملكه جلال الدين فأمده بستين ألفاً زيادة على من كان عنده من العساكر، فلما وقع القتال هزمنهم تنكير ودخل مدينة أطرار بالسيف وقتل الرجال وسبى الذراري

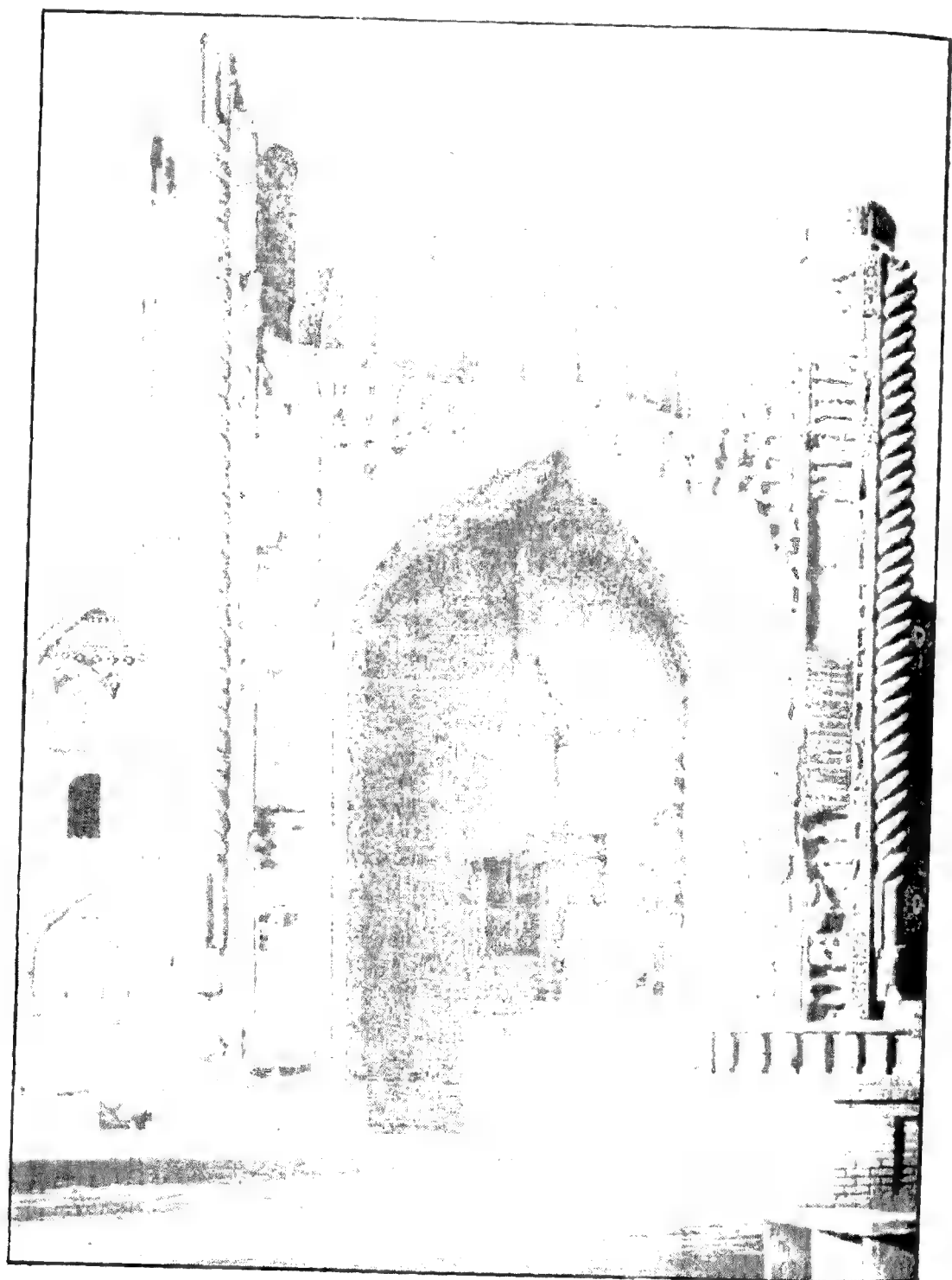
36/3 وأتى جلال الدين بنفسه لمحاربته فكانت بينهم وقائع لا يُعلم في الإسلام مثلاً (38)، وأل الأمر إلى أن تملك تنكير ما وراء النهر وخرب بخارى وسمرقند وترمز وعبر النهر، وهو نهر جيحون، إلى مدينة بلخ فتملكها ثم إلى الباميان فتملكها وأوغل في بلاد خراسان وعراق العجم (39)، فثار عليه المسلمون في بلخ، وفيما وراء النهر، فكر عليهم ودخل بلخ بالسيف وتركها خاوية على عروشها (40)، ثم فعل مثل ذلك في ترمز فخربت، ولم تعمر بعد، ولكنها بُنيت مدينة على ميلين منها هي التي تسمى اليوم ترمز، وقتل أهل الباميان وهدمها بأسرها إلا صومعة جامعها، وغفا عن أهل بخارى وسمرقند ثم عاد بعد ذلك إلى العراق (41) وانتهى

(38) يعتبر ابن بطوطة مصدراً أصيلاً لهذه الحادثة. انظر ابن الأثير في أحداث 616 هـ وابن واصل.

(39) احتلت ما وراء النهر باميان (Transoxiana) وخوارزم عام 617=1220 بينما احتلت باميليان (وليس باميان) وكانت عاصمة لشمال أفغانستان عام 618-1221. وقد كانت الغارة على خراسان عام 1221 بقيادة تولوي (Tului) صغير ابن - جنكيز خان، وقد خربت (مرز) و (نيسابور) إلى نهايتها وقد أعدت طائفة من الغارات بقيادة عدد من القادة المغول عام 1220 على أذربيجان وعلى جنوب روسيا وعبر بلاد القوقاز. - انظر بارنولد تركستان.

(40) تحدث المؤرخ ابن الأثير كذلك عن أحداث سنة 617 في كتابه الكامل في التاريخ ويظهر أن بلخ بعد أن خربت منذ الغارة عليها عام 618=1221 عادوا إليها فاتوا على ما بقى فيها من معالم، وسنرى أن الباقوت الذي نتجت الجيّد منه بالتالي "BALAUS" يأخذ هذا النعت من مدينة بلخ

(41) ينبغي أن نذكر هنا أن ابن بطوطة وقع في سهو، عندما تحدث عن عودة جيش جنكيز إلى العراق، فالواقع أن العودة كانت إلى مغوليا وليس إلى العراق الذي تم الاجهاز عليه بواسطة حفيده هولاكو عام 658=1256 انظر بارتوك



جانب دیگر از ایوان حرم چنگیز خان بعد از بارش

أمر التتر حتى دخلوا حضرة الإسلام ودار الخلافة بغداد بالسيف وذبحوا الخليفة المستعصم بالله العباسي رحمه الله !

قال ابن جزى : أخبرنا شيخنا قاضي القضاة أبو البركات ابن الحاج (42) أعزه الله قال سمعت الخطيب أبا عبد الله بن رشيد يقول : لقيت بمكة نور الدين بن الزجاج من علماء العراق ومعه ابن أخ له فتفاوضنا الحديث، فقال لي : هلك في فتنة التتر بالعراق أربعة وعشرون ألف رجل من أهل العلم، ولم يبق منهم غيري وغير ذلك، وأشار إلى ابن أخيه !

27/3

رجع، قال ونزلنا من بخارى برَبَضها المعروف بفتح آباد (43)، حيث قبر الشيخ العالم العابد الزاهد سيف الدين البخارزي (44)، وكان من كبراء الأولياء وهذه الزاوية المنسوبة لهذا الشيخ حيث نزلنا عضيمة لها أوقاف ضخمة يطعم منها الوارد والصادر، وشيخها من ذريته وهو الحاج السيَّاح يحيى البخارزي وأضافني هذا الشيخ بداره، وجمع وجوه أهل المدينة وقرأ القراء بالأصوات الحسان، ووعظ الواعظ، وغنوا بالتركي والفارسي على طريقة حسنة، ومرت لنا هنالك ليلة بديعة من أعجب الليالي ۞ ولقيت بها الفقيه العالم الفاضل صدر الشريعة وكان قد قدم من هراة وهو من الصلحاء الفضلاء (45)، وزرت ببخارى قبر الامام العالم أبي

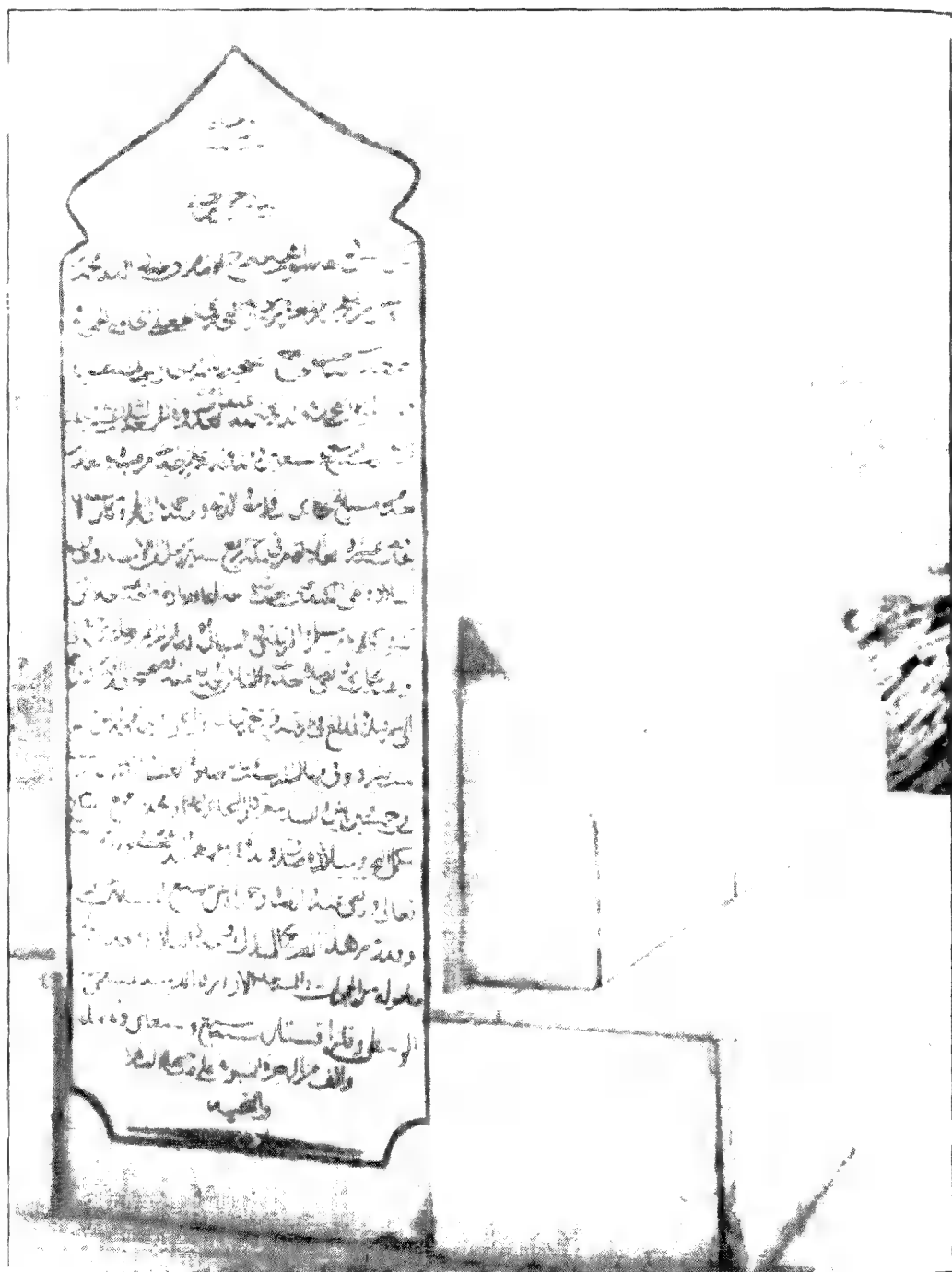
28/3

(42) أبو البركات ابن الحاج، البليغي محمد بن ابراهيم من الشخصيات العلمية الدبلوماسية البارزة في التاريخ الأندلسي المغربي له ترجمة حافلة بالمزايا. نفح الطيب ج ٧ ص 471 - الإحاطة ج ١١ ص 343. (ج ١، ص 20 تعليق 34). هذا وإن المعلومة التي ذكرها عن اجتياح بغداد وهلاك 24.000 عالمًا معلومة لم نجد مثلاً في المصادر التي تتحدث عن سقوط بغداد - رشيد الدين الهمداني : جامع الجوامع 1960.

(43) فتح آباد قرية تقع على مقربة من الباب الشرقي للمدينة ما تزال تحمل هذا الاسم.

(44) هذا أبو المعالي سعيد ابن المطهر أحد الطلبة البارزين لنجم الدين الكُبرا سالف الذكر، (تعليق 17)، والمتوفي عام 659-1261 يظهر أنه هو الذي حمل سلطان (القبيلة الذهبية) على اعتناق الإسلام، قبره موجود في الزاوية المذكورة وقد شيدت من لدن والدة الخانات الكبار مونكي Mongke بالرغم من أنها كانت مسيحية، القبر يوجد لحد الآن هناك - انظر دائرة المعارف الإسلامية : سيف الدين بخارزي.

(45) يظهر أن الأمر يتعلق بفخر الدين خيصار (KHISAR) الذي كان يحمل نعت الصدر، وقد سمى قاضي هراة عام 714-715 = 1314-1315 وهو الذي ورد ذكره في كتاب تاريخ نامة- 1944.



قبرية الإمام البخاري وقد حضرت 1974 الاحتفالات التي أقيمت على شرفه

عبد الله البخاري مصنف الجامع الصحيح شيخ المسلمين رضي الله عنه مكتوب : هذا قبر محمد بن اسماعيل البخاري وقد صنّف من الكتب كذا وكذا (46)

وكذلك على قبور علماء بخاري أسماؤهم وأسماء تصانيفهم وكنت قيّدُ من ذلك كثيرًا وضاع مني في جملة ما ضاع لي لما سلّبتني كُفَّار الهند في البحر !!

ثم سافرنا من بخاري قاصدين معسكر السلطان الصالح المعظم علاء الدين طرْمَشِيرين، وسنذكره، فمررنا على نُخْشَب (47) البلدة التي ينسب إليها الشيخ أبو تراب النخشي (48)، وهي صغيرة تحفّ بها البساتين والمياه، ونزلنا بخارجها بدارٍ لأميرها، وكان عندي جارية قد قاربت الولادة، وكنت أردت حملها إلى سمرقند لتلد بها فاتفق أنها كانت في المحمل فوضع المحمل على الجمل، وسافر أصحابنا من الليل وهي معهم، والزادُ وغيره من أسباني، وأقمت أنا حتى ارتحل نهارًا مع بعض من معي، فسلّكوا طريقًا وسلّكت طريقًا سواها فوصلنا عشية النهار إلى محلة السلطان المذكور وقد جئنا ونزلنا على بعد من السوق واشترى بعض أصحابنا ما سدّ جوعتنا وأعارنا بعض التجار خباءً بتنا به تلك الليلة.

29/3

ومضى أصحابنا من الغد في البحث عن الجمال وباقي الأصحاب فوجدوهم عشياً وجاعوا بهم وكان السلطان غائباً عن المحلة في الصيد فاجتمعت بنائبه الأمير تَقْبَغَا، فأنزلني بقرب مسجده وأعطاني خرقَةً وهي شبه الخباء، وقد ذكرنا صفتها في ما تقدم، فجعلت

30/3

(46) يوجد ضريح الإمام البخاري باجماع الذين ترجموا له في قرية خَرْتَنُك القريبة من سمرقند وهي تبعد عن بخارى بسبعة أيام على ذلك العهد على ما نقرأه في ابن فضلان، وهكذا فقد حصل لابن بطوطة سهو واضح في تحديد موقع ضريح الامام البخاري... وقد وقفنا على اللوحة الجديدة التي ركبت على قبره وهي تحمل تاريخ سنة سبع وسبعين وثلاثمائة وألف من الهجرة النبوية ونقول : الجديدة لأن اللوحة القديمة التي تحدث عنها ابن بطوطة كانت تحمل اسم الإمام البخاري كما تحمل أسماء تآليفه الأخرى غير الجامع الصحيح...

(47) نُخْشَب أو نسف التي ينتسب إليها المفسر الشهير، وتقع على بعد 100 كلم جنوب شرقي بخارى على المحطة الرئيسية في الطريق القديم الذاهب إلى ترمذ وبلخ، وقد سميت كارشي (Qarshi) التي تعنى بالمغولية قصر أخذًا من القصر الذي بناه كيكخان الذي عوضه ترمشِيرين، كانت قد اختيرت منذ أيام جنكيز خان كما قلنا عام 617=1220 لتكون محل إقامته في الصيف، وقد شيد بها السلاطين من آل چغتاي كيك (KEBEK) 1318-1326. وكارگان 744-747 = 1343-1346 عددًا من القصور...

(48) النخشي أو (النسفي) أبو تراب عسْكَر بن الحسين أحد المتصوفة القدامى الذين يناصرون الطريقة الخراسانية يذكر أنه حج أربعين مرة، وقد أدركه أجله عام 245 = 859 وهو في طريقه إلى مكة. الإصفهاني : حلية الأولياء القاهرة 1938 ج 12 ص 45-51 السلمي : طبقات الصوفية - لندن 1960-136-40 - حول الخباء المذكور ويعني خيمة صغيرة راجع الحديث عن سلطان بركي عندما كان ابن بطوطة في انطاليا أو (الاناضول). 299/2-300 تعليق 85.

الجارية في تلك الخرقة فولدت تلك الليلة مولوداً وأخبروني أنه ولد ذكر ولم يكن كذلك، فلما كان بعد العقيقة أخبرني بعض الأصحاب أن المولود بنت، فاستحضرت الجواري، فسألتهن، فأخبرتني بذلك، وكانت هذه البنت مولودة في طالع سعد، فرأيت كل ما يسرني ويرضيني منذ ولدت وتوفيت بعد وصولي إلى الهند بشهرين، وسيذكر ذلك، واجتمعت بهذه المحلة بالشيخ الفقيه العابد مولانا حسام الدين الياغي بالياء آخر الحروف والغين المعجمة ومعناه بالتركية الثائر وهو من أهل أطرار، وبالشيوخ حسن صهر السلطان .

31/3

ذكر سلطان ما وراء النهر

وهو السلطان المعظم علاء الدين طرُمشِيرين (49)، وضبط اسمه بفتح الطاء المهمل وسكون الراء وفتح الميم وكسر الشين المعجم وياء مد وراء مكسور وياء مد ثانية ونون، وهو عظيم المقدار كثير الجيوش والعساكر ضخم المملكة شديد القوة، عادل الحكم، وبلاده متوسطة بين أربعة من ملوك الدنيا الكبار، وهم ملك الصين، وملك الهند، وملك العراق، والملك أوزبك، وكلهم يهادونه ويعظمونه ويكرمونه، وولي الملك بعد أخيه الجُكَاطِي (50)، وضبط اسمه بفتح الجيم المعقودة والكاف والطاء المهمل وسكون الياء، وكان الجُكَاطِي هذا كافراً، وولي بعد أخيه الأكبر كَبَك (51) وكان كَبَك هذا كافراً أيضاً لكنه كان عادل الحكم منصفاً للمظلومين يكرم المسلمين ويعظمهم .

32/3

حكاية [الملك كَبَك والواعظ]

يذكر أن هذا الملك كَبَك تكلم يوماً مع الفقيه الواعظ المذكّر بدر الدين الميداني، فقال له : أنت تقول إن الله ذكر كل شيء في كتابه العزيز ؟ قال : نعم، فقال : أين إسمي فيه؟ فقال :

(49) طرُمشِيرين 724-734=1324-1334 كان هو الابن السادس وكان الخلف السابع للملك دُوا (Duwa) 681-706 = 1282-1306 وهو الذي استطاع أن ينجح، في الجملة، في إقرار الإمبراطورية المغولية لآل جفطاي، من الإيلخانيين في فارس وفي يُوَان في الصين. طرُمشِيرين كان من أوائل السلاطين الذين اقتنعوا بالإسلام واعتنقوه وحسن إسلامهم.

(50) الجُكَاطِي : IL JIGADAI (جفطاي) 726=1326 الابن الرابع لدُوا بينه وبين طرُمشِيرين توجد كذلك المملكة السريعة الزوال لدُوا أَيْمُور 726=1326، هؤلاء السلاطين كانوا بوذيين وفي أثناء حكم إيلجيداي قام الدومينيكان بنشر الدعاية الكاثوليكية في آسيا الوسطى...

(51) تولى كَبَك من عام 709 = 1309 إلى 726 = 1326، وهذا الفرق بين التاريخين ملاء أخ آخر إسن بُغَا. كان هو الأول في سلالة مركز مملكته فيما وراء النهر باختياره مدينة (نخشب) مقراً لأقامته. من جهة أخرى تذكر أن المؤرخين يؤكدون أنه كان عدلاً منصفاً.

- بارتولد : تركستان، ترجمة صلاح الدين عثمان هاشم، الكويت 1401=1981 صفحة 721.

هو في قوله تعالى : في أي صورة ما شاء ركبك (52) ' فأعجبه ذلك ' وقال ' يخشي، ومعناه بالتركية : جيد فأكرمه إكراماً كثيراً وزاد في تعظيم المسلمين !!

حكاية [عن عدل كُتُبك]

ومن أحكام كُتُبك ما ذكر أن امرأة شكت له أحد الأمراء، وذكرت أنها فقيرة ذات أولاد، وكان لها ابن تقوتهم بثمنه فاغتصبه ذلك الأمير وشربه، فقال لها : أنا أوسطه ! فإن خرج اللبن من جوفه مضى لسبيله وإلا وسطتك بعده ' فقالت المرأة قد حللته ولا أطلبه بشيء ' فأمر به فوسط فخرج اللبن من بطنه !

33/3

وانعد لذكر السلطان طرُمشيرين، ولما أقمت بالمحلة، وهم يسمونها الأردو، أياماً ذهبت يوماً لصلاة الصبح بالمسجد على عادتي، فلما صليت ذكر لي بعض الناس أن السلطان بالمسجد، فلما قام عن مُصلاه تقدمت للسلام عليه، وقام الشيخ حسن والفقير حسام الدين الياغي وأعلماء بحالي وقدمي منذ أيام فقال لي بالتركية : خُشْ ميسنْ يَحْشِي ميسنْ : قُطْلُو إِيوسنْ، ومعنى خُشْ ميسنْ في عافية أنت، ومعنى يَحْشِي ميسنْ : جيد أنت، ومعنى قُطْلُو إِيوسنْ : مبارك قدومك ! وكان عليه في ذلك الحين قُباً قُدْسي أخضر وعلى رأسه شاشية مثله، ثم انصرف إلى مجلسه راجلاً والناس يتعرّضون له للشكايات فيقف لكل مشتكٍ منهم صغيراً أو كبيراً ذكراً أو أنثى.

34/3

ثم بعث عني فوصلت إليه وهو في خرقة، والناس خارجها ميمنة وميسرة، والأمراء منهم على الكراسي وأصحابهم وقوف على رؤوسهم وبين أيديهم، وسائر الجند قد جلسوا صفوفاً وأمام كل واحد منهم سلاحه، وهم أهل النوبة، يقعدون هناك إلى العصر، ويأتي آخرون فيقعدون إلى آخر الليل، وقد صنعت هناك سقائف من ثياب القطن يكونون بها.

ولما دخلت إلى الملك بداخل الخرقة وجدته جالساً على كرسي شبه المنبر مكسو بالحريز المزركش بالذهب - وداخل الخرقة ملبَس بثياب الحرير المذهب، والتاج المرصع بالجوهر واليواقيت معلّق فوق رأس السلطان، بينه وبين رأسه قدر ذراع (53)، والأمراء الكبار على الكراسي عن يمينه ويساره، وأولاد الكوك بأيديهم المذاب بين يديه، وعند باب الخرقة النائب

35/3

(52) السورة 82 الآية 8 - وعلى ذكر كُتُبك أقول حضرتُ مجلساً سال فيه أحدهم وأين نجد ذكر (كوكا)؟ فأجابوه : وتركوك قائماً !!

(53) أخذ الملوك يتبارون في ثقل تيجانهم المرصعة حتى لأصبح التاج عبئاً على حامله ومن هنا اتحنوا له معلاقاً في السقف يسامتُ الكرسي الذي يجلس عليه السلطان ' الكوك لقب للأمراء من سلالة السلطان.

والموزير والحاجب، وصاحب العلامة (54) وهم يسمونه آل طمغنى، وأل بفتح الهمزة : معناد الأحمر، وطمغنى بفتح الطاء المهمل وسكون الميم والغين المعجم المفتوح، ومعناه العلامة.

وقام إليّ أربعتهم حين دخولي، ودخلوا معي فسلمت عليه وسألني، وصاحب يترجم بيني وبينه، وعن مكة والمدينة والقدس شرفها الله وعن مدينة الخليل عليه السلام وعن دمشق ومصر والملك الناصر عن العراقيين وملكهما وبلاد الاعاجم، ثم أذن المؤذن بالظهر فانصرفنا وكنا نحضر معه الصلوات، وذلك أيام البرد الشديد المهلك، فكان لا يترك صلاة الصبح والعشاء في الجماعة ويقعد للذكر بالتركية بعد صلاة الصبح إلى طلوع الشمس، ويأتي إليه كل من في المسجد فيصافحه ويشد بيده على يده، وكذلك يفعلون في صلاة العصر، وكان إذا أوتي بهدية من زبيب أو تمر، والتمر عزيز عندهم وهم يتبركون به، يُعطي منها بيده لكل من في المسجد.

36/3

حكاية [فضائل السلطان طرمشيرين]

ومن فضائل هذا الملك أنه حضرت صلاة العصر يوماً ولم يحضر السلطان فجاء أحد فتياته بسجادة ووضعها قبالة المحراب حيث جرت عادته أن يصلي، وقال للإمام حسام الدين الياغي : إن مولانا يريد أن تنتظره بالصلاة قليلاً ريثما يتوضأ فقام الإمام المذكور، وقال : نمأز، ومعناه الصلاة، برأي خذاً أو برأي طرمشيرين ؟ أي الصلاة لله أو لطرمشيرين؟ ثم أمر المؤذن بإقامة الصلاة وجاء السلطان وقد صلي منها ركعتان، فصلى الركعتين الأخرتين حيث انتهى به القيام، وذلك في الموضع الذي تكون به أنعلة الناس عند باب المسجد، وقضى ما فاتته وقام إلى الإمام ليصافحه وهو يضحك وجلس قبالة المحراب والشيخ الإمام إلى جانبه وأنا إلى جانب الإمام فقال لي : إذا مشيت إلى بلادك فحدث أن فقيراً من فقراء الأعاجم يفعل هكذا مع سلطان الترك !!

37/3

وكان هذا الشيخ يعظ الناس في كل جمعة ويأمر السلطان بالمعروف وينهاه عن المنكر وعن الظلم ويغلظ عليه القول والسلطان ينصت لكلامه ويبيكي، وكان لا يقبل من عطاء السلطان شيئاً ولم يأكل قط من طعامه ولا لبس من ثيابه.

38/3

(54) (صاحبة العلامة) هذا تعبير استعمل في الحديث عن المراسيم الملكية والمعاهدات الدولية في الغرب الإسلامي، وكان هذا وظيفاً سامياً في الحكومة يعني الذي يتولى كتابة العلامة أو التوقيع للملك، وهو بمثابة حارس الاختام وقد سجل التاريخ عدداً من الأسماء البارزة التي تولت هذه الوظيفة في الدولة - تراجع التاريخ الدبلوماسي للمغرب تأليف د. التازي المجلد الأول صفحة 300 وما بعدها ...

وكان هذا الشيخ من عباد الله الصالحين وكنت كثيراً ما أرى عليه قباء قطن مبطناً بالقطن، محشواً به وقد بلى وتمزق، وعلى رأسه قلنسوة لبد يساوي مثلها قيراطاً (55)، ولا عمامة عليه، فقلت له في بعض الأيام : ياسيدي ما هذا القباء الذي أنت لابسه إنه ليس جيد، فقال لي : يا ولدي ليس هذا القباء لي وإنما لابنتي فرغبت منه أن يأخذ بعض ثيابي فقال : عاهدت الله منذ خمسين سنة، أن لا أقبل من أحد شيئاً ولو كنت أقبل من أحد لقبلت منك !

ولما عازمت على السفر بعد مقامي عند هذا السلطان أربعة وخمسين يوماً أعطاني السلطان سبعمائة دينار دراهم وفروة سمور تساوي مائة دينار طلبتها منه لأجل البرد ولما ذكرت لها، أخذ أكامي وجعل يقبلها بيده تواضعاً منه وفضلاً وحسن خلق، وأعطاني فرسين وجملين، ولما أردت وداعه أدركته في أثناء طريقه إلى متصيده، وكان اليوم شديد البرد جداً، فوالله ما قدرت على أن أنطق بكلمة لشدة البرد ! ففهم ذلك، وضحك وأعطاني يده وانصرفت.

وبعد سنتين من وصولي إلى أرض الهند بلغنا الخبر بأن الملأ من قومه وأمرائه اجتمعوا بأقصى بلاده المجاورة للصين، وهناك عساكره وبايعوا ابن عم له اسمه بوزن أغلي (56) وكل من كان من أبناء الملوك فهم يسمونه أغلي (57)، بضم الهمزة وسكون الغين المعجمة وكسر اللام، وبوزن بضم الباء الموحدة وضم الزاي، وكان مسلماً إلا أنه فاسد الدين سيء السيرة، وسبب بيعتهم له وخلعهم لطرشيرين، أن طرمشيرين خالف أحكام جدهم تنكيز اللعين الذي خرب بلاد الإسلام، وقد تقدم ذكره، وكان تنكيز ألف كتاباً في أحكامه

39/3

40/3

(55) القيراط أو (CARAT) هو واحد من 24 جزءاً من قيمة المثقال الذهبي أو واحد من 16 من قيمة الدرهم الفضي. هذا ومعنى يقبلها بيده يعني يمس كمي بيده ثم يقبلها ! وهذا عرف شائع ...

(56) إسلام هذه الإمبراطورية وتمركزها فيما وراء النهر الذي كان يهدف لتحقيق الاستفادة من الانتاج الزراعي والصناعي، كذلك ومن الازدهار التجاري لبلاد تضرب في جذور تاريخ الحضارة، كل هذا ازدهج رؤساء بعض القبائل التي ترجع لأصول شرقية في الإمبراطورية، ومن هنا كان رد الفعل الذي تجلى عام 734=1334 مع بوزن ابن ذوا تيمور الذي هو أخ آخر لطرشيرين. والذي توجد له عملة تحمل اسمه بتاريخ 734=1334. هذا ويخلع لطرشيرين دخلت البلاد في مرحلة الفوضى، وليس من البعيد أن نجد ممالك تتكون، وأن نرى تجدد الاضطرابات التي يتحدث عنها عام 735=1335 ...

(57) كلمة أوغلو مضاف إليها حرف إ. تعني ابن فلان هذا وإن افادة ابن بطوطة تتضافر المصادر الفارسية على صحتها Gibb III P. 560 Note 76.

يسمى اليَسَاق (58)، بفتح الياء آخر الحروف والسين المهمل وآخره قاف، وعندهم أنه من خالف أحكام هذا الكتاب فخلعه واجب، ومن جملة أحكامه أنهم يجتمعون يوماً في السنة يسمونه الطُوي (59) ومعناه يوم الضيافة، ويأتي أولاد تنكيز والأمراء من أطراف البلاد ويحضر الخواتين وكبار الأجناد، وإن كان سلطانهم قد غير شيئاً من تلك الأحكام، يقوم إليه كبرائهم فيقولون له : غيّرت كذا وغيّرت كذا . وفعلت كذا وقد وجب خلعتك، ويأخذون بيده ويقيمونه عن سرير الملك ويقعدون غيره من أبناء تنكيز، وإن كان أحد الأمراء الكبار أذنب ذنباً في بلاده حكموا عليه بما يستحقه !!

41/3

وكان السلطان طرُمشِيرين قد أبطل حكم هذا اليوم ومحا رسمه فانكروه عليه أشد الانكار، وأنكروا عليه أيضاً كونه أقيم أربع سنين فيما يلي خراسان من بلاده، ولم يصل إلى الجهة التي توالي الصين، والعادة أن الملك يقصد تلك الجهة في كل سنة فيختبر أحوالها وحال الجند بها لأن أصل ملكهم منها، ودار الملك هي مدينة المالق (60)، فلما بايعوا بُوُرُنْ أتى في عسكر عظيم وخاف طرُمشِيرين على نفسه من أمرائه ولم يأمنهم فركب في خمسة عشر فارساً يريد بلاد غُرْنَة، وهي من عمالته، وواليتها كبير أمرائه وصاحب سره بُرُنْطيه، وهذا الأمير محب في الاسلام والمسلمين قد عمر في عمالته نحو أربعين زاوية فيها الطعام للوارد والصادر وتحت يده العساكر العظيمة ولم أر قط فيمن رأيت من الأدميين بجميع بلاد الدنيا أعظم خلقاً منه ! فلما عبر نهر جيحون، وقصد طريق بلخ رآه بعض الأتراك من أصحاب يُنْقِي

42/3

(58) حول جمع وتنسيق اليساق الذي وضعه جنكيز خان ينبغي مراجعة المصادر التي اهتمت بالموضوع، واذكر في صدرها تاليف بارتولد بعنوان تركستان (مصدر سابق) ونحن نعلم أن المغول لم يعرفوا الكتابة قبل عهد جنكيز خان، وهم عندما اتخذوا الأبجدية الأيوغورية لتسجيل لغتهم كان هدفهم الأول هو تدوين تعاليم جنكيز خان (أي العرف والتقاليد الشعبية التي اكتسبها جنكيز خان صيغة القانون) والتي كان احترامها مفروضاً ليس على جميع سكان الامبراطورية فحسب بل وعلى جميع الخانات انفسهم وبهذا برزت إلى الوجود "الباسا الكبرى" لجنكيز خان، وقد نقل الرياني في كتابه "الترجمة الكبرى" عن ابن بطوطة ما يتعلق باليساق ولو انه قال انه نقله عن مخطوطة بمكة وقد تحرف عنده اسم ابن جزري إلى ابن جرير !! - بارتولد : تركستان ص 113-114 - الترجمة ص 245

(59) الطُوي (TOY) (مأدبة) ولكن الكلمة مستعملة هنا بمعنى الجمع العام. لكن الكلمتين معا تعنيان الاجتماع الرسمي للأعيان المغول. يلاحظ اهتمام ابن بطوطة بتسجيل هذه اللقطات الحضارية !

(60) المالق، تقدم أن مدينة المالق تقع في وادي إيلي شمال غرب الموقع الحالي لقولجا Kulja III 17-23. هذا وان أولوس (Ulus) جفتاي كانت فيما وراء النهر، الإقليم الشرقي المركزي في المالق وكانت تدعى موغوليستان أوخاطا.

ابن أخيه كَبْك (61)، وكان السلطان طَرْمَشِيرِينَ المذكور قتل أخاه كَبْك المذكور وبقي ابنه يَنْقِي بيلخ فلما أعلمه التركي بخبره، قال ما فَرَّ إلا لأمرٍ حدث عليه، فركب في أصحابه وقبض عليه وسجنه، ووصل بوزُن إلى سمرقند وبخارى فبايعه الناس وجاءه يَنْقِي بطَرْمَشِيرِينَ، فيذكر أنه لما وصل إلى نسف بخارج سمرقند قتل هناك ودفن بها (62)، وخدم تربته الشيخ شمس الدين كَرْدَن بُرِيدًا، وقيل : إنه لم يقتل كما سنده، وكَرْدَن بكاف معقودة وراء مسكن ودال مهمل مفتوح ونون، معناه المقطوع، ويسمى بذلك لضربة كانت في عنقه، وقد رأيتُه بأرض الهند ويقع ذكره فيما بعد.

43/3

ولما ملك بُوَزُن هرب ابن السلطان طَرْمَشِيرِينَ وهو بشاي أُغُلُ وأخته وزوجها فيروز إلى ملك الهند فعظمهم وأنزلهم منزلة عليّة بسبب ما كان بينه وبين طَرْمَشِيرِينَ من الود والمكاتبة والمهاداة، وكان يخاطبه بالأخ. ثم بعد ذلك أتى رجل من أرض السند وادّعى أنه هو طَرْمَشِيرِينَ واختلف الناس فيه، فسمع بذلك عماد الملك سَرْتِيز غلام ملك الهند، ووالي بلاد السند، ويسمى مَلِك عَرَض، وهو الذي تُعرض بين يديه عساكر الهند وإليه أمرها، ومقرّه بملتان قاعدة السند، فبعث إليه بعض الأتراك العارفين به، فعادوا إليه وأخبروه أنه هو طَرْمَشِيرِينَ حقًا، فأمر له بالسراجة، وهي أَفْراج، فضرب خارج المدينة ورُتّب له ما يرتب لملكه وخرج لاستقباله، وترجل له وسلّم عليه وأتى في خدمته إلى السراجة، فدخلها راكبًا كعادة الملوك ولم يشك أحد أنّه هو وبعث إلى ملك الهند بخبره فبعث إليه الأمراء يستقبلونه بالضيافات، وكان في خدمة ملك الهند حكيم ممن خدم طَرْمَشِيرِينَ فيما تقدم، وهو كبير الحكماء بالهند. فقال للملك : أنا أتوجه إليه وأعرف حقيقة أمره، فإني كنت عالجت له دملًا تحت ركبته وبقي أثره، وبه أعرفه فأتى إليه ذلك الحكيم واستقبله مع الأمراء ودخل عليه ولازمه لسابقته وأخذ يغمز رجله وكشف عن الأثر فستّمه، وقال له : تريد أن تنظر إلى الدمل الذي عالجتَه، هاهو ذا، وأراه أثره فتحقق أنّه هو، وعاد إلى ملك الهند فأعلمه بذلك.

44/3

45/3

ثم إن الوزير خواجه جَهان أحمد بن إياس، وكبير الأمراء قُطْلُوخان (63) معلم

(61) حسب مصنف وضعه مجهول كان يعيش ببلاد إسكندر حفيد تيمور، فإن كَبْك توفي وفاة طبيعية. هذا ولا يعرف شيء عن يَنْقِي. اللهم إذا كان يعني تشينغشي (Tchingshi) خلف بَزُن 1334-1338
734-738 = المعروف على العموم كابن لَابْجِين (EBÜĞEN) الابن السابع لدُؤا ولكن أحيانا يعرف كابن لكَبْك

(62) يظهر أن ابن بطوطة لا يعرف أن نسف هذه هي نفس نَخْشَب سالفة الذكر، هذا وحسب بعض المصادر كذلك فإن طَرْمَشِيرِينَ توفي في هذه المدينة. - حول أفراگ انظر كذلك، II، 369 تعليق 22

(63) سنعرف المزيد عن هذه الشخصيات في السفر الثاني من الرحلة إن شاء الله

السلطان أيام صغره دخلاً على ملك الهند، وقال له : يا خوند عالم، هذا السلطان طرمشيرين قد وصل وصح أنه هو، وهاهنا من قومه نحو أربعين ألفاً (64) وولده وصهره أرايت إن اجتمعوا عليه ما يكون من العمل ؟ فوقع هذا الكلام بموقع منه عظيم، وأمر أن يوتي بطرمشيرين معجلاً، فلما دخل عليه أمر بالخدمة كسائر الواردين ولم يعظم، وقال له السلطان : يا ماذر كاني، وهي شتمة قبيحة، كيف تكذب وتقول إنك طرمشيرين وطرمشيرين قد قتل، وهذا خادم تربته عندنا، والله لولا المعرة لقتلتك ! ولكن أعطوه خمسة آلاف دينار وأذهبوا به إلى دار بشاي أغل واخته ولذي طرمشيرين، وقولوا لهم إن هذا الكاذب يزعم أنه والدكم فدخل عليهم فعرفوه ويات عندهم، والحراس يحرسونه، وأخرج بالغد وخافوا أن يهلكوا بسببه فأنكروه ونفي عن بلاد الهند والسند، فسلك طريق كيج ومكران، وأهل البلاد يكرمونه ويضيفونه ويهادونه، ووصل إلى شيراز فأكرمه سلطانها أبو إسحاق وأجرى له كفايته.

46/3

47/3

ولما دخلت عند وصولي من الهند إلى مدينة شيراز ذكر لي أنه باقٍ بها وأردت لقاءه ولم أفعل لأنه كان في دارٍ لا يدخل إليه أحد إلا بإذنٍ من السلطان أبي إسحاق فخفت ممّا يُتَوَقَّع بسبب ذلك ثم ندمت على عدم لقائه !!

رجع الحديث إلى بُؤْن

وذلك أنه لما ملك ضيق على المسلمين وظلم الرعية وأباح للنصارى واليهود عمارة كنائسهم، فضج المسلمون من ذلك وتربصوا به الدوائر واتصل خبره بخليل بن السلطان الیسور المهزوم على خراسان (65) فقصده ملك هراة وهو السلطان حسين بن السلطان غياث

48/3

(64) يذكر أن طرمشيرين بعث بعدد من الرؤساء المغول مع طائفة من اتباعهم للدخول في خدمة السلطان محمد بن تغلق، وهناك رواية تقول أن طرمشيرين اجتاحت الهند وفرض على السلطان محمد تغلق اتفاقية سلام مشينة !

(65) ينحدر (اليسور) (YASAVUR) من جغتاي، لم يكن أبداً سلطاناً، انضم إلى الصراع بين آل جغتاي وبين الإيلخان، اجتاحت خراسان في مرتين متواليتين عام 714 = 1314 و عام 719 = 1319 وقتل عام 720 = 1320. ولم يعرف له غير ولد وحيد قازغان الذي ملك من عام 743=1343 إلى عام 746=1346 - على العكس من هذا فإن خليل المذكور هنا معروف على أنه درويش تركي، ويزعم أنه أحد المنحدرين من جنكيز خان، ورئيس روجي لبهاء الدين النقشبندی 718-791=1318-1389 مؤسس الطريقة الصوفية التي تحمل اسمه. هذا وتوجد قطع من العملة التي ضربت باسمه بتاريخ 742-744 = 1342 و 1344. كان عليه أن يظهر أثناء الفراغ السياسي الموجود فيما وراء النهر بعد وفاة تشينغشي (TCHENGSHI) وانسحاب أخيه يسن (YISEN) تيمور 738-740=1338-1340 في المالح - بارتولد - تركستان ص 595 تعليق 235

الدين الغوري (66) فأعلمه بما كان في نفسه وسأل منه الإعانة بالعساكر والمال على أن يشاطره ملكه إذا استقام له، فبعث معه الملك حسين عسكرياً عظيماً، وبين هراة والتَّرمذ تسعة أيام فلما سمع أمراء الإسلام بقدوم خليل تلقَّوه بالسمع والطاعة والرغبة في جهاد العدو.

وكان (67) أول قادم عليه علاء الملك خُداوُند زاده صاحب ترمذ (68)، وهو أمير كبير شريف حسيني النسب، فاتاه في أربعة آلاف من المسلمين، فسرَّ به وولَّاه وزارته وفوض إليه أمره وكان من الأبطال وجاء الأمراء من كل ناحية واجتمعوا على خليل والتقى مع بُوزُون، فمالت العساكر إلى خليل واسلموا بُوزُون وأتوا به أسيراً فقتله خُتْناً بأوتار القِسي، وتلك عادة لهم أنهم لا يقتلون من كان من أبناء الملك إلا خُتْناً واستقام الملك لخليل.

49/3

وعرض عساكره بسمرقند فكانوا ثمانين ألفاً عليهم وعلى خيلهم الدروع (69)، فصرف العسكر الذي جاء به من هراة، وقصد بلاد المالك، فقدم التتر على أنفسهم واحداً منهم، ولقوه على مسيرة ثلاث من المالك بمقربة من أطرار (70) وحمل القتال وصبر الفريقان فحمل الأمير خُداوُند زاده وزيره في عشرين ألفاً من المسلمين حملة لم يثبت لها التتر، فانهزموا واشتدَّ فيهم القتل، وأقام خليل بالمالك ثلاثاً وخرج إلى استيصال من بقي من التتر، فادَّعناؤه بالطاعة وجاز إلى تخوم الخطا والصين، وفتح مدينة قراقُرم ومدينة بَشْ بالغ (71)، وبعث إليه سلطان الخطا بالعساكر، ثم وقع بينهما الصلح وعظم أمر خليل وهابته الملوك وأظهر العدل ورتب العساكر بالمالك وترك بها وزيره خُدا وند زاده، وانصرف إلى سمرقند وبخاري.

50/3

(66) ستعرف المزيد عن غياث الدين الغوري

(67) يتعلق الأمر على ما يظهر بالهلف المبرم بين الرؤساء المسلمين المغول يعني رؤساء ما وراء النهر ضد المغول الكفار في الشرق.

(68) كان الأشراف المنحدرون من الأمير محمد صاحب ترمذ يتمتعون بالتقدير الكبير في المنطقة ابتداء من القرن السابع الهجري = الثالث عشر الميلادي، ولكون محمد خوارزمشاه يوجد في صراع مع الخليفة العباسي الناصر، فقد عيَّن أحد المعارضين للخلافة في شخص أحد الأشراف، المعروف فيما بعد تحت اسم خُدا واند زاده - الشخص المذكور من قبل ابن بطوطة كأمير كبير يظهر أنه ينحدر من هذه الأسرة - عن صراع خوارزم مع الناصر أنظر تاريخ ابن الأثير الجزري وابن واصل.

(69) حول استعمال الدروع بالنسبة للخيول والرجال عند الجيش المغولي انظر بلانو كاربيني Plano Carpini وقد وقفت في عدد من المتاحف الشرقية على أنواع من دروع الخيول.

(70) أطرار هكذا في النص (بالزاي) ويظهر أنه تحريف لكلمة أطرار (بالراء) وهناك مدينة تحمل، إسم طرز على نهر تلاس TAIAS على بعد 150 ميل شرق أطرار ونحو 300 ميل غرب المالك.

(71) قراقُرم العاصمة الأولى للمغول من (1230 إلى 1260) راح إليها جان دوبلان كاربان J.P. Carpin سفيراً عام 1246 لدى الخان الأعظم من البابا اينوصانت IV حيث ترك لنا مذكرات سفارته وكانت الأقدم مما وصلنا عن التتر - Bishbahgh العاصمة الحالية لسينكيانغ.

ثم إن الترك أرادوا الفتنة وسعوا إلى خليل بوزيره المذكور وزعموا أنه يريد الثورة، ويقول : إنه أحق بالملك لقربته من النبي صلى الله عليه وسلم وكرمه وشجاعته ! فبعث والياً إلى المالك عوضاً عنه وأمره أن يقدم عليه في نَقَر يسير من أصحابه، فلما قدم عليه قتله عند وصوله من غير تثبث، فكان ذلك سبب خراب ملكه !

وكان خليل لما عظم أمره بغى على صاحب هراة الذي أورثه الملك وجهزه بالعساكر والمال فكتب إليه أن يخطب في بلاده باسمه، ويضرب الدينار والدراهم على سكوته فغاض ذلك الملك حُسَيْنًا وأُنف منه، وأجابه بأقبح جواب فتجهز خليل لقتاله فلم توافقه عساكر الإسلام، ورأوه باغياً عليه وبلغ خبره إلى الملك حسين فجهاز العساكر مع ابن عمه مَلِك وَرْثَا والتقى الجمعان، فانهزم خليل وأوتي به إلى الملك حُسَيْن أسيراً فمَنَّ عليه بالبقاء وجعله في دار، وأعطاه جاريةً وأجرى عليه النفقة، وعلى هذه الحال تركته عنده في أواخر سنة سبع وأربعين عند خروجي من الهند (72).

51/3

ولنعد إلى ما كنا بسبيله : ولما ودَّعت السلطان طَرْمَشِيرِينَ سافرت إلى مدينة سمرقند (73)، وهي من أكبر المدن وأحسنها وأتمها جمالاً. مبنية على شاطئ وادي يعرف بوادي القصَّارين عليه النواعير تسقي البساتين، وعنده يجتمع أهل البلد بعد صلاة العصر للنزهة والتفرج، ولهم عليه مساطب ومجالس يقعدون عليها ودكاكين تباع بها الفاكهة وسائر المأكولات.

52/3

وكانت على شاطئه قصور عظيمة وعمارة تُنبئ عن علو هِمَم أهلها، فدثر أكثر ذلك، وكذلك المدينة خرب كثير منها ولا سور لها ولا أبواب عليها، وفي داخلها البساتين.

(72) عوض (تركته عنده) ينبغي أن نقرأ (بقي عنده) لأن ابن بطوطة لم يمر على هرات عند عودته عام 1347=747

(73) تقع سمرقند على الشاطئ الغربي لنهر زَرْفُشَان في أوزبكستان الحالية - ابن بطوطة التمس عليه هذا النهر بنهر فولون الذي يجري في نخشب. هدمت المدينة من طرف المغول عام 616=1219 ولم تستعد مكانتها إلا في القرن الثامن الهجري = أواخر القرن الرابع عشر الميلادي عندما اتخذ منها تيمور عاصمة له وجاء إليها بالعمال والفنانين والعلماء... وقد استمتعنا بزيارتها بمناسبة الاحتفالات المقامة على شرف الامام البخاري في غشت 1974.

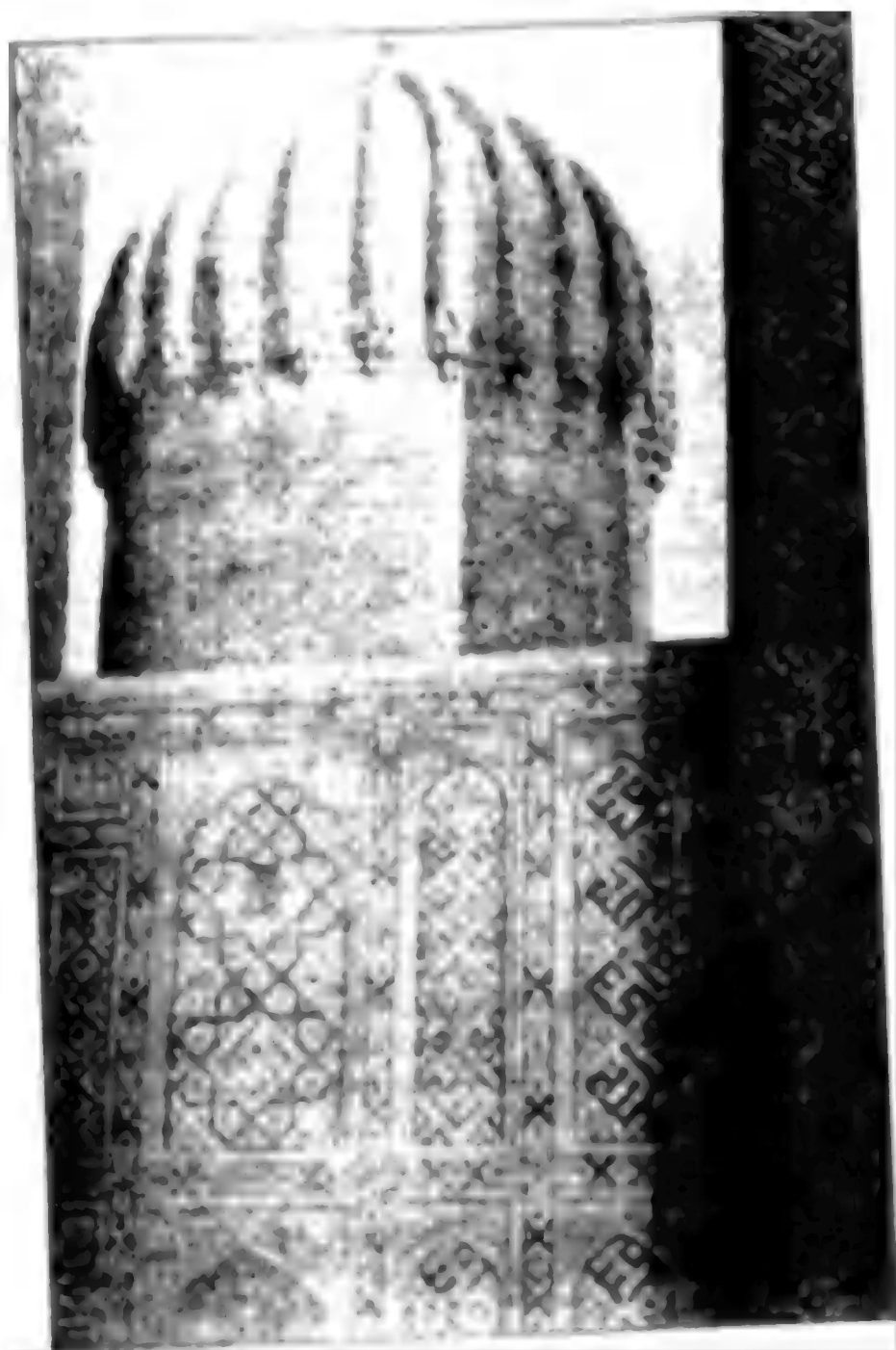


Figure 1. The dome of the tomb of the Prophet Muhammad (PBUH).

وأهل سمرقند لهم مكارم أخلاق ومحبة في الغريب وهم خير من أهل بخارى، وبخارج سمرقند قبر قُثم ابن العباس (74) بن عبد المطلب رضي الله عن العباس وعن ابنه وهو المستشهد حين فتحها ، ويخرج أهل سمرقند كل ليلة اثنين وجمعة إلى زيارته، والتتر يأتون لزيارته، وينذرون له النذور العظيمة ويأتون إليه بالبقر والغنم والدراهم والدنانير فيُصرف ذلك في النفقة على الوارد والصادر ولخدام الزاوية والقبر المبارك وعليه قبة قائمة على أربع أرجل، ومع كل رجل ساريتان من الرخام منها الخضر والسود والبيض والحر، وحيطان القبة بالرخام المجزّع المنقوش بالذهب، وسقفها مصنوع بالرصاص، وعلى القبة خشب الآبنوس المرصع مكسو الأركان بالفضة وفوقه ثلاثة من قناديل الفضة، وفرش القبة بالصوف والقطن (75) وخارجها نهر كبير يشق الزاوية التي هنالك وعلى حافتيه الأشجار ودوالي العنب والياسمين،

53/3

وبالزاوية مساكن يسكنها الوارد والصادر، ولم يغير التتر أيام كفرهم شيئا من حال هذا الموضع المبارك بل كانوا يتبركون به لما يرون له من الآيات، وكان الناظر (76) في كل حال هذا الضريح المبارك وما يليه حين نزولنا به، الأمير غياث الدين محمد بن عبد القادر بن عبد العزيز بن يوسف بن الخليفة المستنصر بالله العباسي، وقدمه لذلك السلطان طرُمشيين لما قدم عليه من العراق وهو الآن عند ملك الهند، وسيأتي ذكره.

54/3

ولقيتُ بسمرقند قاضيها المسمى عندهم صدر جهان (77)، وهو من الفضلاء ذوي المكارم، وسافر إلى بلاد الهند بعد سفري إليها فادركته منيته بمدينة ملتان قاعدة بلاد السند

55/3

(74) استشهد قُثم عام 56 هـ = 676 أثناء حصار المدينة حيث ورد صحيفة سعيد بن عثمان وانتشر الإسلام بسببه في آسيا الوسطى وما وراء النهر ويقع قبره في المجموعة المعمارية التي تحمل اسم شاه زنده : (الأمير الحي) التي تعتبر من أهم المجموعات الأثرية في آسيا الوسطى. ولكن الوصف اليوم يختلف كثيرا عما كان أيام ابن بطوطة .. إن الضريح اليوم - كما وقفنا عليه - يقع في بيت مربع حيث طليت صفائح الخزف المنقوشة بالمينا الفيروزي اللون. لقد نقشت على القبر هذه الكلمات : هذا مرقد أمير المؤمنين قُثم بن العباس رضي الله عنه ابن عم سيد المرسلين وخاتم النبيين ورسول رب العالمين عليه السلام ..

هذا ويفترض بعض المعلقين أن الاهتمام بهذا الضريح لم يتم إلا أيام العباسيين لانهم يجدون في ذلك احياء لذكرهم جدّهم العباس - بارتوك - تركستان - ص 182-183.

(75) ليس القصد إلى ترويض الأرض ولكن كذلك إلى تغطية الجدران وتأثيث الزاوية.

(76) تعتبر وظيفة الناظر من الوظائف الهامة في الحكومة المغربية وهي تختص بالنظر في الأوقاف المخصصة لسير المساجد والزاويا وأحيانا مساعدة بعض المشاريع الاجتماعية واقتداء الأسرى... ويستعمل اللفظ لحد الآن في الإدارة المغربية لهذا الغرض

(77) سبق أن ذكرنا أن كلمة النسر ربما كانت في المشرق تعني قاضي القضاة على ما سبق، وصدرالجهان تعني قاضي الدين...

حكاية [ملك الهند]

لما مات هذا القاضي بملتان كتب صاحب الخبر (78) بأمره إلى السلطان ملك الهند، وأنه قدم برسم بابه فأخترتم دون ذلك، فلما بلغ الخبر إلى الملك أمر أن يُبعث إلى أولاده عدد من آلاف الدنانير، لا أذكره الآن، وأمر أن يعطي لأصحابه ما كان يعطي لهم لو وصلوا معه وهو بقيد الحياة.

ولملك الهند في كل بلدٍ من بلاده صاحب الخبر يكتب له بكل ما يجري في ذلك البلد من الأمور وبمن يرد عليه من الواردين، وإذا أتى الوارد كتبوا من أي البلاد ورد، وكتبوا اسمه ونعته وثيابه وأصحابه وخيله وخدامه وهيئته من الجلوس والماكل وجميع شؤونه وتصرفاته، وما يظهر منه من فضيلة أو ضدها فلا يصل الوارد إلى الملك إلا وهو عارفٌ بجميع حاله فتكون كرامته على مقدار ما يستحقه!

56/3

وسافرنا من سمرقند فاجتزنا ببلدة نَسَف (79)، وإليها ينسب أبو حفص عمر النسفي (80) مؤلف كتاب المنظومة في المسائل الخلافية بين الفقهاء الأربعة (81) رضي الله عنهم. ثم وصلنا إلى مدينة تَرْمِذ (82) التي ينسب إليها الإمام أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي (83)، مؤلف الجامع الكبير في السنن، وهي مدينة كبيرة حسنة العمارة والأسواق

(78) صاحب الخبر يعني المكلف بالإعلام، وقد عرف عهد بني مرين هذه الوظيفة التي نسميها اليوم وزارة الأنباء، وقد كان المكلف بها في عصر السلطان أبي الحسن عامر بن فتح الله ... وينبغي أن نقف قليلا مع التعبير الجميل لابن بطوطة "برسم بابه" يعني أنه قدم خصيصا من أجله...
- ابن مرزوق: المسند الصحيح الحسن 361/177.

د. التازي: استراتيجية النبا في المغرب بحث قدم للنزوة الدولية التي عقدتها وم.ع. بمناسبة افتتاح مقرها الجديد بالرباط دجنبر 1988 - مجلة الدراسات الاعلامية (مصر) يناير 1989 العلم 1989/4/30

(79) يظهر أن ابن بطوطة يعتقد أن نَحْشَب، و نَسَف هما مدينتان مختلفتان، مع أنهما شيء واحد على ما أسلفنا، هذه المدينة التي تقع على الطريق من سمرقند إلى تَرْمِذ يمكن أن تكون هي كِش، شَهْر سابز الحالية (SHABZ-I-SABZ).

(80) نجم الدين عُمر بن محمد بن أحمد بن اسماعيل النُسَفي عالم بالفقه والأدب والتاريخ من فقهاء الحنفية، له نحو مائة مصنف، منها منظومة الخلافات، وهي رجز في الفقه يتألف من 2669 بيت ! وله القيد في علماء سمرقند "عشرون جزءا" والإشعار بالمختار من الأشعار (عشرون جزءا)، كان يلقب بمفتي الثقلين، وهو غير النسفي المفسر عبد الله بن أحمد أدركه أجله سنة 537=1142.

(81) حصلت على صورة للمنظومة من دار الكتب المصرية، ومن أبياتها العالقة بالذاكرة :

وردة الزج طلاق زوجته * وهي لدى الشيخين فسخ عقده !

(82) مدينة ترمذ (TERMEZ) الحالية على الساحل الشمالي لنهر جيحون لأمودريا عند الحدود الأفغانية مع جيرانها في الشمال، وقد خربت عام 617=1220 من لدن المغول.

(83) يعتبر الترمذي هذا من أئمة الحديث وحُفَاطَه... تتلمذ للبخاري وشاركه في بعض شيوخه... وله عدد من المؤلفات زيادة على الجامع، أدركه أجله بترمذ عام 279=892.

تخرقها الأنهار، وبها البساتين الكثيرة والعنب، والسفرجل بها كثير متناهي الطيب، واللحوم بها كثيرة، وكذلك الألبان، وأهلها يغسلون رؤوسهم في الحمام باللبن عوضاً من الطَّل (84) ويكون عند كل صاحب الحمام أوعية كبار مملوءة لبناً، فإذا دخل الرجل الحمام أخذ منها في إناء صغير فغسل رأسه وهو يرطب الشعر ويصلقه !

57/3

وأهل الهند يجعلون في رؤوسهم زيت السَّمسم، ويسمون السَّيراج ويغسلون الشعر بعده بالطفل فينعم الجسم ويصقل الشعر ويُطيله وبذلك طالت لحي أهل الهند ومن سكن معهم

وكانت مدينة التَّرمذ القديمة مبنية على شاطئ جيحون فلما خربها تنكيز بنيت هذه الحديثة على ميلين من النهر، وكان نزولنا بها بزاوية الشيخ الصالح عزيزان، من كبار المشايخ وكرمائهم، كثير المال والرباع والبساتين ينفق على الوارد والصادر من ماله.

واجتمعت قبل وصولي إلى هذه المدينة بصاحبها علاء الملك خُدا وند زاده، وكتب لي إليها بالضيافة، فكانت تُحمل إلينا أيام مقامنا بها في كل يوم، ولقيت أيضاً قاضيها قوام الدين وهو متوجه لرؤية السلطان طَرْمَشِيرين وطالب للذن له في السفر إلى بلاد الهند، وسيأتي ذكر لقائي له بعد ذلك ولأخويه ضياء الدين وبرهان الدين بمكّتان، وسفرنا جميعاً إلى الهند، وذكر أخويه الآخرين عماد الدين وسيف الدين، ولقائي لهما بحضرة ملك الهند، وذكر ولديه وقدمهما على ملك الهند بعد قتل أبيهما وتزويجهما ببنتي الوزير خواجه جهان وما جرى في ذلك كله إن شاء الله تعالى!

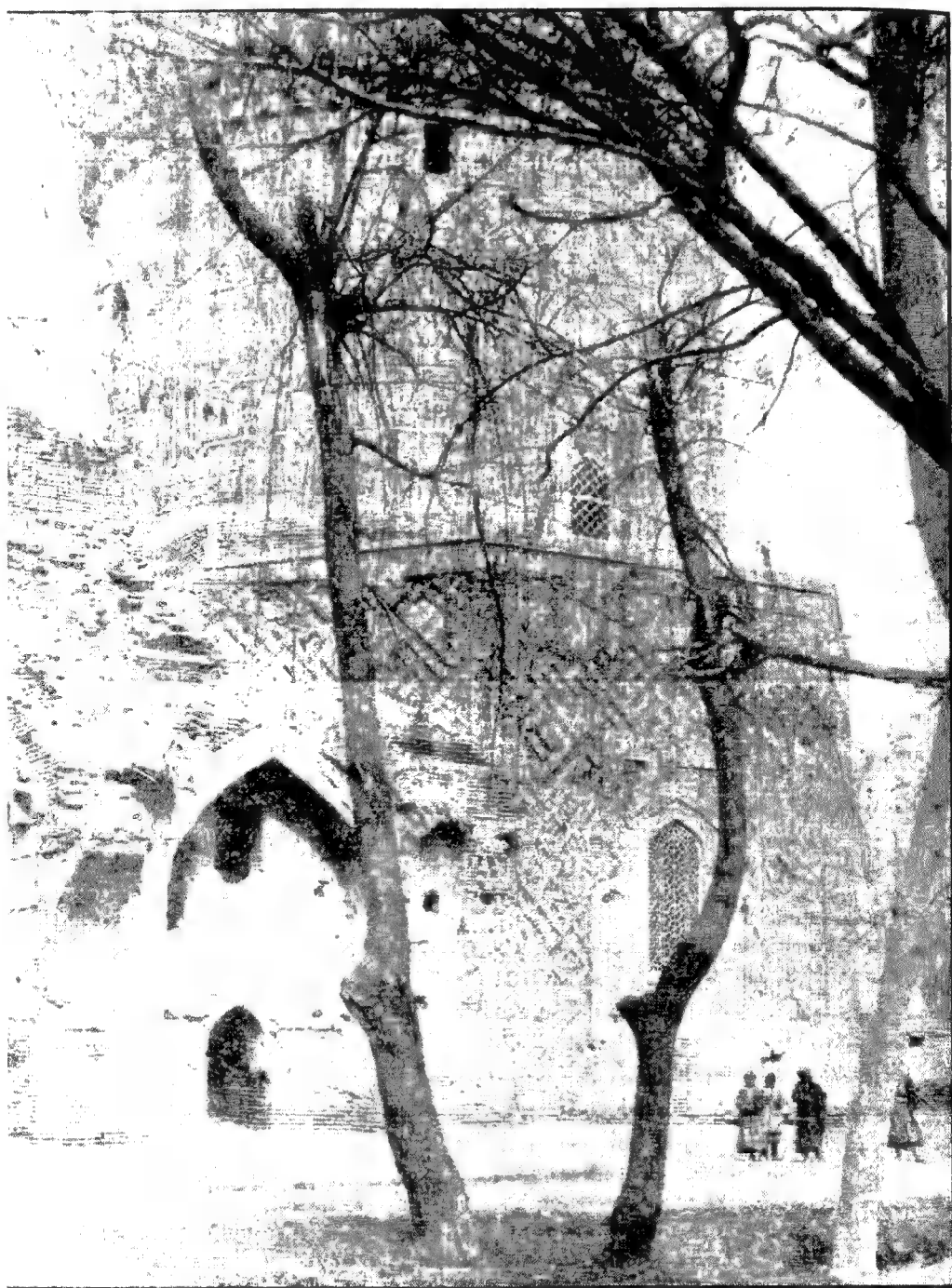
58/3

ثم أجزنا نهر جيحون إلى بلاد خراسان، وسرنا بعد انصرافنا من ترمذ وإجازة الوادي يوماً ونصف يوم في صحراء ورمال لا عمارة بها إلى مدينة بلخ (85)، وهي خاوية على

(84) الطَّل : نوع من الصلصال يستعمل لغسل الرأس على نحو البيلون المستعمل في بلاد الشام وخاصة في حلب حيث زودنا الإخوان منه بتشكيلة نظيفة... وإلى البيلون ينتسب الشيخ البيلوني مختصر رحلة ابن بطوطة، وما يزال هذا اللفظ : الطَّل مستعملاً في شمال المغرب - مسقط رأس ابن بطوطة. وهنا نرحل مع ابن بطوطة من جنوب روسيا إلى أفغانستان بعد أن زرنا عدداً من الأمم الأخرى التي تكون اليوم تاتارستان وجورجيا وقازاخستان وأوزبكستان وتركستان الخ.

(85) بلخ هي المدينة التي كان اليونانيون يسمونها (BACTRES) مدينة مهمة جداً في خراسان الشرقية، الشمال الغربي لأفغانستان الحالية، خربت في مرتين متواليتين أثناء اجتياح المغول ولم يمكنها أن تسترجع مركزها... هذه بلخ التي سماها العرب أم البلاد وقبة الإسلام...

- خليل الله خليلي سفير أفغانستان في العراق والكويت سابقاً - ابن بطوطة في أفغانستان مطبعة الجامعة، بغداد 1971 تقديم عبد الهادي التازي



صومعه بختورستان

عروشها غير عامرة، ومن رآها ظننها عامرة لإتقان بنائها وكانت ضخمةً فسيحة، ومساجدها ومدارسها باقية الرسوم حتى الآن ونقوش مبانيها مُدخلةً بأصبغة اللأزورد، والناس ينسبون اللأزورد إلى خراسان، وإنما يجلب من جبال بدخشان التي ينسب إليها الياقوت البدخشي، والعامّة يقولون : اللَّخْش (86)، وسيأتي ذكرها إن شاء الله تعالى، وخرّب هذه المدينة تنكيز اللّعين وهدم من مسجدها نحو الثُّلث بسبب كنزٍ ذُكر له أنه تحت ساريةٍ من سواريه، وهو من أحسن مساجد الدنيا وأفسحها، ومسجد رباط الفتح بالمغرب (87) يشبهه في عظم سواريه، ومسجد بلخ أجمل منه في سُوِي (88) ذلك.

59/3

حكاية [أميرة تبني مسجدًا]

ذكر لي بعض أهل التاريخ أن مسجد بلخ بنته امرأة كان زوجها أميرًا بلخ لبني العباس يسمّى داود بن علي (89)، فاتفق أن الخليفة غضب مرةً على أهل بلخ لحادثٍ أحدثوه فبعث إليهم من يُغرمهم مغرمًا فادحًا، فلما بلغ إلى بلخ أتى نسائها وصبيانها إلى تلك المرأة

60/3

(86) اللأزورد (LAPAS-Lazuli) يوجد في الجانب الأعلى من نهر كوكتشا Kokcha بدخشان توجد في أقصى الشمال الشرقي لأفغانستان، هذا وقد أشاد ماركوبولو بالأحجار الكريمة التي تشتهر بها المنطقة...

(87) عجيب أن ابن بطوطة لم يلفظ باسم (حسن) الذي ذكره (القرطاس) المكتوب عام 726، ويدعى المراكشي أنه لا يعلم في مساجد المغرب أكبر منه ناسيا جامع القرويين بفاس! هذا ومما يذكر هنا أن الهندسة المغربية جرت على أن طول الصومعة يعادل خمس مرات سعتها ولهذا نقول - لو كملت لكنت أكبر صومعة في الغرب والشرق طبعاً قبل بناء صومعة جامع الحسن الثاني بالدار البيضاء!!

J. Caille la ville de RABAT - PARIS 1954 - P. 155-174

ذ. التازي : جامع القرويين - بيروت 1972 ج. 1 ص 56.

(88) حدث عام 423=1033 أن وصلت سفارةً من بغداد إلي بلاط مسعود الغزنوي للأخبار بوفاة القادر بالله وأخذ البيعة للخليفة القائم بالله ... وكانت مناسبة ليصحب السفير ركب السلطان لأداء صلاة الجمعة في هذا المسجد الأعظم ... كان أمام السلطان أربعة آلاف من الفلمان ... ومعهم أعيان الحضرة والقضاة والفقهاء ومعهم رسول الخليفة يسير في الموكب ... ولما دخل السلطان المسجد جلس تحت المنبر وكانوا قد كسوه بالديباج الموشى بالذهب ... تفهم من هذا أن المسجد كان فسيحاً إلى درجة أنه كان يسع ذلك العدد الحافل إضافة إلى من كان فيه من المؤمنين ...

- تاريخ البيهقي، تعريب الأستاذ يحيى الخشاب، ص 319

(89) يظهر أن الصوّاب داود بن عباس الذي عاش هذا الحدث الطريف في النصف الأول من القرن الثالث. خليل الله خليلي ابن بطوطة في أفغانستان - مطبعة الجامعة - بغداد 1971 ص 22-23 تقديم عبد الهادي التازي

ENCY de l'Islam : BALK.

التي بنت المسجد، وهي زوج أميرهم، وشكوا حالهم وما لحقهم من هذا المغرم، فبعثت إلى الأمير الذي قدم برسم تغريمهم بثوبٍ لها مرصع بالجواهر قيمته أكثر مما أمر بتغريمه، فقالت له : اذهب بهذا الثوب إلى الخليفة، فقد أعطيتُه صدقةً عن أهل بلخ لضعف حالهم. فذهب به إلى الخليفة وألقى الثوب بين يديه وقصَّ عليه القصة فحجل الخليفة وقال : أتكون المرأة أكرم منا؟ وأمره برفع المغرم عن أهل بلخ، وبالعودة إليها ليردَّ للمرأة ثوبها، واسقط عن أهل بلخ خراج سنة !

61/3

فعاد الأمير إلى بلخ وأتى منزل المرأة وقص عليها مقالة الخليفة ورد عليها الثوب، فقالت له : أَوْفَعَ بصر الخليفة على هذا الثوب؟ قال : نعم، قالت : لا ألبس ثوباً وقع عليه بصر غير ذي محرم مني !! وأمرت ببيعه، فبني منه المسجد والزاوية ورباط في مقابلته مبنين بالكذآن، وهو عامر حتى الآن، وفضل من الثوب مقدار ثلثه فذكر أنها أمرت بدفنه تحت بعض سوارى المسجد ليكون هنالك متيسراً إن احتجج إليه خُرُج، فأخبر تنكيز بهذه الحكاية فأمر بهدم سوارى المسجد فهدم منها نحو الثلث ولم يجد شيئاً فترك الباقي على حاله، وبخارج بلخ قبر يذكر أنه قبر عكاشة بن مخصن الأسدي صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليمًا الذي يدخل الجنة بلا حساب (90)، وعليه زاوية معظمة بها كان نزولنا، وبخارجها بركة ماء عجيبة عليها شجرة جوز عظيمة ينزل الواردون في الصيف تحت ظلها.

62/3

وشيوخ هذه الزاوية يعرف بالحاج خُرد، وهو الصغير، من الفضلاء، وركب معنا وأرانا مزارات هذه المدينة منها قبر حزقييل (91) النبي عليه السلام وعليه قبة حسنة، وزرنا بها أيضا قبوراً كثيرة من قبور الصالحين لا أذكرها الآن، ووقفنا على دار إبراهيم بن أدهم (92) رضي الله عنه، وهي دار ضخمة مبنية بالصخر الأبيض الذي يشبه الكذآن، وكان زرع الزاوية مختزناً بها وقد سُدَّتْ عليه، فلم ندخلها وهي بمقربة من المسجد الجامع.

63/3

(90) حضر عكاشة المشاهد كلها مع النبي صلى الله عليه وسلم، وقتل في حرب الردة بأرض نجد عام 633=12 وفيه قيل الحديث الشريف الذي أصبح مضرب المثل "سبقك بها عكاشة" ! جواباً لصحابي سأل رسول الله أن يمنحه مثل ما منحه لعكاشة من امتيازات ...

(91) عندما شاهد ابن بطوطة هذا القبر المزعوم كان لا يزال عامر البناء إلا أنه انهدم واندثر بعد ذلك، هذا وليس هناك من سند يثبت نسبة هذا القبر إلى حزقييل (EZECHIEL)، وإن الموقع الأكثر شهرةً لقبر حزقييل يوجد قريباً من الحلة بيد أن ابن بطوطة لم يتحدث عنه هناك ...

(92) سبق الحديث عن إبراهيم بن أدهم، (137.1-173-176-185 II) 254

ثم سافرنا من مدينة بلخ فسرنا في جبال قوه استان (93) سبعة أيام وهي قرى كثيرة عامرة، بها المياه الجارية والأشجار المورقة، وأكثرها شجر التين، وبها زوايا كثيرة فيها الصالحون المنقطعون إلى الله تعالى، وبعد ذلك كان وصولنا إلى مدينة هرات وهي أكبر المدن العامرة بخراسان.

ومدن خراسان العظيمة أربع ثنتان عامرتان وهما : هرات ونيسابور (94) وثنان خريتان وهما بلخ ومرو (95)، ومدينة هرات كبيرة عظيمة كثيرة العمارة ولأهلها صلاح وعفاف ودينه، وهم على مذهب الامام أبي حنيفة رضي الله عنه، وبلدهم طاهر من الفساد

(1/3)

(93) قوهستان معناها أرض الجبال لا أكثر ولا أقل ولا تعني علماً جغرافياً محدد المعالم . والملاحظ حسيماً بقوله زميلنا الراحل السفير الأفغاني خليلي في تحقيقه عن ابن بطوطة في أفغانستان، أن الطريق العام الذي يمتد من بلخ إلى هرات هو الذي كانت القوافل تمر به قديماً محاذية لجورجان شيبورغان، بميناء نهر مرغاب، مرو الروذ، بادغيس - هرات ويخسف خليلي إلى هذا أن جورجان ترتبط بميناء بطريقين الطريق العام المذكور، والطريق الآخر طريق سربل - إذا فرضنا أن ابن بطوطة سلك الطريق الثاني فمن الغريب أنه لم يذكر سربل ولم يذكر مشهد الامام يحيى بن زيد بن علي بن الحسن بن علي رضي الله عنهم، وقد كانت قبة معمورة في ذلك الوقت - وقد ذكر مستوفي طريقاً من مرو الروذ إلى بلخ بشيء من الاختلاف - راجع التعليق الآتي رقم 115

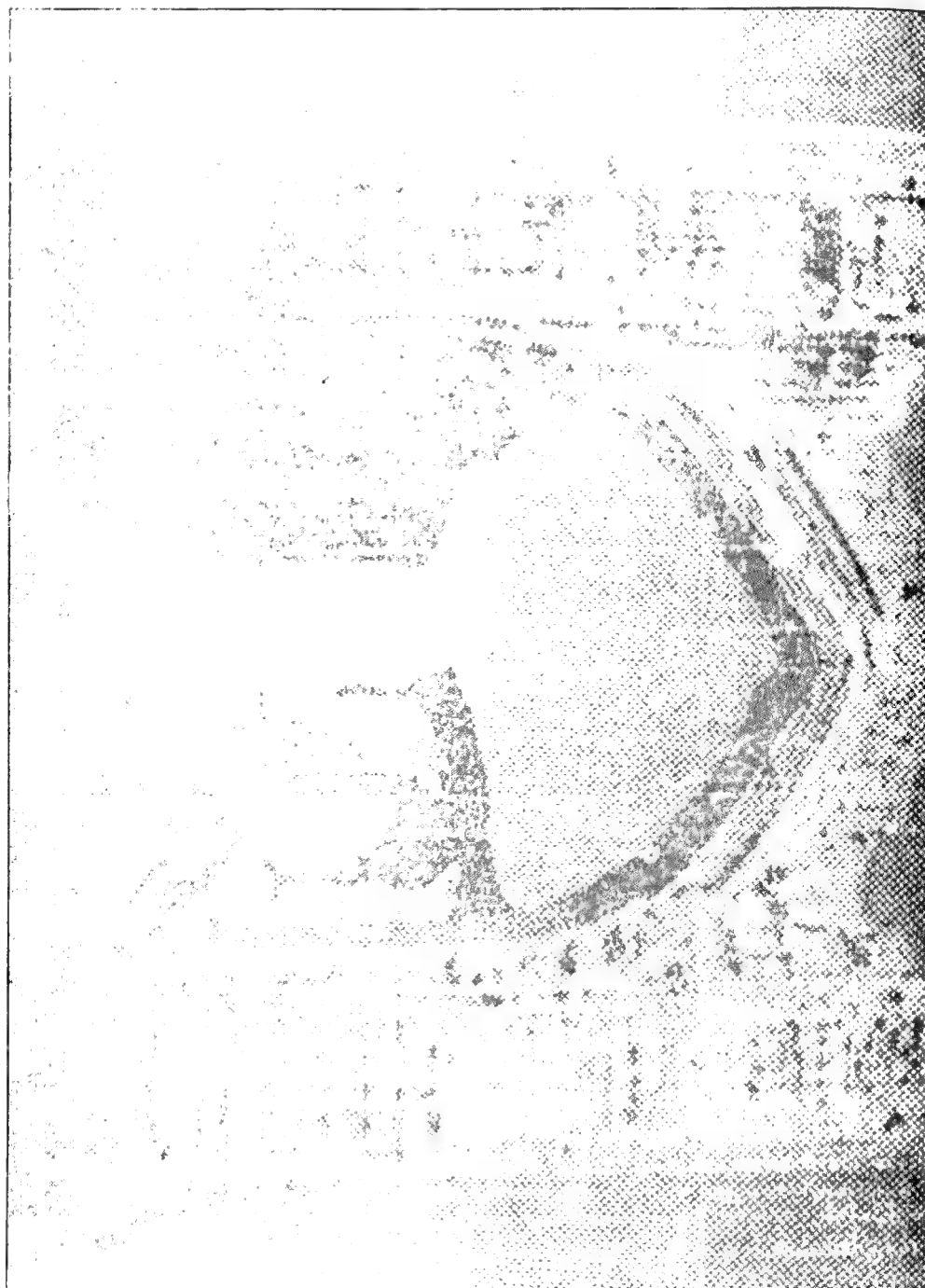
(94) معسر هرات أربعة قواعد إقليم خراسان الذي تشترك فيه اليوم أفغانستان وإيران، وقد وصفت على أنها أكبر وأغنى مدينة - وينعتها العلامة الشهير التفتازاني في كتابه (المطول) بأنها جنة النعيم بلدة طيبة ومقام كريم

لقد جمعت فيها المحاسن كلها وأحسنها الإيمان واليمن والامن
وقد رارها بأقرب وقال رجلاً في أعقابها التي كانت مضرب المثل
أدق من فكر اللبيب بذره أدق من قلب الغريب قبضه !!

وقد استغرب السفير خليلي رحمه الله من عدم ذكر ابن بطوطة شيئاً عن جامع هرات الذي كان من المعالم الضخمة الممتازة، وقد قال عنه ابن حوقل - وليس بخراسان وما وراء النهر وسجستان والجبال مسجد أعمر بالناس على دوام الأيام من مسجد هرات وبلخ - خليل الله خليلي هرات ج 1، ص 45، مطبعة المعارف، بغداد 1974

(95) كانت هناك في الواقع مدينتان تحملان هذا الاسم، ولكي يُميز بينهما عرفت الأولى بمرو الروذأي، مرو النهر، وهي قريبة من مرو الشاهجان بينهما خمسة أيام، وتنتع هذه بمرو العظمى وهي أشهر مدن خراسان وعاصمتها والنسبة إليها مروزي ويعرف المغاربة صحناً فاختراً يحمل إلى اليوم اسم المروزية يقال إسم نوارثوه عن عرفوه في مرو ! في مرو شاهجان هذه عاش ياقوت لفترة طويلة قبل أن يخربها جنكبر خان عام 618=1221 ويعترف أنه لولا خرابها لفصل البقاء بها حتى الممات، وفي هذه المدينة وقعت له المناظرة الحريفة حول ضبط العلم الجغرافي (حباشة) السوق الذي كان الرسول عليه الصلوات ينجر فيه بهامة لحساب السيدة خديجة - وكانت تلك المناظرة كما يقول ياقوت في المقدمة باعثاً له لتأليف معجم البلدان اسماً منه في ضبط العلم الجغرافي على ما هو - انظر معجم البلدان المقدمة ومادة حباشة ومادة مرو ، راجع المقدمة

ضريح عكاشة في بلخ والمسجد الجامع في هرات



ذكر سلطان هرات

وهو السلطان المعظم حسين بن السلطان غياث الدين الغوري (96) صاحب الشجاعة الماثورة والتأييد والسعادة، ظهر له من إجماد الله تعالى وتأييده في موطنين اثنين ما يقضي منه العجب : أحدهما عند ملاقاته جيشه للسلطان خليل الذي بغى عليه وكان منتهى أمره حصوله أسيراً في يديه.

والموطن الثاني عند ملاقاته بنفسه لمسعود سلطان الرفضة وكان منتهى أمره تبديده وفراره وذهاب ملكه وولى السلطان حسين الملك بعد أخيه المعروف بالحافظ وولى أخوه بعد أبيه غياث الدين (97).

حكاية الرفضة

كان بخراسان رجلان : أحدهما يسمى بمسعود^١ والآخر يسمى بمحمد وكان لهما خمسة من الأصحاب، وهم من الفتاك ويعرفون بالعراق بالشطار ويعرفون بخراسان سربالان (98) ويعرفون بالمغرب بالصقورة، فاتفق سبعتهم على الفساد وقطع الطرق وسلب

65/3

(96) معز الدين حسين ثالث ولد للسلطان غياث الدين وقد أدركه أجله يوم 3 ذي القعدة 770=1370 وهذه الأسرة من بلاد الغور : الجبال المركزية في أفغانستان جنوب غربي أفغانستان، وقد افتتن ابن بطوطة بشجاعة هذا الملك من ملوك آل كرت، وكان قيام هذه الأسرة في عام 643=1345 وانقراضها عام 791=1389 على يد تيمور

(97) توفي السلطان غياث الدين سنة 728=1328 وقد خلفه أبناءه : شمس الدين الثاني 728-1329=729-1328 وحافظ 729-1328=31-1329 ومعز الدين حسين سالف الذكر... والسلطان غياث الدين آل كرت هو الذي أتم بناء جامع هرات الذي رأيناه برّم بشكل مشرف في عهد الملك محمد ظاهر شاه ...

(98) سربالان، هكذا رسمت في سائر النسخ التي بين أيدينا، والقصد إلى السربدار، وقد جاء اسم (SAR DE DAR) من أن عبد الرزاق مؤسس هذه الإمارة التي عوضت الإيلخان في غرب خراسان أراد أن يحت أنصاره على مساندته في ثورته ضد والي خراسان من لدن الإيلخان فخطب فيهم قائلاً : "... إذا ما تحركتم بفتور سيكون مالنا الموت، وإنه لمن الأفضل ألف مرة، أن نرى رؤوسنا معلقة على المشنقة (SAR BE DAR) على أن نموت جبناءً !!". وقد كان أول رئيس للسلسلة السربدارية - عبد الرزاق، موظفًا عند أبي سعيد بهادر، ثار عندما مات هذا الأخير عام 735=1335، وقتل من طرف أخيه وجيه الدين مسعود عام 739=1339، وقد حكم مسعود إلى عام 744=1344، أمّا محمد فيظهر أنه أحد خلفائه...

- د. التازي . إيران بين الأمس واليوم ص 96 مصدر سابق.

الأموال وشاع خبرهم وسكنوا جبلاً منيعاً بمقربة من مدينة بيهق وتُسمى أيضاً مدينة سنّزار (99)، وكانوا يكمنون بالنهار ويخرجون بالليل والعشي، فيضربون على القُرى ويقطعون الطرق ويأخذون الأموال. وانتال عليهم أشباههم من أهل الشر والفساد فكثُر عددهم واشتدّت شوكتهم وهابهم الناس وضربوا على مدينة بيهق فملكوها، ثم ملكوا سواها من المدن واكتسبوا الأموال وجنّدوا الجنود، وركبوا الخيل وتسمى مسعود بالسلطان وصار العبيد يفرّون عن مواليتهم إليه، فكلُّ عبدٍ فرّ منهم يعطيه الفرس والمال، وإن ظهرت له شجاعة أمره على جماعة، فعظم جيشه واستفحل أمره وتمذهب جميعهم بمذهب الرفض وطمحو إلى استيصال أهل السنة بخراسان وأن يجعلوها كلمة واحدة رافضية.

66/3

وكان (100) بمشهد طوس شيخ من الرافضة يسمى بحسن (101)، وهو عندهم من الصلحاء فوافقهم على ذلك وسمّوه بالخليفة، وأمرهم بالعدل فأظهروه حتى كانت الدراهم والدنانير تسقط في معسكرهم فلا يلتقطها أحد حتى يأتي ربّها فيأخذها! وغلبوا على نيسابور.

وبعث إليهم السلطان طَغْتِيمُور بالعساكر فهزموها ثم بعث إليهم نانيه أرغون شاه (102) فهزموه وأسروه ومثّوا عليه، ثم غزاهم طَغْتِيمُور بنفسه في خمسين ألفاً من التتر

67/3

(99) سنّزار القصد إلى SABZAWAR وتنطق بين العامة سَبْزُور، وحسب باقوت فان سبزور كانت قصبة لبيهي - 64 ميلاً غرب نيسابور، وقد احتلت من لدن السربدار الذين انطلقوا من سبزور إيران، عام 1338-1337=737.

- خليلي: ابن بطوطة، ص 47 - د. التازي: مع ابن بطوطة في إيران، ص 96 تعليق رقم 130.
(100) ينبغي أن تلفت النظر إلى هذه الأحداث التي شهدتها خراسان مما يتعلق بالصراع الرهيب بين المذهب السني والمذهب الشيعي في أعقاب الوفاة الطارئة على السلطان أبي سعيد بهادور. لقد كان ابن بطوطة يروي أخبارها عن شاهد عيان، وهو يتحدث عن خراسان، وبالرغم من أن المصادر الفارسية لم تهمل هذه الأحداث التي تمخضت - ولأول مرة في التاريخ - عن إنشاء أول إمارة شيعية إلا أن تلك المصادر تظل شحيحة إذا ما قارناها بالتفاصيل الثرية التي قدمها الرحالة المغربي عن الأصول الأولى لهذه الإمارة التي كانت تحاول فرض المذهب الشيعي بالقوة، والتي انتهت في الأخير إلى العدول عن الفكرة.
- د. التازي: مع ابن بطوطة في إيران، ص 96/95.

- M. MOZAFARI: IRAN P 36.

(101) طوس قريبة جداً من مدينة مشهد الحالية كما يأتي والقصد بحسن إلى الزعيم الشيعي المعروف حسن جورى (Djuri) الذي حرر من سجنه في نيسابور وأصبح العضد الأيمن لمسعود وقد تقدم الحديث عن طَغْتِيمُور: علال الفاسي: المدرسة الكلامية وأثر الشيخ الطوسي - إيران
(102) أرغون ابن نوروز بن أرغون كان مغولاً أميراً لخراسان، وهو نفسه أحرز بعد سنة 1335=735 على إمارة تضم طوس، نيسابور، ومرو. وقد تقدم الحديث عن والده نوروز ولما غلب أرغون من لدن السربداريين الذين احتلوا هذه المدينة عام 1338=738 التجأ إلى طَغْتِيمُور وقد احتفظ المنحدرون منه بالمنطقة حتى وصول تيمور ...

فهمروه وسكرو البلاد وتغلبوا على سرحس والزاه وطوس، وهي من أعظم بلاد خراسان وجعلوا خيفتهم يستشهد علي بن موسى الرضى (103)، وتغلبوا على مدينة الجام، ونزلوا بخارجها وهم قاصدون مدينة هرات، وبينها وبينهم مسيرة ست.

فما بلغ ذلك الملك حسينا جمع الأمراء والعساكر وأهل المدينة واستشارهم: هل يقيمون حتى يأتي القوم أو يمشون إليهم فيناجزونهم، فوقع إجماعهم على الخروج إليهم وهم قبيلة واحدة يسمون الغورية، ويقال: إنهم منسوبون إلى غور الشام، وأن أصلهم منه (104)، فتجهزوا أجمعون واجتمعوا من أطراف البلاد وهم ساكنون بالقرى وبصحراء مرغيس (105)، وهي مسيرة أربع لا يزال غشيبها أخضر ترعى منه ماشيتهم وخيلهم، وأكثر شجرها الفستق ومنها يحمل إلى أرض العراق، وعصدهم أهل مدينة سبمان (106)، ونفروا جميعاً إلى الرافضة وهم مائة وعشرون ألفاً ما بين رجالة وفرسان، ويقودهم الملك حسين، واجتمعت الرافضة في مائة وخمسين ألفاً من الفرسان، وكانت الملاقاة بصحراء بوشنج (107)، وصبر

68/3

(103) توجد قبر علي الرضا الامام الشيعي الثامن المتوفي عام 191 هـ = 817 بمدينة مشهد بطوس (إيران) وقد قمت بزيارته في أوائل السبعينات وأواسط التسعينات فشاهدت المنبركين به من كل حدب وصوب.

(104) هذا القول حصص فيه هناك فرق بين الغور (بضم العين) هنا وبين الغور بفتحها في بلاد الشام وفيه عني هذا بين القول بأن أصل هؤلاء من أولاد محسن خيل.

(105) (مرغيس) هكذا في سائر النسخ بالميم والراء والقصد إلى بادغيس بالذال، وقد فصل القول في هذه التسمية علماء الجغرافيا العرب وغيرهم في مؤلفاتهم، وكتب عنها الهمداني واليعقوبي وابن خردادبة بشكل مختصر، أما ابن حوقل وباقون فقد ذكروها بشكل مفصل وأكثر شجر هذه المنطقة من خراسان الفستق، ومنها يحمل إلى الجهات الأخرى في أوروبا بما فيها اليونان. ومما يذكر أن الاسكندر ملك اليونان لما غلب بلاد فارس كان من جملة المواد التي وقع التنصيص عليها تسليم كميات من عسندر بادغيس إلى اليونان سنوياً ' ولم يلبثوا أن نقلوا فسانل من عادات بادغيس إلى أراضي الأتريق.

سواء البلدان لاعتماد السلطنة

خليل الله خليلي ابن بطوطة في أفغانيسنان ص 48-49.

دائستامنة جنس إسلام، حرف د جزء أول نهران 1990

(106) سبمان التي تقع على بعد 100 ميل شرقي طهران احتلت بعد تصدع دولة إيلخان من لدن جلال الدولة اسكندر بن زيار (734=761-1334) سلطان مازيبدوان - السريدار مسعود قتل في معركة ضد هذا الأمير عام 1344=744

(107) تقع بوشنج على الحدود الإيرانية الأفغانية، وربما عرّيت إلى فوشنج، وقد عين الشريف الادريسي موقعها في خريطة، ويقال: إنها أرض فرعون وهامان، ويذكر السمعاني أن العباس ابن عبد المطلب وزع على شيوخ من أهل التجارة. وفيها يقول أبو الفضل هاجيا

يا سقى الله أرض مغزلة فلا سقى الله أرض بوشنج

الإنسان الذي يرى ابن بطوطة في إيران، ص 98، تعليق 133

الفريقان معاً ثم كانت الدائرة على الرافضة، وفر سلطانهم مسعود، وثبت خليفتهم حسن في عشرين ألفاً حتى قتل وقتل أكثرهم وأسير منهم نحو أربعة آلاف (108).

وذكر لي بعض من حضر هذه الواقعة أن ابتداء القتال كان في وقت الضحى وكانت الهزيمة عند الزوال، ونزل الملك حسين بعد الظهر فصلى. وأتى بالطعام، فكان هو وكبراء أصحابه يأكلون وسائرهم يضربون أعناق الأسرى، وعاد إلى حضرته بعد هذا الفتح العظيم، وقد نصر الله السنة على يديه وأطفأ نار الفتنة. وكانت هذه الواقعة بعد خروجي من الهند عام ثمانية وأربعين (109).

69/3

ونشأ بهرات رجل من الزهاد الصلحاء الفضلاء، واسمه نظام الدين مولانا (110) وكان أهل هرات يحبونه ويرجعون إلى قوله وكان يعظهم ويذكرهم وتوافقوا معه على تغيير المنكر وتعاقد معهم على ذلك خطيب المدينة المعروف بمك ورتنا، وهو ابن عم الملك حسين ومتزوج بـزوجة والده، وهو من أحسن الناس صورة وسيرة، والملك يخافه على نفسه وسنذكر خبره وكانوا متى علموا بمنكر ولو كان عند الملك غيروه.

70/3

حكاية [منكر بدار الملك]

ذكر لي أنهم تعرفوا يوماً أن بدار الملك حسين منكرًا فاجتمعوا لتغييره وتحصن منهم بداخل داره، فاجتمعوا على الباب في ستة آلاف رجل فخاف منهم، فاستحضر الفقيه وكبار البلد وكان قد شرب الخمر فأقاموا عليه الحد بداخل قصره وانصرفوا عنه !

(108) قد كنت أشعر بالحسرة وأنا أعيش مع هذه الصفحات الدامية من تاريخ هذه المرحلة وكنت أتساءل هل من فرق بين أهل السنة والشيعة في ربهم ونبيهم وقرآنهم وفروع دينهم... إن كل ما عرفته من فرق بين الطائفتين أن هؤلاء... «الرافضة»، يتعلقون بالبيت، وهذا ما فهمه الإمام الشافعي من «الرفض» عند ما قال

إن كان رفضاً حب آل محمد فليشهد الثقلان أنني رافضي !

(109) عام 748=1347... والجدير بالذكر أن المصادر الفارسية تؤكد أن هذه المعارك ابتدأت يوم الخميس 13 صفر 743=18 يولييه 1342، ويعلق د. موحد قاتلا، ص 436، ج 1 : حارب الأمير وحيد الدين مسعود بين 13 صفر 743 وسنة 748، وكان ميدان المعركة على بعد ميلين من زاره، ويقول ظهير الدين مرعشي : أن الحرب المستعرة دامت ثلاثة أيام وثلاث ليال... د. التازي : ابن بطوطة، ص 99، تعليق 135

(110) يذكر خليلي (ص 47) أن نظام الدين مولانا هو عبد الرحيم واشتهر بعد ذلك بـ (بیرتسلیم)، أي شيخ التسليم، وسمي كذلك لأنه ضحى بنفسه لإنقاذ مواطنيه، وذكر فصيح خافي اسم أبيه فصيح الدين محمد... وضبط استشهاده عام 737=1337 ويقول المؤرخ الهروي معين الدين اسفزاری إن نظام الدين استشهد على يد الغز لا على يد الغوريين الذين أشار إليهم ابن بطوطة... ضريحه موجود بجوار ضريح فخر الدين الرازي في خيابان قرب مدينة هرات

- يراجع تعليق الناشرين D.S. ج 3 ص 456-457

حكاية هي سبب قتل الفقيه نظام الدين المذكور

كانت الأتراك المجاورون لمدينة هرات الساكنون بالصحراء وملكهم طُغَيْتْمُور، الذي مر ذكره، وهم نحو خمسين ألفاً يخافهم الملك حسين ويهدي لهم الهدايا في كل سنة ويداريهم وذلك قبل هزيمته للرافضة، وأما بعد هزيمته للرافضة فتغلب عليهم، ومن عادة هؤلاء الأتراك التردد إلى مدينة هرات، وربما شربوا بها الخمر وآتاهم بعضهم وهو سكران فكان نظام الدين يحد من وجد منهم سكرانا.

71/3

وهؤلاء الأتراك أهل نجدة وبأس ولا يزالون يضربون على بلاد الهند فيسبون ويقتلون، وربما سبوا بعض المسلمين اللاتي يكنّ بأرض الهند ما بين الكفار، فإذا خرجوا بهنّ إلى خراسان يطلق نظام الدين المسلمين من أيدي التُّرك، وعلامة النسوة المسلمين بأرض الهند ترك ثقب الأذن! والكافرات أذانهن مثقوبات، فاتفق مرة أن أميراً من أمراء الترك يسمّى تُمُورُ الطي سبى امرأة وكلف بها كلفاً شديداً فذكرت أنها مسلمة، فانتزعها الفقيه من يده، فبلغ ذلك من التركي مبلغاً عظيماً وركب في آلاف من أصحابه وأغار على خيل هرات وهي في مراعاها بصحراء مرغيس واحتملوها فلم يتركوا لأهل هرات ما يركبون ولا يحلبون، وصعدوا بها إلى جبل هناك، فبعث إليهم رسولاً يطلب منهم ردّ ما أخذوه من الماشية والخيل ويذكّرهم العهد الذي بينهم، فأجابوا بأنهم لا يردّون ذلك حتى يُمكنوا من الفقيه نظام الدين، فقال السلطان: لا سبيل إلى هذا!

72/3

وكان الشيخ أبو أحمد الجشتي حفيد الشيخ مودود الجشتي (111)، له بخراسان شأن عظيم وقولُه معتبر لديهم، فركب في جماعة خيل من أصحابه ومماليكه، فقال: أنا أحمل الفقيه نظام الدين معي إلى الترك ليرضوا بذلك، ثم أردّه، فكان الناس مالوا إلى قوله، ورأى الفقيه نظام الدين اتّفاقهم على ذلك فركب مع الشيخ أبي أحمد ووصل إلى الترك فقام إليه الأمير تُمُورُ الطي، وقال له: أنت أخذت امرأتي منّي، وضربه بدبوسه فكسر دماغه فخر ميتاً! فسقط في أيدي الشيخ أبي أحمد وانصرف من هناك إلى بلده وردّ الترك ما كانوا أخذوه من الخيل والماشية!

73/3

(111) مودود الجشتي 537-633 = 1142-1236، هو في الأصل من جشت في سجستان شرقي إيران الحالية بين هرات والغور وهو مؤسس الطريقة الجشتية، المشهورة وخاصة بالهند. وقد ورد ذكر أحمد الجشتي في المصادر كوسيط بين غياث الدين سلطان هرات والأمير ياسور أثناء الحوادث التي جرت عام 719=1319.

- خليلي الله خليلي ابن بطوطة، 55/54/53 - الناشران D.S. صفحة 457.

وبعد مدةٍ قدم ذلك التركي الذي قتل الفقيه على مدينة هرات فلقية جماعة من أصحاب الفقيه فتقدموا إليه كأنهم مسلمون عليه وتحت ثيابهم السيوف فقتلوه وفر أصحابه ١١

ولما كان بعد هذا بعث الملك حسين ابن عمه ملك ورنّا الذي كان رفيق الفقيه نظام الدين في تغيير المنكر رسولاً إلى ملك سجستان (١١١٢) فلما حصل بها بعث إليه أن يقيم هنالك ولا يعود إليه فقصد بلاد الهند ولقيته وأنا خارج منها بمدينة سيوستان من السند (١١١٣).

74/3

وهو أحد الفضلاء وفي طبعه حبّ الرياسة والصيد والبزاة والخيول والممالك والأصحاب واللباس الملوكي الفاخر، ومن كان على هذا الترتيب فإنه لا يصلح حاله بأرض الهند، فكان من أمره أن ملك الهند ولأه بلاداً صغيراً وقتله به بعض أهل هرات المقيمين بالهند ! بسبب جارية، وقيل إن ملك الهند دس عليه من قتله بسعي الملك حسين في ذلك ولأجله خدم الملك حسين ملك الهند وأعطاه مدينة بكار (١١١٤) من بلاد السند ومجباها خمسون ألفاً من دنانير الذهب في كل سنة .

75/3

ولنعد إلى ما كنا بسبيله فنقول : سافرنا من هرات إلى مدينة الجام (١١١٥)، وهي متوسطة حسنة، ذات بساتين وأشجار وعيون كثيرة وأنهار، وأكثر شجرها التوت، والحرير بها كثير، وهي تُنسب إلى الولي العابد الزاهد شهاب الدين أحمد الجام (١١١٦)، وسنذكر حكايته، وحفيده الشيخ أحمد المعروف بزاده الذي قتله ملك الهند، والمدينة الآن لأولاده، وهي محررة من قبيل السلطان، ولهم بها نعمة وثروة.

(١١٢) كانت سجستان على ذلك العهد تتوفر على إمارة محلية تخضع للمغول. وقد كان من الأمراء الحاكمين هناك على ذلك العهد قطب الدين محمد (١٣٣١-١٣٤٥) الذي عوض بولده تاج الدين المتوفى عام ١٣٥٠ وأخيه عز الدين ١٣٣٣-١٣٨٢

(١١٣) سيواستان يتعلق الأمر، على ما يبدو بمدينة سهوان (SEHWAN) التي تقع على نهر السند شمال حيدر آباد حيث نجد ابن بطوطة سيأخذ طريقه ليرى السلطان ويستأنه في الذهاب إلى الحجاز.

(١١٤) مدينة بكار (BAKKAR) تقع على الطريق الشمالي لنهر السند حوالي ١٢٠ ميلاً شمال ملتان.

(١١٥) مدينة الجام تسمى حالياً تربة شيخ جام، سابقاً كان تسمى بوزجان أو بوشكان الواقعة في قوهستان على حدود بادغيس، على الطريق المستقيم من هرات إلى نيسابور وطوس، وقد أعطى مستوفى (ص ١٧١) المسافات هكذا ٣٠ فرسخاً من هرات إلى بوشكان، و ٣٨ من بوشكان إلى نيسابور. نلاحظ أن استعمالنا هنا لاسم قوهستان يعني موقعاً جغرافياً يحمل هذا الاسم على عكس استعماله في التعليق السالف رقم ٩٣ من هذا الفصل التاسع فإنه هناك يعني فقط أرض الجبال...

(١١٦) أحمد الجام عاش فيما بين ٤٤١-٥٣٦ = ١٠٤٩ و ١١٤٢ رجل صالح شهير في المنطقة لدرجة أن تيمور قصد قبره للزيارة، وسيأتي المزيد من الحديث عنه.

وذكر لي من أثق به أن السلطان أبا سعيد ملك العراق قدم خراسان مرةً ونزل على هذه المدينة وبها زاوية الشيخ، فاضافه ضيافة عظيمة وأعطى لكل خيـاء بمحلته رأس غنم، ولكل أربعة رجال رأس غنم، ولكل دابةً بالملحة من فرس وبغل وحمار علف ليلة فلم يبق في الملحة حيوان إلا وصلته ضيافة

76/3

حكاية الشيخ شهاب الدين الذي تنسب إليه مدينة الجام

يُذكر أنه كان صاحب راحةٍ أكثرًا من الشرب، وكان له من الندماء نحو ستين وكانت لهم عادة أن يجتمعوا يومًا في منزل كل واحد منهم فتدور النوبة على أحدهم بعد شهرين، وبقوا على ذلك مدةً، ثم إنَّ النوبة وصلتُ يومًا إلى الشيخ شهاب الدين فعقد النوبة ليلة النوبة، وعزم على إصلاح حاله مع ربِّه، وقال في نفسه: إن قلت لأصحابي إنني قد تبت قبل اجتماعهم عندي ظنوا ذلك عجزًا عن مؤنتهم، فأحضر ما كان يحضر مثله قبل من مأكول ومشروب، وجعل الخمر في الزقاق، وحضر أصحابه فلما أرادوا الشرب فتحوا زقًا فذاقه أحدهم فوجده خلًّا، ثم فتحوا ثانيًا فوجده كذلك، ثم ثالثًا فوجده كذلك، فكلَّموا الشيخ في ذلك فخرج لهم عن حقيقة أمره، وصدقهم حين بكَرهه⁽¹¹⁷⁾، وعرفهم بتوبته، وقال لهم: والله ما هذا إلا الشراب الذي كنتم تشربونه في ما تقدم، وتابوا جميعًا إلى الله تعالى، وبنوا تلك الزاوية وانقطعوا بها لعبادة الله تعالى، وظهر لهذا الشيخ كثير من الكرامات والمكاشفات.

77/3

ثم سافرنا من الجام إلى مدينة طوس (118) وهي من أكبر بلاد خراسان وأعظمها، بلد الإمام الشهير أبي حامد الغزالي (119) رضي الله عنه، وبها قبره، ورحلنا منها إلى مدينة مشهد الرضا (120) وهو علي بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي

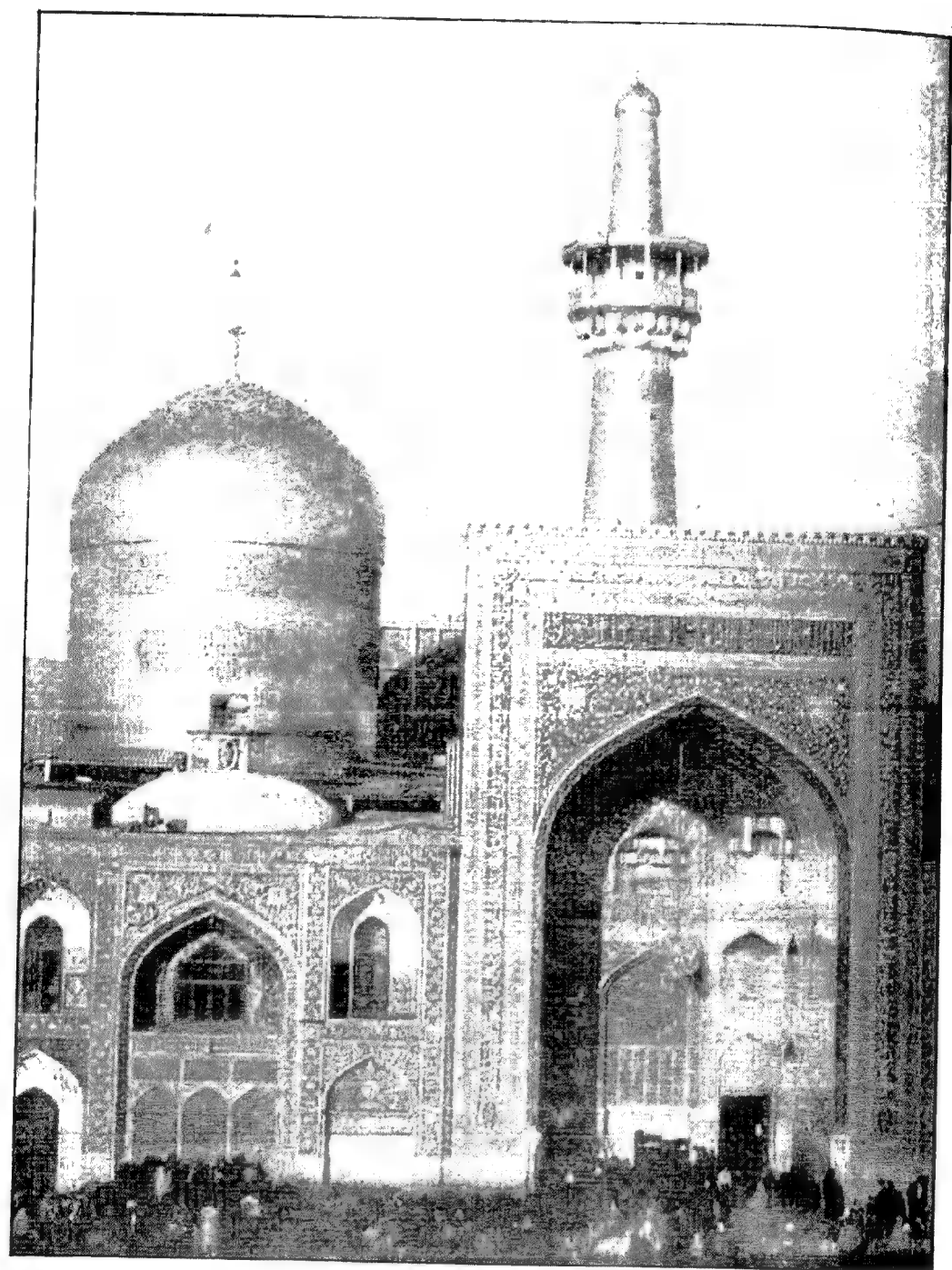
78/3

(117) هذا تعبير جرى مجرى المثل كشف لهم حين بكَرهه أي جملة، البكر الفتي من الإبل... صدقهم الله حول ما فعل، وفي نسخة: سرَّ فكره، وفي أخرى بما في فكره لكن النسخة الأصلية التي اعتمدنا عليه تذكر ما قلناه: كشف لهم حين بكَرهه

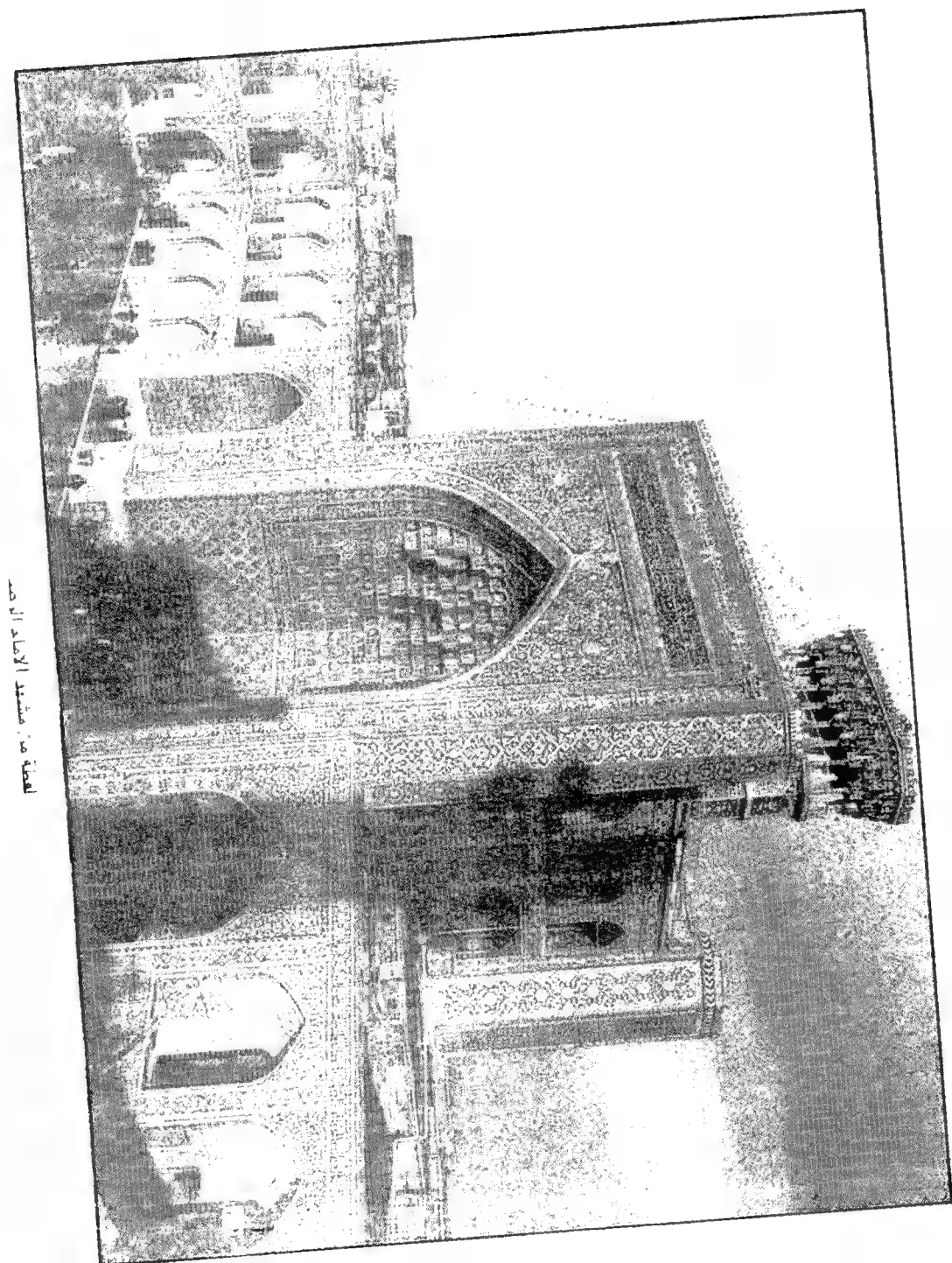
(118) طوس مدينة تقع على بضعة أميال شمال مشهد الحالية، مدينة اجتاحت من قبل جنكيز عام 617=1220، وأعيد بناؤها من لدن الأمير قيراط أرغون، ظلت كإقطاعية للمنحدرين منه الذين كوَّنوا إمارة لهم (755-759=1354-1358)، وبقيت تحت هيمنة هؤلاء إلى وصول تيمور، وقد قام هذا بتحطيم طوس نهائيًا ولم يعد في إمكانها أن تسترجع ساحتها وقد عوضت بمدينة مشهد انظر التعليق 101.

(119) يعتبر الإمام الغزالي من أشهر رجال الفكر الإسلامي في العصر الوسيط وقد ولد وتوفي في طوس 450=504-1058=1111 كان أستاذًا للمدرسة النظامية في بغداد. وقد اختفى قبره اليوم في طوس.

(120) (مشهد) الحالية القرية القديمة التي كانت تحمل اسم سناناد حيث دفن الإمام الرضا 203=818 على ما باتي



مشهد الإمام الرضا عليه السلام



العمارة من مسجد الإمام أبي عبد الله

زين العابدين بن الحسين الشهيد بن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (121) رضي الله عنهم، وهي أيضا مدينة كبيرة ضخمة كثيرة الفواكه والمياه والآراء الطاحنة، وكان بها الطاهر محمد شاه والطاهر عندهم بمعنى النقيب عند أهل مصر والشام والعراق، وأهل الهند والسند وتركستان يقولون: السيد الأجل (122).

وكان أيضا بهذا المشهد القاضي الشريف جلال الدين لقيته بأرض الهند والشريف علي، وولده أمير هندو ودولة شاه (123) وصحبوني من الترمذ إلى بلاد الهند وكانوا من الفضلاء.

والمشهد المكرم عليه قبة عظيمة في داخل زاوية وتجاورها مدرسة ومسجد، وجميعها ملبح البناء مصنوع الحيطان بالقاشاني، وعلى القبر دكانة خشب ملبسة بصفائح الفضة، وعليه قناديل فضة معلقة، وعتبة باب القبة فضة وعلى بابها ستر حرير مذهب، وهي مبسوبة بأنواع البسط وإزاء هذا القبر قبر هارون الرشيد أمير المؤمنين (124) رضي الله عنه وعليه دكانة يضعون عليها الشمعدانات، التي يعرفها أهل المغرب بالحسك، والمنائر، وإذا دخل الرافضي للزيارة ضرب قبر الرشيد برجله وسلم على الرضا!!

ثم سافرنا رى مدينة سرخس (125) وإليها ينسب الشيخ الصالح لقمان السرخسي (126) رضي الله عنه.

(121) على الرضا بن موسى الكاظم الامام الثامن عند الشيعة 183-202=799-818 كان أسود اللون، أمه حبشية أحبته المأمون العباسي فعهد اليه بالخلافة من بعده وزوجه ابنته وضرب اسمه على الدينار والدرهم وغير من أجله الرزي العباسي من السواد إلى الخضرة. قبره على الشراب الإيراني مات في حياة المأمون بطوس فدفنه إلى جانب أبيه الرشيد ولكن لم تتم له الخلافة وعاد المأمون إلى السواد (122) أصبح قبره بسرعة مزارا للناس وسائر جهات الدنيا كما قلنا سابقا. يؤيد أن الاهتمام بالمشهد تطور وتكاثر بعد تنصيب الصفويين في بداية القرن العاشر الهجري السادس عشر. وقد كانت آخر زيارة لي لمتحفه ومكتبته العظيمة يوم 1996/6/4 صحبة ولدي بسر

(122) الطاهر نقيب الأشراف هو رئيس السادة المنحدرين من الرسول صلى الله عليه وسلم بواسطة الامام علي كرم الله وجهه.

(123) سنقف فيما بعد على شريف يحمل اسم علي ولكنه ليس ملقبًا بجلال الدين

(124) هارون الرشيد كان أعظم خلفاء بني العباس توفي بطوس عام 193=809 أثناء حركة له في خراسان وبأمر من ولده المأمون دفن بطوس كما أسلفنا ...

(125) تقع سرخس شرق طوس ومشهد على الحدود بين إيران وبين روسيا على الطريق الذاهب من مشهد الإيرانية إلى مرو الأفغانية.

(126) ذكر هذا الشيخ عند الجامي في (نفحات الأنس) ولكن لا تتوفر على معلومات عن تاريخ ميلاده ووفاته...

ثم سافرنّا منها إلى مدينة زاوة (127)، وهي مدينة الشيخ الصالح قطب الدين حيدر (128)، وإليه تنتسب طائفة الحيدرية من الفقراء، وهم الذين يجعلون حلق الحديد في أيديهم وأعناقهم وأذانهم ويجعلونها أيضاً في ذكورهم حتى لا يتأتى لهم النكاح !!

80/3

ثم رحلنا منها فوصلنا إلى مدينة نيسابور (129)، وهي إحدى المدن الأربع التي هي قواعد خراسان ويقال لها دمشق الصغيرة لكثرة قواكهها وبساتينها ومياهها وحسنها وتخرقها أربعة من الأنهار، وأسواقها حسنة متسعة ومسجدها بديع وهو في وسط السوق ويليّه أربع من المدارس يجري بها الماء الغزير، وفيها من الطلبة خلق كثير يقرأون القرآن والفقه وهي من حسان مدارس تلك البلاد.

ومدارس خراسان والعراقين ودمشق وبغداد ومصر، وإن بلغت الغاية من الإتقان والحسن فكلها تقصر عن المدرسة التي عمرها مولانا أمير المؤمنين المتوكل على الله المجاهد في سبيل الله عالم الملوك . وواسطة عقد الخلفاء العادلين أبو عنان وصل الله سعده ونصر

81/3

(127) زاوه هي : تربة حيدرية الحالية تقع جنوب غربي مشهد، وهكذا فإن خط سير ابن بطوطة كان ذا تعرجات، وبهذا يرتفع إشكال أنه ربما كان لا يضبط تحديد الاتجاهات في رحلته .
- د. التازي : ابن بطوطة في إيران، ص 106، تعليق 137

(128) قطب الدين حيدر المتوفى عام 618=1221 كان تلميذاً لجمال الدين الصائبي مؤسس الطريقة الصوفية الملامتية (القلندرية)، أسس هو كذلك الطريقة الحيدرية التي انتشرت في أسيا الصغرى وفي الهند، وربما كان هو الذي أدخل استعمال الحشيش كوسيلة للوصول إلى التخلص من التفكير على ما سلف.

وفضيلة النوم الخروج بأهله من عالم هو بالأذى مجبول !!

وتذكرني حالة الحيدرية فيما ورد عن أحد الملامتية (مولاي اسناتو) الذي قلع أسنانه حتى لا يلتذ بالذئب !! الكتاني : سلوة الأنفاس 1 ص 218.

(129) خربت نيسابور من قبل المغول عام 618=1221 ثم بسبب زلزال ضربها عام 679=1280 ومع ذلك كانت عاصمةً لمملكة جاني قُرْباني في عام 738=1338 عندما احتلت من قبل السُرْبَدَار مسعود . حوالي أواخر القرن أصبحت تحت هيمنة آل كرت بهرات قبل أن تفتح من قبل تيمور . ونحن نعلم أن نيسابور كانت في القرن الخامس الهجري مركزاً من المراكز الثقافية الكبرى في شرق العالم الإسلامي لتعدد مدارسها وطلبته على نحو ما كانت عليه تونس وفاس والقاهرة بفضل جامع الزيتونة والقرويين والأزهر...

جندته وهي التي عند القصبة من حضرة فاس حرسها الله تعالى فإنها لا نظير لها سعة وارتفاعاً، ونقش الجص بها لا قدرة لأهل المشرق عليه (130)

ويصنع بنيسابور ثياب (131) الحرير من النخ والكمشاء وغيرها، وتحمل منها إلى الهند. وفي هذه المدينة زاوية الشيخ الإمام العالم القطب العابد قطب الدين النيسابوري أحد الوعاظ العلماء الصالحين، نزلت عنده فأحسن القرى وأكرم، ورأيت له البراهين والكرامات العجيبة.

كرامة له

كنت قد اشتريت بنيسابور غلاماً تركياً فأراه معي، فقال لي : هذا الغلام لا يصلح لك فبِعْهُ، فقلت له : نعم، وبعت الغلام في غد ذلك اليوم، واشتراه بعض التجار، وواعدتُ الشيخ وانصرف، فلما حلت بمدينة بسطام كتب إلي بعض أصحابي من نيسابور وذكر أن الغلام المذكور قتل بعض أولاد الأتراك وقُتل به ! وهذه كرامة واضحة لهذا الشيخ رضي الله عنه (132).

82/3

وسافرت من نيسابور إلى مدينة بسطام (133) التي ينسب إليها الشيخ العارف أبو

(130) علق أبو القاسم الرّياني في الترجمانة الكبرى على إطاء ابن بطوطة لمدرسة السلطان أبي عنان بأن هذا من الثغالي في الكذب... فإن في كل إقليم من أقاليم بلاد العرب كمصر والشام والعراق التي شاهدها... ما هو مثلاً وأعلى منها ضخامة وتأنقاً وحسناً، وأما بلاد العجم والترك فحدث عن البحر ولا حرج... وقد عقب عبد الحي الكتاني على الرّياني متهماً إياه بالجهل والغرض وعدم الإنصاف... هذا ونذكر هنا بأن المدرسة البوعنانية المذكورة هنا هي غير الزاوية البوعنانية سالفة الذكر... والتي التبتت على الترجامة بالمدرسة، كما نذكر بأن (القصبة) هنا علم جغرافي لموقع بمدينة فاس قريب من المدرسة البوعنانية يعرف حتى الآن بالقصبة حيث كان الجيش يعسكر لحماية الأمن... وقد تطلق عبارة (القصبة) على العاصمة...

(131) يذكر ابن حوقل أن نيسابور تعرف بآبرشهر، وفيها يقول أبو تمام

أيا سَهري بليلة آبرشهرِ ذممت إليّ نوماً في سواها !

وتحدث عن فنادق البرّازين فيها ويرتفع منها من أصناف البز وفاخر القطن والقز ما ينقل إلى بلاد الاسلام وبعض بلدان الشرق لكثرة وجودته وإيثار الملوك والرؤساء لكسوته...

(132) لا أدري بماذا نعلل عدم اهتمام ابن بطوطة بزيارة ضريح عُمر الخيام - وهو من هو في العلم والادب والتاريخ - قال البقّطى في نعته : إنه إمام خراسان وعلامة الزمان يعلم علم يونان ويبحث على طلب الواحد الديان أدركه أجله 515=1121

(133) بسطام تقع على منتصف الطريق الذي يربط طهران بمشهد، كانت مدينة زاهرة على عهد ياقوت الحموي...

يزيد البسطامي (134) الشهير رضي الله عنه، وبهذه المدينة قبره ومعه في قبة واحدة أحد أولاد جعفر الصادق (135) رضي الله عنه، وببسطام أيضا قبر الشيخ الصالح الولي أبي الحسن الخرقاني.

وكان (136) نزولي من هذه المدينة بزاوية الشيخ أبي زيد البسطامي، رضي الله عنه ثم سافرت من هذه المدينة على طريق هند خير (137) إلى قندوس (138) وبغلان (139)، وهي

(134) يعرف البسطامي تحت اسم بايزيد، وهو من أشهر رجال التصوف في الإسلام يوجد على رأس لائحة الملامية وقد توفي في سنة 260=874، ضريحه مشهور ومقصود، وهو الذي سئل أبيصبي العارف: فأجاب: وكان أمر الله قدرا مقدورا! يعني أن معصيتهم بحكم القدر النافذ فيهم!! ابن عربي: الفتوحات المكية ج III ص 410 طبع الهيئة المصرية العامة للكتاب 1974 تصدير د. إبراهيم مذكور.

(135) هذا مما استأثر بذكره الرحالة المغربي بيد أن عدداً من أضرحة أبناء الأئمة التي تحمل اسم إمام زاده توجد متناثرة في إيران، ومن بينها ضريح محمد ابن جعفر الصادق الامام السادس الذي يوجد في جرجان شمال بسطام.

(136) يعتبر أبو الحسن الخرقاني كوارثروحي للشيخ البسطامي، وقد أدركه أجله سنة 425=1034

(137) يعقب على ابن بطوطة هنا أنه أولا كانما قام بأخذ طائفة مروجية من بسطام، ليجد نفسه في قندوس وبغلان!! انظر الخريطة. وهكذا يلاحظ السفير خليلي في كتابه (ابن بطوطة في أفغانستان) أولاً من بسطام إلى قندوس مسافة جد طويلة، هناك عدة مدن وقصبات في عرض الطريق لم يذكر شيئا ولو مختصرا عنها...

ثانياً: يقول ابن بطوطة أنه وصل بغلان وقندوس عن طريق (هند خير) وهي طريق لم تكن معروفة، وإذا ما صحت إشارة بعض المستشرقين إلى أن (هندخير) هي مدينة أندخود (المذكورة عند ابن حوقل ص 323 - لندن 1882) المعروفة اليوم أندخوى: مائة ميل غرب بلخ فإننا مع ذلك نتساءل لماذا لم يذكر ابن بطوطة شيئا عن المدن التي كانت في طريقه غير أندخود، وفي ظني - يقول خليلي - أن عدداً من الصحائف قد سقطت من النسخ المطبوعة! وأقول إن النسخ المخطوطة التي أتوفر عليها سواء منها المغربية أو الأوروبية تختلف بين رسم الكلمة هند خير أو مندخي (مندخان؟) أما مختصر الرحلة للأزهري ومنتقاهما للبيروني فقد تجنبنا عبارة (على طريق هند خير)!

وفي الختام أذكر - تأكيداً لما قاله خليلي من سقوط بعض الصفحات - بأن ابن جزري قال في آخر الرحلة انتهى ما لخصته من تقييد الشيخ ولهذا فقد يكون نقص الصفحات من صنيع ابن جزري الذي لم يتجاوز ثلاثة شهور في اختصار ما سجله ابن بطوطة قرابة ثلاثين سنة!!
- خليل الله خليلي - ابن بطوطة في أفغانستان، مطبعة الجامعة، بغداد 1971. يراجع تعليق الناشرين D.S. - د. التازي مع ابن بطوطة في إيران.

(138) قندوس من مدن طخارستان شمال أفغانستان، والبلدانيون القدامى لم يذكروا اسم هذه المدينة... وكلمة قندوس مخففة أو معربة من كهندر وتعني القلعة القديمة... مدينة تجارية، جعلت منها زراعة القطن مدينة ذات ثروة كبيرة، واليهما تنسب الثياب القندسية التي ورد ذكرها في رحلة أبي حامد الغرناطي. ص 118 يراجع التعليق 56 ج 2 ص 186

(139) بغلان من مدن طخارستان، والمسافة بين بغلان وقندوس هي أكثر من ثلاثين ميلا، وقد شاهدتهما الرحالة المغربي بعد تدمير جنكيز حيث وجدتهما أقرب إلى القريتين منهما إلى المدينتين! ولقد اكتشفت آثار المدينت القديمة فيها نتيجة التحريات والحفريات...

83/3 قرى فيها مشايخ وصالحون، وبها البساتين والأنهار فنزلنا بقدوس على نهر ماء به زاوية لأحد شيوخ الفقراء من أهل مصر، بسمى بشير سيّاه ومعنى ذلك الأسد الأسود، وأضافنا بها والى تلك الأرض، وهو من أهل الموصل، وسكانه ببستان عظيم هنالك، وأقمنا بخارج هذه القرية نحو أربعين يوماً لرعي الجمال والخل، وبها مراعي طيبة وأعشاب كثيرة، والأمن بها شامل بسبب شدة أحكام الأمير بُرنطيه (140)، وقد قدمنا أن أحكام الترك في من سرق فرساً أن يعطي معه تسعة مثله، فإن لم يجد ذلك أخذ فيها أولاده، فإن لم يكن له أولاد ذبح ذبح الشاة والناس يتركون دوابهم مهملّة دون راع بعد أن يسم كل واحد دوابه في أفخاذها، وكذلك فعلنا في هذه البلاد

84/3 واتفق أن تفقدنا خيلنا بعد عشر من نزولنا بها، ففقدنا منها ثلاثة أفراس، ولما كان بعض نصف شهر جابنا التتر بها إلى منزلنا، خوفاً على أنفسهم من الأحكام.

وكنا نربط في كل ليلة إزاء أخبيتنا فرسين لما عسى أن يقع بالليل، ففقدنا الفرسين ذات ليلة، وسافرنا من هنالك، وبعد اثنتين وعشرين ليلة جاعوا بهما إلينا في أثناء طريقنا.

85/3 وكان أيضاً من أسباب إقامتنا خوف الثلج، فإن بإثناء الطريق جبلاً يقال له هِنْدُوكُوش (141) ومعناه قاتل الهنود، لأن العبيد والجواري الذين يُوتي بهم من بلاد الهند يموت هنالك الكثير منهم لشدة البرد وكثرة الثلج، وهو مسيرة يوم كامل، وأقمنا حتى تمكّن دخول الحر (142)، وقطعنا ذلك الجبل من آخر الليل، وسلطنا به جميع نهارنا إلى الغروب، وكنا نضع اللبود بين أيدي الجمال وتطأ عليها لنلا تُغرّق في الثلج !

ثم سافرنا إلى موضع يعرف بآندر (143)، وكانت هنالك فيما تقدم مدينة عُفى رسمها،

(140) بُرنطيه أو برنتيه لم نستطع - كما أسلفنا - أن نقف على ذكره حتى في المصادر الأفغانية - حول عقوبة سرقة الخيول انظر الفصل 3

(141) تُعدّ سلسلة جبال (هندوكش) (Hindu Kush) بمنزلة العمود الفقري لأفغانستان وأن الجبال التي تقع في الشمال والجنوب من أفغانستان هي فروع لهندوكش، وورد في كتاب الاستاق اسم هذا الجبل بما يمكن ترجمته هكذا - أعلى من طيران العقاب - وتبلغ قمته أكثر من 7000 متر. ولقد أقام الرحالة المغربي في بغلان حوالي أربعين يوماً حتى يساعد الطقس لعبور قمم هندوكش، وباليات ابن بطوطة، يقول خليلي كان حيا اليوم ليرى كيف استطاع الانسان بعلمه اختراق هندوكش في ساعة واحدة!! خليلي 62.

(142) هذه الإشارة التي نقلتنا إلى فصل الربيع لسنة 735 = 1335 أو (733-1333) تشهد بأن التقلات كانت صعبة في خراسان ..

(143) أوردها ابن بطوطة هكذا (آندر) وهي (آندراب) مدينة صغيرة شمال هندوكش، وهي يقول خليلي - غير مدينة آندراب (ANDARAB) التي تقع في أردبيل وغير آندراب التي في مرو وشاهينجان، وهي النقطة الأولى في شمال هندوكش التي توقف فيها الاسكندر، وكانت القصة التي تستخرج من مناجم تدوّب في آندراب - خليلي - ابن بطوطة في أفغانستان ص 60-61.

ونزلنا عنده وأكرمنا، وكان متى غسلنا أيدينا من الطعام يشرب الماء الذي غسلناها به لحسن اعتقاده وفضله، وسافر معنا إلى أن صعدنا جبل هندوكوش المذكور ووجدنا بهذا الجبل عين ماء حارة فغسلنا منها وجوهنا فتقشرت وتألّمت لذلك !

ثم نزلنا بموضع يعرف ببنج هير (١٤٤)، ومعنى بنج خمسة، وهير الجبل، فمعناه خمسة جبال، وكانت هناك مدينة حسنة كثيرة العمارة على نهر عظيم أزرق كأنه بحر ينزل من جبال بدخشان، وبهذه الجبال يوجد الياقوت الذي يعرفه الناس بالبلخش، وخرب هذه البلاد تنكيز ملك التتر فلم تعمر بعد، وبهذه المدينة مزار الشيخ سعيد المكي وهو معظّم عندهم.

86/3

ووصلنا إلى جبل بشاي (١٤٥)، وضبطه بفتح الباء المعقودة والشين المعجم وألف وباء ساكنة، وبه زاوية الشيخ الصالح أطا أولياء، وأطا بفتح الهمزة معناه بالتركية الأب، وأولياء باللسان العربي، فمعناه أبو الأولياء، ويسمى أيضا سيصد صالّ، وسيصد بسين مهمل مكسورة وباء مد وصاد مهمل مفتوح ودال مهمل ومعناه بالفارسية ثلاثمائة، وصاله بفتح الصاد المهمل واللام معناه عام، وهم يذكرون أن عمره ثلاثمائة وخمسون عامًا ولهم فيه اعتقاد حسن ويأتون لزيارته من البلاد والقرى ويقصده السلاطين والخواتين، وأكرمنا وأضافنا، ونزلنا على نهر عند زاويته، ودخلنا إليه فسلمت عليه وعانقني وجسمه رطب لم أر ألين منه، ويظن رأيته أن عمره خمسون سنة، وذكر لي أنه في كلّ ماية سنة ينبت له الشعر والأسنان، وأنه رأى أبارهم الذي قبره بمثلتان من السند وسألته عن رواية حديث، فأخبرني بحكايات وشككت في حاله والله أعلم بصدقه.

87/3

ثم سافرنا إلى برّون (١٤٦)، وضبطها بفتح الباء المعقودة وسكون الراء وفتح الواو وآخرها نون، وفيها لقيت الأمير برّونطيه، وضبط اسمه بضم الباء وضم الراء وسكون النون

(١٤٤) جبال بنج هير ذكرها الاصطخرى وابن حوقل ... وأشارا إلى أن من معانها الفضة واللازورد، وكان في بنجر دار لضرب العملة من الفضة المذابة في اندراب، وتحمل أسماء الخلفاء العباسيين وسلاطين البلاد. وعين الماء الحار لا تزال موجودة حتى اليوم، أما مقبرة المكي التي ذكرها فلم يعثر على أثرها ...

- خليلي : ص 64-65.

(١٤٥) يظن الأستاذ خليلي أن (جبل بشاي) يعني (الجبل الصغير) وهو يقع بالقرب من كلبهار ويسميه الأهالي بهذا الاسم ... وكان فيه من قديم الزمان ضريح سماه الناس الشيخ العارف، وربما كان هذا المرقد مرقد الشيخ آتا الذي تلاقى معه ابن بطوطة، ويذكر أن من جملة أسماء المنطقة في القديم كافرستان لوجود الكفار بها، وهي تسمى اليوم نورستان في وادي بنج هير ...

(١٤٦) برّون : تقع عند ملتقى بنج هيروكوريان، 45 ميلا شمال كابل، ويعتقد بعض المستشرقين أن قلعة الاسكندرية التي بناها الاسكندر كانت بالقرب من بروان وقد ورد الاسم في خريطة الادريسي.

وفتح الطاء المهمل وياء آخر الحروف مسكّن وهاء، وأحسن إليّ وأكرمني.

وكتب إلى نوابه بمدينة غزنة في إكرامي، وقد تقدم ذكره وذكر ما أُعطي من البسطة في الجسم، وكان عنده جماعة من المشايخ والفقراء أهل الزوايا.

88/3

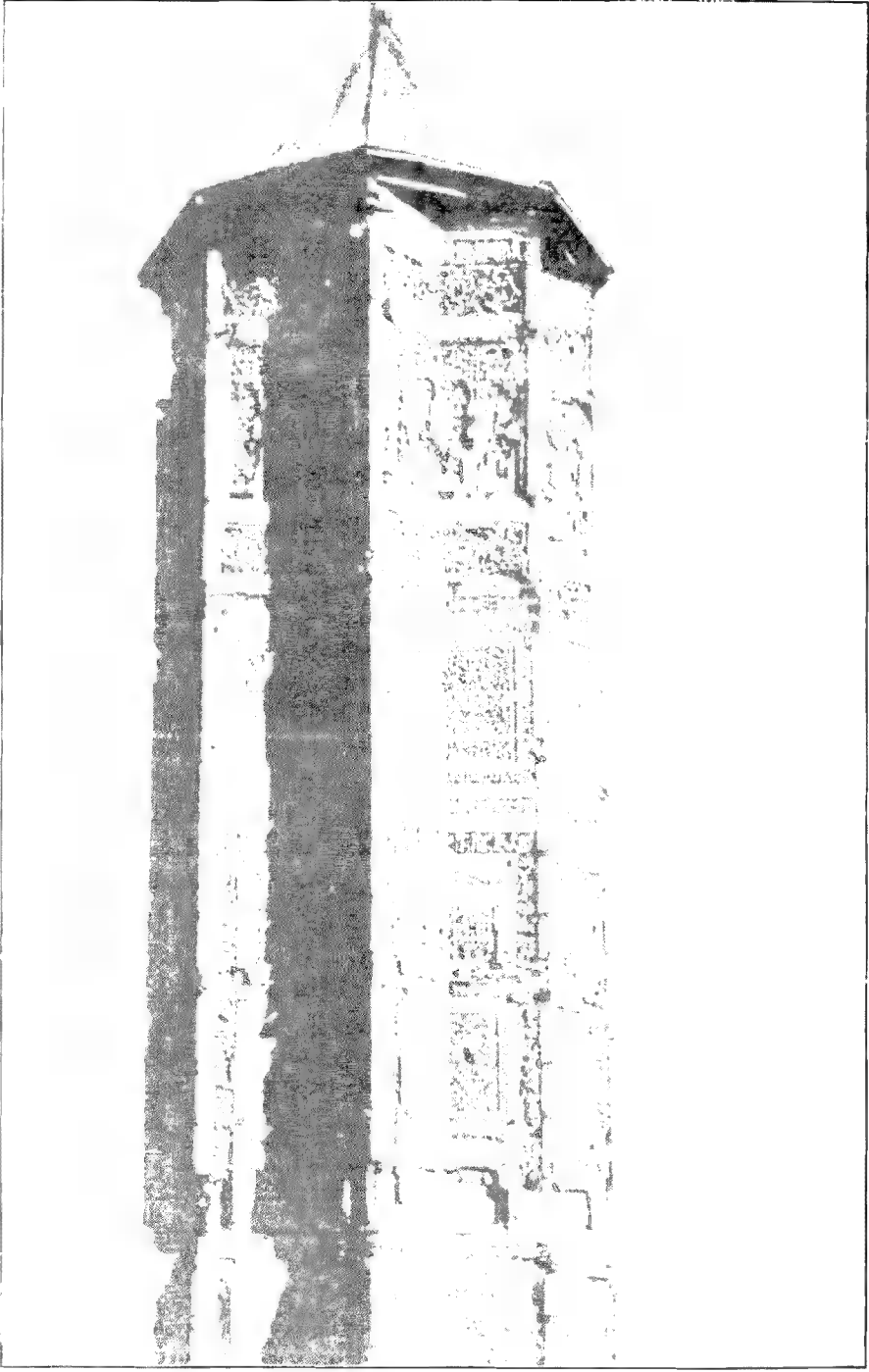
ثم سافرنا إلى قرية الجَرَج، وضبط اسمها بفتح الجيم المعقود وإسكان الراء وخاء معجم، وهي كبيرة لها بساتين كثيرة، وفواكهها طيبة (147) قدّمناها في أيام الصيف ووجدنا بها جماعة من الفقراء والطلبة، وصلّينا بها الجمعة وأضافنا أميرها محمد الجَرَجِي، ولقيته بعد ذلك بالهند ثم سافرنا إلى مدينة غَزَنَة (148)، وهي بلد السلطان المجاهد محمود بن سُبُكْتِكِين الشهير الإسم، وكان من كبار السلاطين يلقب يمين الدولة، وكان كثير الغزو إلى بلاد الهند وفتح بها المدائن والحصون، وقبره بهذه المدينة، عليه زاوية، وقد خرب معظم هذه البلدة ولم يبق منها إلا يسير، وكانت كبيرة وهي شديدة البرد، والساكنون بها يخرجون عنها أيام البرد إلى مدينة القَنْدَهَار (149)، وهي كبيرة مخصصة ولم أدخلها وبينهما مسيرة ثلاث.

89/3

(147) الجَرَج، القصد إلى شاركار على عشرة أميال جنوب بروان، ويلاحظ خليلي أن ابن بطوطة سافر إلى جرج عبر طريق لا يعرف اليوم، ... وجرج إحدى قصبات محافظة (لوكر) وكان منها الشيخ سررزي الذي ذكر حكايته مولانا جلال الدين الرومي في (مثنوي) وكذلك كان يعقوب الجرجي الذي كان من خلفاء بهاء الدين نقشبند من جرج... وفي جرج مسجد جامع لا شك أن ابن بطوطة صلى فيه الجمعة... (148) غَزَنَة (GHAZNA) تنطق بالفارسية غَزَنِي 75 ميلا جنوب غربي كابل، كانت عاصمة للغزنويين من 381 إلى 582=962-1186، وهم الأتراك الذين مهدوا وبصفة فعالة للفتح الإسلامي للهند. وقد كان الملك الأكثر أهمية في الدولة هو محمود ابن سُبُكْتِكِين 389-421=999-1030 الذي اشتهر بحملاته الهندية ولذلك لقب بيمين الدولة من لدن الخليفة العباسي القادر.

ويعد وفاته انهيارت المملكة في حروبها ضد الغوريين الذين ينتسبون لبلاد الغور في شرق هرات الأمر الذي أدى إلى خراب غزنة، وقد سجل التاريخ تبادل طائفة من السفراء بين غزنة وبغداد ونكرت مراسيمها وأدابها مما يحتاج لدراسة مشتركة بين مؤرخي بغداد وأفغانستان إن لم يكن بين المؤرخين على العموم... ويكفي أن نسمع عن وجود أكثر من أربعمئة شاعر كانوا في بلاط محمود!! وقد ادعى بعض المؤرخين أن جنكيز خان أحرق ضريح السلطان محمود، وما نحن نرى ابن بطوطة يؤكد أنه زار قبره. أُضِفَ إلى هذا أن الحفريات التي أجرتها الحكومة الأفغانية مؤخرا أثبتت أنه لم تجر أية تجاوزات على قبر السلطان محمود... خليل الله خليلي ص 71.

(149) قندهار، تقع على 200 ميل نحو الجنوب الغربي، علوها عن سطح يبلغ 1040 متر (انظر الخريطة) بينما علو غزنة عن سطح البحر يبلغ 2.220 متر، درجة الحرارة في يناير 6.7° بينما هي في قندهار 5-6 وقبل أن تتخذ كابل عاصمة من جديد منذ مائتي سنة كانت عاصمة البلاد حينئذ بلخ وحينئذ هرات أو سجستان أو غزنة أو الغور أو قندهار... وعندما اتسعت الامبراطورية الأفغانية في عهد أحمد شاه الدراني... ولكي يتمكن تيمور شاه ابن أحمد شاه من إدارة المملكة (التي كانت تمتد من دلهي حتى بخاري وإلى القرب من مشهد) نقل العاصمة قندهار إلى كابل وجعلها مركزا للامبراطورية... خليلي.



لقطة من عرنة منارة مسجد النبوة

ونزلنا بخارج غزنة في قرية هنالك على نهر ماء تحت قلعتها وأكرمنا أميرها مرذك أغا (150)، ومرذك بفتح الميم وسكون الراء وفتح الذال المعجم ومعناه الصغير، وأغا بفتح الهمزة والغين المعجم ومعناه الكبير الأصل، ثم سافرنا (151) إلى كابل وكانت فيما سلف مدينة عظيمة (152)، وبها الآن قرية يسكنها طائفة من الأعاجم يقال لهم الأفغان، ولهم جبال وشعاب، وشوكة قوية، وأكثرهم قطاع الطريق، وجبلهم الكبير يسمى كوه سليمان (153)، ويذكر أن نبي الله سليمان عليه السلام صعد ذلك الجبل، فنظر إلى أرض الهند وهي مظلمة فرجع ولم يدخلها فسمي الجبل به، وفيه يسكن ملك الأفغان.

90/3

وبكابل زاوية الشيخ إسماعيل الأفغاني (154) تلميذ الشيخ عباس من كبار الأولياء، ومنها رحلنا إلى كرماش (155)، وهي حصن بين جبلين تُقطع به الأفغان، وكنا حين جوارنا عليه، نقاتلهم وهم بسفح الجبل ونرميهم بالنشاب فيفرون، وكانت رفقتنا مُحفَّة، ومعهم نحو أربعة آلاف فرس، وكانت لي جمال انقطعت عن القافلة لأجلها، ومعني جماعة بعضهم من الأفغان، وطرحنا بعض الزاد، وتركنا أحمال الجمال التي أعيت بالطريق، وعادت إليها خيلنا بالغد فاحتملتها.

(150) مرذك أغا، لم نجد في المصادر ما يساعد على معرفته وهو في الأغلب من الولاة غير معروف، هكذا يقول خليلي

(151) من الصعب أن يتصور المرء كيف أن ابن بطوطة قام بزيارة غزنة من برون الواقعة شمال كابل 45 ميلا دون أن يعرج على كابل، ولهذا فمن الممكن جدا أن تكون الفقرة المتعلقة بكابل تقدمت على الفقرة الخاصة بغزنة.

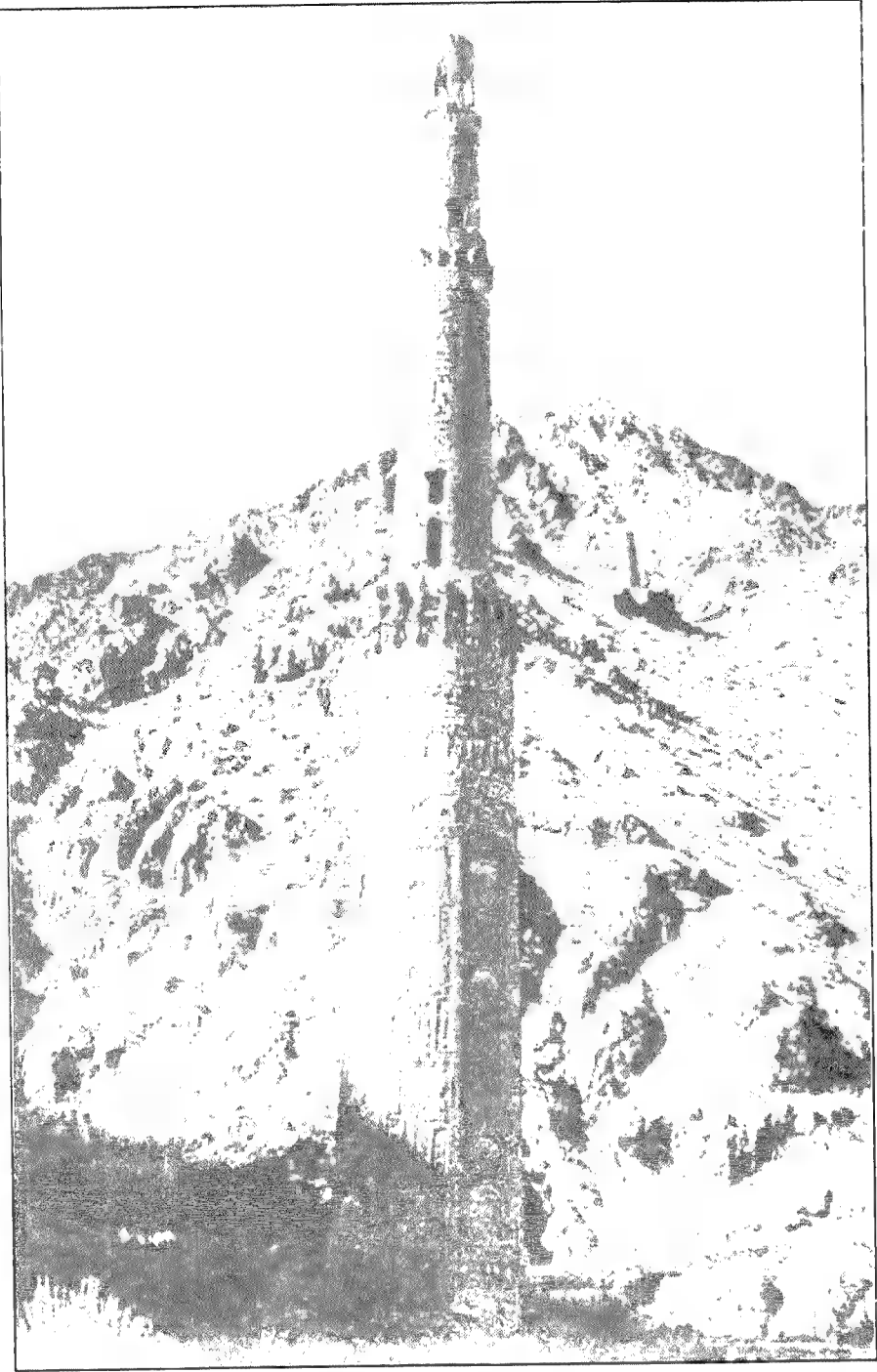
(152) حديث ابن بطوطة عن أهمية كابل في القديم أمر تؤكد آثار الجدران القديمة والقلاع والأبراج التي تشاهد في أعالي الجبلين المشرقيين عليها. وقد تحدث عنها الإدريسي على أنها مدينة كبيرة... لها أسوار ومنعة، ولها في داخلها قصبة حصينة، وملوك الشاهية لا تتم لهم الولاية الا لمن عقدت له بالملك في كابل وان كان منها على بعد فلا بد له من المسير إليها حتى تُعقد له الشاهية بالملك !!

(153) سلسلة جبال سليمان التي تشرف على وادي الهندوس توجد نحو جنوب المدينة عندكطا (Quetta) في الباكستان الحالية... على نقطة فيه تصل إلى 11.295 قدم وتسمى تخت سليمان أي عرش سليمان...

(154) يتعلق الامر - على ما يبدو - بجابر الانصاري ابن شاعر وفيلسوف هرات أبو اسماعيل عبد الله الانصاري المتوفى 481=1089 مؤلف كتاب (منازل السائرين) الخ وهو الذي كان هو نفسه تلميذا لأبي الحسن الخرقاني سالف الذكر...

- خليل الله خليلي : هرات ج 1، ص 67/66 - ابن بطوطة في افغانستان ص 41.

(155) كرماش بقعة جبلية نحو جنوب شرقي GARDIZ التي تبعد 35 ميلا شرق غزنة هذا ويوجد عوض حصن كلمة حصن بالتصغير في مخطوطة الخزائن الملكية.



منارة جام في أفغانستان

ووصلنا إلى القافلة بعد العشاء الآخرة فبُتنا بمنزل شَشِينْغَار (156)، وهي آخر العمارَة مما يلي بلاد الترك.

ومن هناك دخلنا البرية الكبرى وهي مسيرة خمس عشرة (157)، لا تُدخل إلا في فصل واحد وهو بعد نزول المطر بأرض السند والهند وذلك في أوائل شهر يولييه، وتهب في هذه البرية رِيح السُمُوم القاتلة التي تعفّن الجسوم حتى أن الرجل إذا مات تفسخ أعضاؤه، وقد ذكرنا أن هذه الريح تهب أيضا في البرية بين هرمز وشيراز. (158)

وكانت تقدمت أمامنا رفقة كبيرة فيها خُذَاوُنْد زاده قاضي الترمذ فمات لهم جمال وخيل كثيرة، ووصلت رفقتنا سالمة بحمد الله تعالى إلى بَنَج آب (159)، وهو ماء السند، ويُنتج بفتح الباء الموحدة وسكون النون والجيم ومعناه الماء، فمعنى ذلك الأودية الخمسة، وهي تصب في النهر الأعظم وتسقي تلك النواحي وسنذكرها إن شاء الله تعالى.

وكان وصولنا لهذا النهر سلخ ذي الحجة، واستهل علينا تلك الليلة هلال المحرم من عام أربعة وثلاثين وسبعمائة، ومن هناك كتب المُخْبِرُون بخبرنا إلى أرض الهند وعرفوا ملكها بكيفية أحوالنا.

وها هنا ينتهي بنا الكلام في هذا السفر والحمد لله رب العالمين.

* * *

(156) شَشِينْغَار حدّد هذا العَلَمُ بأقليم هَاشْتَنْغَر (HASHTNAGAR) الذي يقع على بعد 16 ميلا شمال شرق بِشَاوَر (PESHAWAR) غربي كاشمير بيد أن هذا لا يتوافق مع التحديد الذي أعطيناه لكرماش كما لا يتناسب مع الحكاية التي سيسوقها ...

(157) هذا المقطع من حديث ابن بطوطة يفيد أن الوسيلة الوحيدة لتحديد الطريق التي سلكها هي أنه غادر غزنة في اتجاه الجنوب عبر غرب سلسلة جبال سليمان سالفة الذكر ثم نحو سهل بلاد السند ووصل نهر الهندوس عند بعض المحطات في إقليم الأُرْكَانَا ... مجموع الاميال التي قطعه 350 ابتداء من النقطة المشار إليها هنا.

(158) انظر II، 237 - RICHARD. R. BURTON : PERSONAL NARRATIVE... I. 265

(159) بَنَج بالفارسية (Panj)، ويظهر من ابن بطوطة منذ بداية هذا السفر الاول انه لا يميز بصفة واضحة بين نهر الهندوس كَعَلَم جغرافي وبين الأودية الخمسة - بَنَج آب - عبارة ماء السند من المحتمل أن تكون استعمالاً فارسياً.

(160) يوافق هذا التاريخ 12 شتبر 1333.

الفصل العاشر

الطريق إلى دهلي

- الوصول إلى بنج آب
- من بنج آب إلى سيوستان
- مدينة سيوستان
- من سيوستان إلى ملتان
- من ملتان إلى أبوهر
- الزراعة في الهند
- من أبوهر إلى أجودهن
- من أجودهن إلى دهلي

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه

قال الشيخ أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم اللواتي الطنجي المعروف بابن بطوطة رحمه الله (1) :

ولما كان بتاريخ الغرة من شهر الله المحرم مفتتح عام أربعة وثلاثين وسبعمائة وصلنا إلى وادي السند المعروف ببنج أب (2)، ومعنى ذلك : المياه الخمسة، وهذا الوادي من أعظم أودية الدنيا وهو يفيض في أوّل الحرّ فيزرع أهل تلك البلاد على فيضيه كما يفعل أهل الديار المصرية في فيض النيل، وهذا الوادي هو أول عمالة السلطان المعظم محمد شاه ملك الهند والسند، ولما وصلنا إلى هذا النهر جاء إلينا أصحاب الأخبار الموكّون بذلك وكتبوا بخبرنا إلى قطب الملك أمير مدينة ملّتان وكان أميراً أمراء السند على هذا العهد مملوك السلطان يسمى سرتيز، وهو غرض الممالك، وبين يديه تعرض عساكر السلطان، ومعنى إسمه : الحادّ الرأس، لأن سرّ بفتح السين المهمله وسكون الراء وهو الرأس، وثيز بتاء معلوة وياء مدّ وزاي معناه : الحادّ، وكان في حين قدومنا بمدينة سيوستان من السند، وبينها وبين ملّتان مسيرة

94/3

(1) تظل المعلومات التي قدمها ابن بطوطة عن الهند عمدةً للذين تحدثوا عن تلك القارة حتى يومنا هذا، ومن العجب أن نرى أبا القاسم الزاياني يتحدث عن أنّه أخذ معه عام 1169 = 1756 رحلة ابن بطوطة إلى مكة وسردها على بعض العلماء الهنود فنكروا ما جاء فيها من أخبار ملوكهم وأبطلوا بالكلية قضاء ابن بطوطة بالهند ومصاهرته لسلطانهم، وقالوا : « هذا غير ممكن ».. نقول من العجب ذلك، لأنه أي الزاياني آمن بأقوال قوم غائبين أتوا بعد نحو من خمسة قرون من إفادات ابن بطوطة الذي عاش الأحداث وخبرها ولم يفت الشيخ عبد الحي الكتاني أن يبدي استغرابه من « امتداد حقد الزاياني إلى من كان قبله بدهور وأجبال » - الزاياني : الترجمة الكبرى في أخبار المعمور برأ أو بحراً . تحقيق وتعليق : عبد الكريم الفيلاي 1317 = 1967 نشر وزارة الأنباء ص 244-581 - مخطوط للكتّاني عن القرويين بفاس رقم 2929 .
د التازي مع ابن بطوطة في بلاد الهند والسند دعوة الحق عدد 287، 2، يناير 1992 - وعدد 293 أكتوبر 1992

(2) على نحو ما علقنا به في ... - ابن بطوطة يبدو أنه لا يفرق بين نهر الهندوس (وادي السند) وبين الأنهار الخمسة الحديث عن السلطان محمد سياني مستوعباً في الفصل الثاني عشر...

فتحت بلاد السند في أواخر القرن الأول الهجري عام 94=712 بينما دخل الإسلام بلاد الهند في بداية القرن الخامس الهجري أيام السلطان محمود صاحب غزنة. تتكوّن السند اليوم رابع أقاليم الباكستان الحالية بالوشيشان NWFP البنجاب ويحتل إقليم السند مركزاً في مجال الاقتصاد الوطني، من مدنه كراتشي حيدرآباد. يلاحظ أن عاصمة السند كانت أيام ابن بطوطة هي ملّتان التي توجد في إقليم البنجاب. نجدد الشكر لسفارة الباكستان بالرباط لتزويدها لنا بالمساعدات المطلوبة.

عشرة أيام، وبين بلاد السند وحضرة السلطان مدينة دهلبي مسيرة خمسين يوماً، وإذا كتب المخبرون إلى السلطان من بلاد السند يصل الكتاب إليه في خمسة أيام بسبب البريد

95/3

ذكر البريد

والبريد ببلاد الهند صنفان : فأما بريد الخيل فيسمون الولاقي (3) بضم الواو وآخره قاف، وهو خيل تكون للسلطان في كل مسافة أربعة أميال، وأما بريد الرجال فيكون في مسافة الميل الواحد منه ثلاث رُتب، ويسمونها الدّواة (4) بالذال المهملة والواو، والدّواة هي ثلث ميل، والميل عندهم يسمى الكُروه (5) بضم الكاف والراء، وترتيب ذلك أن يكون في كل ثلث ميل قرية معمورة، ويكون بخارجها ثلاث قباب، يقعد فيها الرجال مستعدين للحركة قد شدوا أوساطهم، وعند كل واحد منهم مقرعة مقدار ذراعين بأعلاها جلالج نحاس، فإذا خرج البريد من المدينة أخذ الكتاب بأعلى يده، والمقرعة ذات الجلالج باليد الأخرى، وخرج يشتد بمنتهى جهده فإذا سمع الرجال بالقباب الذين بالقباب صوت الجلالج تاهبوا له، فإذا وصلهم أخذ أحدهم الكتاب من يده ومر بأقصى جهده وهو يحرك المقرعة حتى يصل إلى الدّواة الأخرى ولا يزالون كذلك حتى يصل الكتاب إلى حيث يراد منه.

96/3

وهذا البريد أسرع من بريد الخيل، وربما حملوا على هذا البريد الفواكه المستطرفة بالهند، من فواكه خراسان، يجعلونها في الأطباق ويشتدون بها حتى تصل إلى السلطان، وكذلك يحملون أيضاً الكبار من ذوي الجنيات، يجعلون الرجل منهم على سرير ويرفعونه فوق رؤوسهم ويسيرون به شداً، وكذلك يحملون الماء لشرب السلطان إذا كان بدولة أباد، يحملونه من نهر الكنك الذي تحجّ الهنود إليه.

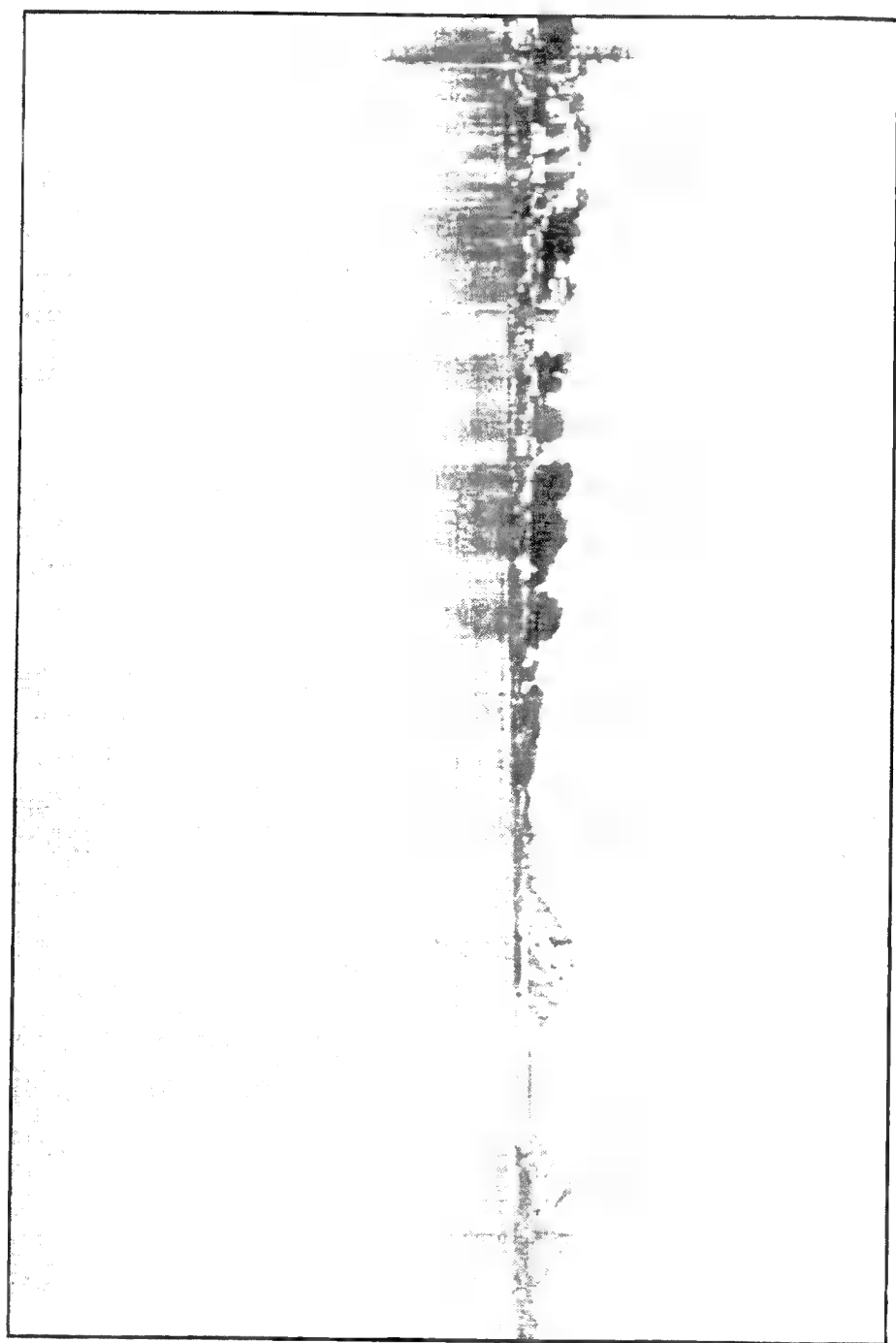
وهو على مسيرة أربعين يوماً منها، وإذا كتب المخبرون إلى السلطان بخبر من يصل إلى بلاده، استوعبوا الكتاب وأمعنوا في ذلك وعرفوه أنه ورد رجل صورته كذا، ولباسه كذا، وكتبوا عدد أصحابه وغلماؤه وخدامه وبوابه وترتيب حاله في حركته وسكوته، وجميع تصرفاته لا يغادرون من ذلك كلّ شيئاً، فإذا وصل الوارد إلى مدينة ملتان وهي قاعدة بلاد

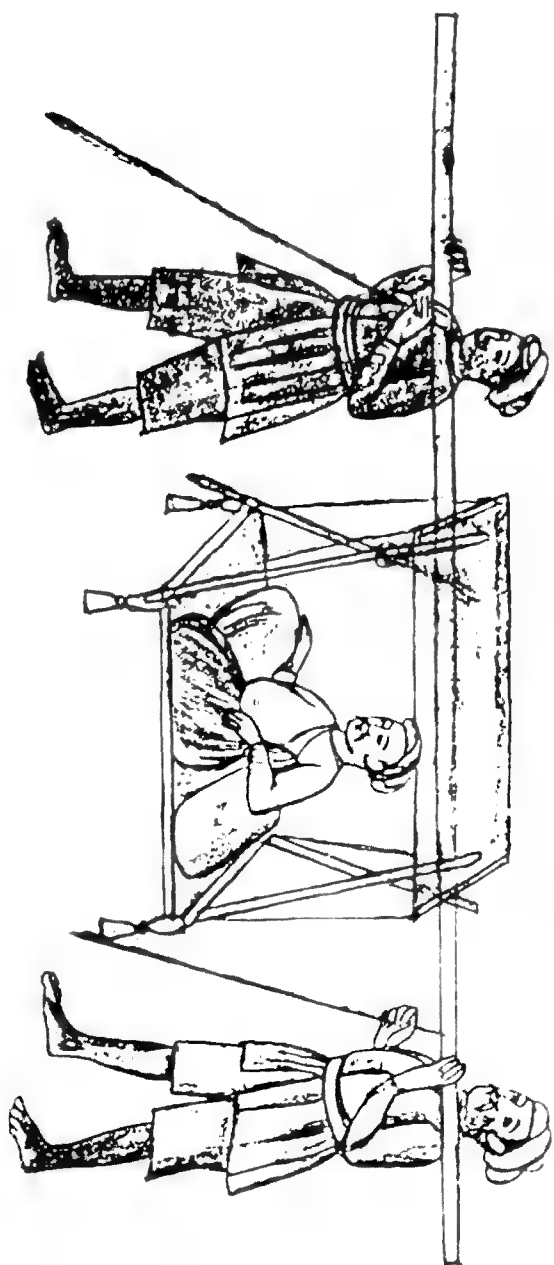
97/3

(3) الولاقي : لفظ تركي يستعمل حتى اليوم، والبريد كلمة عربية من أصل لاتيني (VEREDUS) على ما يلاحظه الهرقيسور كيب ومعلوم أن البريد كان من مهام الدولة وليس للخواص حق مباشرته، هذا ويلاحظ أنه - على نحو ما قرأناه عن الهند، فإن البريد بالمغرب تميز طوال التاريخ بنظام محكم، وكان فيه البريد العادي والبريد السريع - د. التازي : التاريخ الدبلوماسي للمغرب ج. 2، 227-232.

(4) الدّواة : الكلمة من أصل فارسي (Daw) الرخّص والجري .

(5) الكُروه الكلمة من الأورزو (Kuroh)، يعني ثلث الفرسخ وإن المعادلة بين هذه المقاييس وبين الميل والكيلومتر تبقى تقريبية.





محملون الرجل المظلوب على سرير الشلوة فوراً لمن ظله عن المكتبة الوطنية - باريس

السند أقام بها حتى ينفذ أمر السلطان بقدمه، وما يجرى له من الصبابة وإنما يُكرم الإنسان على قدر ما يظهر من أفعاله وتصرفاته وهمته إذ لا يعرف هنالك، ما حسبه ولا أبأوه.

ومن عادة ملك الهند السلطان أبي المجاهد محمد شاد إكرام الغريباء، ومحبتهم وتخصيصهم بالولايات والمراتب الرفيعة، ومعظم خواصه وحجابه ووزرائه وقضائه واصهاره غريباء، ونفذ أمره بأن يسمى الغريباء في بلاده بالأعزة⁽⁶⁾، فصار لهم ذلك اسماً علماً، ولا بد لكل قادم على هذا الملك من هدية يهديها إليه، ويقدمها وسيلة بين يديه، فبكافيه السلطان عليها بأضعاف مضاعفة، وسيمر من ذكر هدايا الغريباء إليه كثير.

98/3

ولما تعود الناس ذلك منه صار التجار الذين ببلاد السند والهند يعطون لكل قادم على السلطان الآلاف من الدنانير ديناً، ويجهزونه بما يريد أن يهديه إليه أو يتصرف فيه لنفسه من الدواب للركوب والجمال والأمتعة ويخدمونه بأموالهم وأنفسهم، ويقفون بين يديه كالخشم، فإذا وصل السلطان أعطاه العطاء الجزيل فقضى ديونهم، ووفاهم حقوقهم، فنفتت تجارتهم، وكثرت أرباحهم، وصار لهم ذلك عادة مستمرة.

99/3

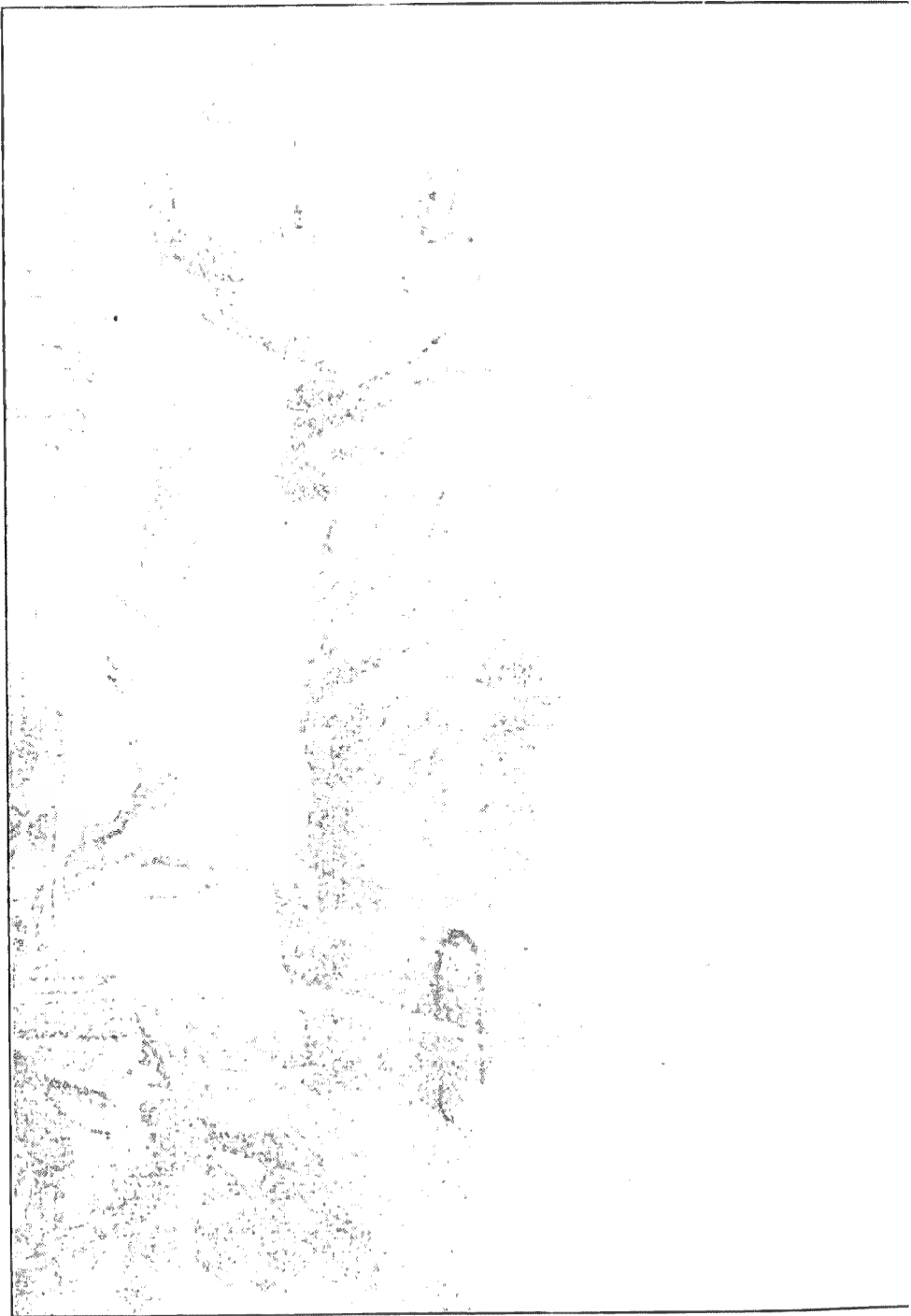
ولما وصلت إلى بلاد السند سلكت ذلك المنهج واشترت من التجار الخيل والجمال والممالك وغير ذلك، ولقد اشترت من تاجر عراقي من أهل تكريت يعرف بمحمد الدوري بمدينة غزنة نحو ثلاثين فرساً وجمالاً عليه حمل من النشاب فإنه مما يهدي إلى السلطان، وذهب التاجر المذكور إلى خراسان، ثم عاد إلى الهند، وهناك تقاضى مني ماله واستفاد بسببي فائدة عظيمة وعاد من كبار التجار، ولقيته بمدينة حلب بعد سنين كثيرة وقد سلبني الكفار مما كان بيدي فلم ألق منه خيراً .

100/3

ذكر الغرگدن

ولما أجزنا نهر السند المعروف ببنج أب دخلنا غيضة قصب لسلوك الطريق، لأنه في وسطها، فخرج علينا الكركدن، وصورته أنه حيوان أسود اللون، عظيم الجرم رأسه كبير،

(6) الأعزة جمع عزيز يُعتبر هذا اللفظ من الكلمات الحضارية التي ينبغي أن نقف عندها ونحن نقرأ عن بلاد السند فقد ظل الغريب محل توصية من لدن سائر الذين كتبوا عن معاملة الناس حتى ولو كانوا غير مسلمين . ونحن نعلم أن ابن السبيل من الأصناف التي تصرف لهم الزكاة . والطريف الجليل تشجيع الغريباء على استثمار أموالهم بل إن السلطان يمكنهم بما يساعدهم على نفاق تجارتهم وربحهم . ومن هنا أخذ التجار في السند والهند يقرضون لكل قادم آلاف الدنانير إلى آخر ما ذكره



الكركن يسميه الغريبي كركند

متفاوت الضخامة، ولذلك يُضرب به المثل فيقال : الكركدن، رأس بلا بدن، وهو دون الفيل، ورأسه أكبر من رأس الفيل بأضعاف، وله قرن واحد، بين عينيه، طوله نحو ثلاثة أذرع، وعرضه نحو شبر، ولما خرج علينا عارضه بعض الفرسان في طريقه، فضرب الفرس الذي كان تحته بقرنه فانفذ فخذه وصرعه، وعاد إلى الغيضة، فلم نقدر عليه⁷

وقد رأيت الكركدن مرة ثانية في هذه الطريق بعد صلاة العصر وهو يرعى نبات الأرض، فلما قصدناه هرب منا، ورأيت مرة أخرى ونحن مع ملك الهند، دخلنا غيضة قَصَب، وركب السلطان على الفيل وركبنا معه الفيلة، ودخلت الرجال والفرسان فثاروه وقتلوه واستاقوا رأسه إلى المحلة.

101/3

وسرنا من نهر السند يومين، ووصلنا إلى مدينة جناني⁸، وضبط إسمها بفتح الجيم والنون الأولى وكسر الثانية، مدينة كبيرة حسنة على ساحل نهر السند لها أسواق مليحة، وسكانها طائفة يقال لهم : السامرة⁹، استوطنوها قديماً واستقر بها أسلافهم، حين فتحها على أيام الحجاج بن يوسف حسبما أثبت المؤرخون في فتح السند، وأخبرني الشيخ الإمام العالم العامل الزاهد العابد ركن الدين بن الشيخ الفقيه الصالح شمس الدين بن الشيخ الإمام العابد الزاهد بهاء الدين زكرياء¹⁰ القرشي، وهو أحد الثلاثة الذين أخبرني الشيخ الولي الصالح برهان الدين الأعرج بمدينة الإسكندرية أني سألقاهم في رحلتي فلقيتهم، والحمد لله أن جدّه الأعلى كان يسمى بمحمد بن قاسم القرشي¹¹، وشهد فتح السند في العسكر الذي بعثه لذلك الحجاج بن يوسف أيام إمارته على العراق وأقام بها وتكاثر ذريته.

102/3

(7) لم نقف على أثر لهذا المدينة (جناني) ويظهر حسب الوصف الذي قدمه أنها تقع شمال مدينة سيوستان وأن تحديدها بمدينة هلاتي (Halani) من قبل بعض الباحثين أمر مريب.

(8) يتعلّق الأمر بسومرا (Sumra) قبيلة راجبوت RAJPUT التي يظهر أنها بسطت نفوذها في بلاد السند بعد إنهزام السلطان مسعود بن السلطان محمود صاحب غزنة، أمام السلجوقيين عام = 1040 431 وهم هندوس اعتنقوا الإسلام في آخر المطاف وإن التطورات المروية هنا ليست بغريبة عندما يتغير الحكم من دولة إلى أخرى ...

(9) بهاء الدين زكريا = 579-665 = 1183 - 1267 هو الرسول والسفير الذي بعثه شهاب الدين أبو حفص عمر السهروردي إلى الهند، وهو مؤسس الطريقة السهروردية بالهند، ولده صدر الدين (وليس شمس الدين، المتوفى عام 684 = 1285، وحفيده ركن الدين المتوفى عام 775 = 1335، كوّنوا جميعهم السلسلة الوارثة للطريقة في ملتان ج II، 48 - ابن بطوطة أهمل القول حول ما إذا كان لقي هذا الشيخ في جناني أو في ملتان كما يظهر...

(10) عماد الدين محمد بن قاسم، ابن عمّ للحجاج، فتح بلاد السند عام 94 = 1712، ولكن بهاء الدين أرسل إلى خراسان بالهند من لدن السهروردي حسبما ورد عند الذين ترجموه.



موكب السلطان على الفيل

وهؤلاء الطائفة المعروفون بالسامرة لا يأكلون مع أحد ولا ينظر إليهم أحد حين يكتفون ولا يصاهرون أحداً من غيرهم ولا يصاهر إليهم أحد وكان لهم في هذا العهد أمير يسمى وتار بضم الواو وفتح النون، وسنذكر خبره.

ثم سافرنا من مدينة جَنَانِي إلى أن وصلنا إلى مدينة سيوسيتان (11)، وضبط إسمها بكسر السين الأول المهمل وياء مد وواو مفتوح وسين مكسور وتاء معنوة وآخره نون. وهي مدينة كبيرة وخارجها صحراء ورمال، ولا شجر بها إلا شجر أم غيلان، ولا يزرع على نهرها شيء ما عدا البطيخ، وطعامهم الذرة والجلبان، ويسمونهم المُشْك (12)، بميم وشين معجم مضمومين وتون مسكن، ومنه يصنعون الخبز، وهي كثيرة السمك والألبان الجاموسية، وأهلها يأكلون السَقَنْقُور وهي دُويّة شبيهة بأم جُبِين التي يسميها المغاربة حُنَيْشَة الجَنَة إلا أنها لا ذَنْب لها، ورأيتهم يحفرون الرمل ويستخرجونها منه، ويشقون بطنها ويرمون بما فيه، ويحشونه بالكَرْكُم، وهم يسمونه زَرْدَشَوِيَّة (13)، ومعناه العود الأصفر، وهو عندهم، عوض الزعفران، ولما رأيتهم تلك الدُويّة، وهم يأكلونها، استقدرتها فلم أكلها!

ودخلنا هذه المدينة في احتدام القيط، وحرها شديد (14)، فكان أصحابي يقعدون عريانين، يجعل أحدهم فوطه على وسطه، وفوطه على كتفيه مبلولة بالماء فما يمضي اليسبر من الزمان حتى تيبس تلك الفوطه فيبليها مرة أخرى، وهكذا أبداً.

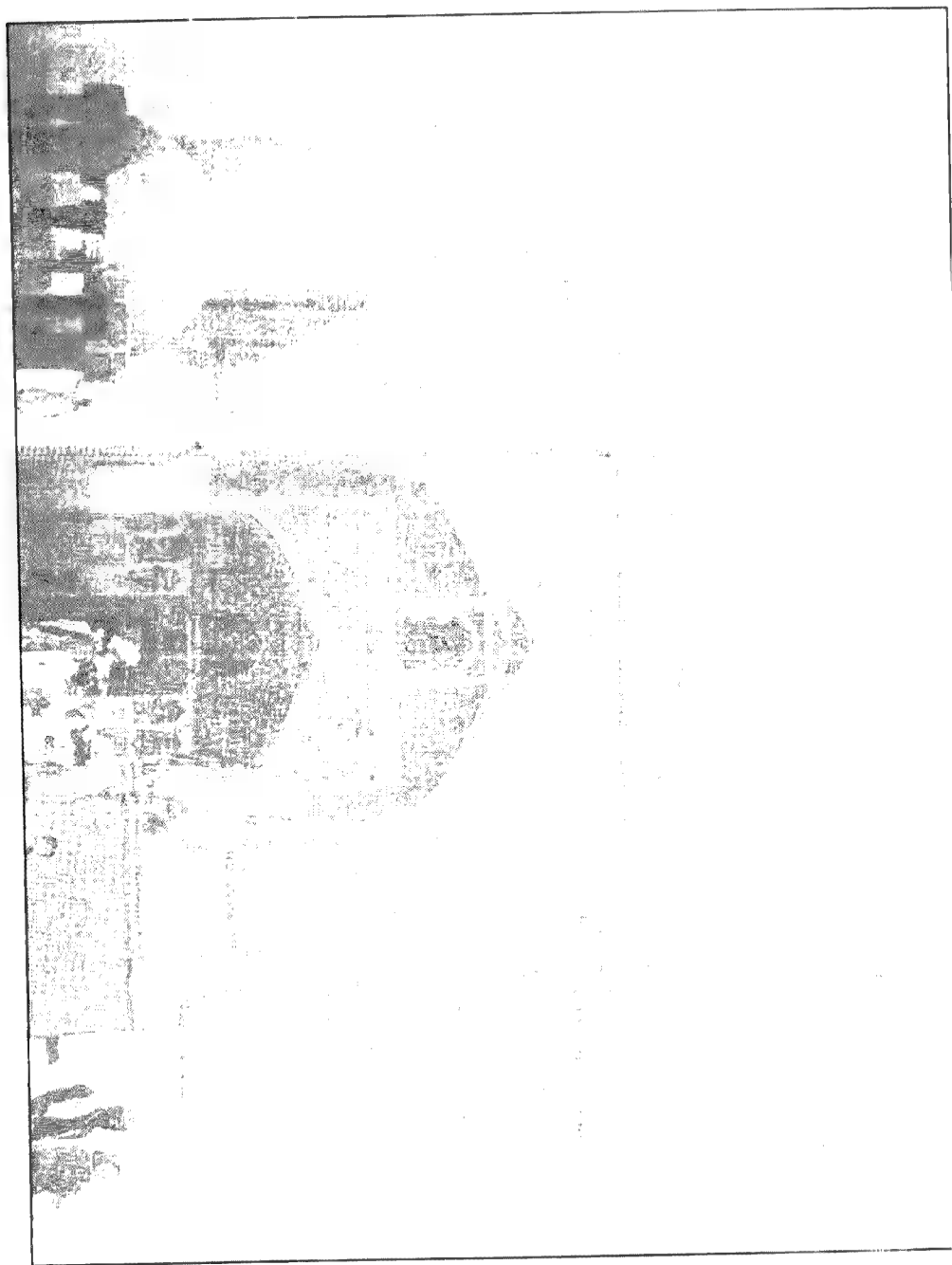
ولقيت بهذه المدينة خطيبها المعروف بالشيباني وأراني كتاب أمير المؤمنين الخليفة عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه لجده الأعلى بخطابة هذه المدينة، وهم يتوارثونها من ذلك العهد إلى الآن ونص الكتاب: هذا ما أمر به عبد الله أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز لفلان

(11) سيوسيتان (SEHWAN) مدينة صغيرة على بعد 12 ميلاً شمال كراتشي على بضع مسافة من نهر الهندوس (السند).

(12) المُشْك كلمة فارسية الأصل (Mushang) نوع من الحبوب - القصد بالذرة ليس إلى الأمريكية ولكن إلى الذرة التي تنبت في المغرب بالبيضاء، وهناك ذرة دكناء هي أثلي

(13) باللغة الفارسية (Zard Tehuba) - أم جُبِين: صنفت على أنها الوزغ (Lizard) أو ذكر الحرياء (Chameleon) وحنيشة الجنة: تطلق فعلاً على الوزغ الذي يعلق بالجدران، وقد قيل عن السقنقور أنه ضرب الزحافات يشبه الجردون

(14) المفروض أن وصول ابن بطوطة إلى سيوسيتان يوم 12 شتنبر فهل صادف مثل هذا الحر الشديد؟ هذه الاسئلة يضعها بعض المعلقين...



FILE

وتاريخه سنة تسع وتسعين (١١٥١)، وعليه مكتوب بخط أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز : الحمد لله وحده (١١٦)، على ما أخبرني الخطيب المذكور.

105/3

ولقيت بها أيضا الشيخ المعمّر محمد البغدادي، وهو بالزاوية التي على قبر الشيخ الصالح عثمان المرتدّي وذكر أن عمره يزيد على مائة وأربعين سنة، وأنه حضر لقتل المستعصم بالله آخر خلفاء بني العباس رضي الله عنهم لما قتله الكافر هُلاؤُن بن تنكيز التّثري، وهذا الشيخ على كبر سنه قوي الجثة يتصرف على قدميه.

• حكاية [الجلود المصلوبة] :

كان يسكن بهذه المدينة الأمير وُثَار السامري الذي تقدم والأمير قيصر الرُّومي، وهما في خدمة السلطان ومعهما نحو ألف وثمانمائة فارس، وكان يسكن بها كافر من الهنود اسمه رثن، بفتح الراء وبفتح التاء المعلّوة والنون، وهومن الحُدّاق بالحساب والكتابة، فوفد على ملك الهند مع بعض الأمراء فاستحسنه السلطان وسماه عظيم السند، وولاه بتلك البلاد وأقطعه سيّوسِتَان وأعمالها، وأعطاه المراتب، وهي الأبطال والعلامات كما يُعطي كبار الأمراء.

106/3

فلما وصل إلى تلك البلاد عظم على وُثَار وقيصر وغيرهما تقديم الكافر عليهم فأجمعوا على قتله. فلما كان بعد أيام من قدومه أشاروا عليه بالخروج إلى أحواز المدينة ليتطلّع على أمورهم فخرج معهم، فلما جنّ الليل أقاموا ضجة بالملحة (١٧) وزعموا أن السبع ضرب عليها، وقصدوا مضرب الكافر، فقتلوه وعادوا إلى المدينة، فأخذوا ما كان بها من مال

(١٥) لم يكن غريبا علينا اهتمام عمر بن عبد العزيز بأمر المساجد سيما ونحن نعلم أنه هو الذي اشتغل على مسجد الرسول عليه الصلوات في المدينة المنورة بعد أن استجاب ملك الروم للسفارة التي بعث بها الوليد بن عبد الملك إلى بيزنطة عام ٨٨ هـ لطلب الخبرة الفنية. المقرئزي الذهب المسبوك القاهرة ١٩٥٥ ص ٣٠ ولهذا لا أرى مبررا لاستبعاد الزميل كيب أن تصدر هذه الوثيقة عام ٩٨ هـ من الخليفة عمر عبد العزيز حول هذا الموضوع !

(١٦) من المحتمل جدا أن علامة توقيع خلفاء الدولة الموحدية بالمغرب، والتي هي (والحمد لله وحده) التي كانوا يكتبونها بخط أيديهم. من المحتمل أن تكون مستوحاة من توقيع أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز الذي كان يكتب بخط يده كما نرى الحمد لله وحده .

(١٧) يعتبر ابن بطوطة المصدر الوحيد لهذه الثورة، ويظهر أن هناك علاقة لصعود أسيرة راجبوت سامّا Rajput Samma للحكم بإقليم السند حيث كوّنت سلسلة حكام يحملون لقب جام كان أولهم جام وُثَار

القصد بُهلاون هولاكو. Gibb : the Travels III P. 599 - Note 21 - Houlagou.

السلطان وذلك إثنا عشر لكا، وألك : مائة ألف دينار، وصرف ألك عشرة آلاف دينار من ذهب الهند، وصرف الدينار الهندي ديناران : ونصف دينار من ذهب المغرب (18)، وقدموا على أنفسهم وبنار المذكور، وسموه ملك فيروز، وقسم الأموال على العسكر، ثم خاف على نفسه لبعده عن قبيلته، وقدم الباقون من العسكر على أنفسهم قيصر الرومي.

107/

واتصل خبرهم بعماد الملك سرتييز مملوك السلطان، وهو يومئذ أمير أمراء السند، وسكناه بملتان، فجمع العساكر وتجهز في البر وفي نهر السند، وبين ملتان وسيوستان عشرة أيام، وخرج إليه قيصر فوقع اللقاء، وانهزم قيصر، ومن معه أشنع هزيمة وتحصنوا بالمدينة، فحصرهم ونصب المجانيق عليهم واشتد الحصار، فطلبوا الأمان بعد أربعين يوماً من نزوله عليهم، فأعطاهم : الأمان، فلما نزلوا إليه غدرهم وأخذ أموالهم وأمر بقتلهم، فكان كل يوم يضرب أعناق بعضهم، ويوسط بعضهم، ويسلخ آخرين منهم، ويملا جلودهم تبنا ويلعقها على السور فكان معظمه عليه تلك الجلود مصلوبة ترعب من ينظر إليها، وجمع رؤوسهم في وسط المدينة فكانت مثل التل هنالك! ونزلت بتلك المدينة إثر هذه الواقعة بمدرسة فيها كبيرة، وكنت أنام على سطحها فإذا استيقظت من الليل أرى تلك الجلود المصلوبة فتشمئز النفس منها، ولم تطب نفسي بالسكنى بالمدرسة، فانتقلت عنها، وكان الفقيه الفاضل العادل علاء الملك الخراساني المعروف بفصيح الدين قاضي هراة في متقدم التاريخ، قد وفد على ملك الهند فولاه مدينة لاهري وأعمالها من بلاد السند، وحضر هذه الحركة مع عماد الملك سرتييز بمن معه من العساكر فعزمت على السفر معه إلى المدينة لاهري وكان له خمسة عشر مركبا قدم بها في نهر السند تحمل أثقاله فسافرت معه.

108/

109/

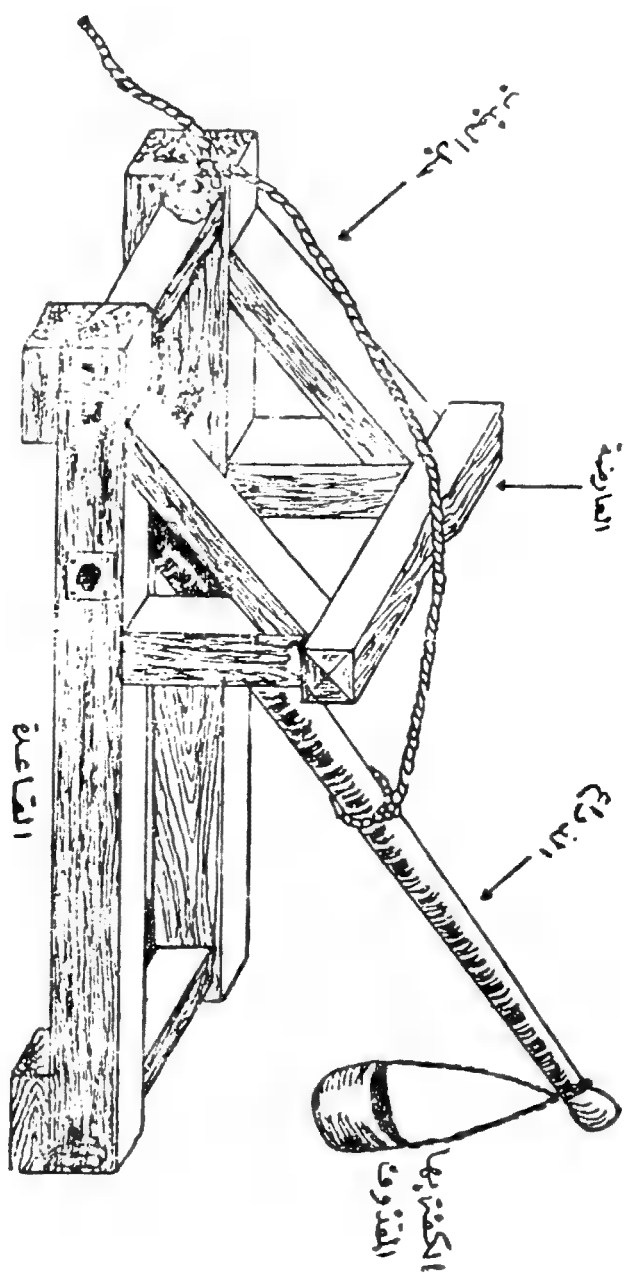
ذكر السفر في نهر السند وترتيب ذلك

وكان للفقيه علاء الملك في جملة مراكبه مركب يعرف بالأهوزة، بفتح الهمزة والهاء وسكون الواو وفتح الراء، وهي نوع من الطريدة عندنا، إلا أنها أوسع منها وأقصر (19)،

(18) كانت العملة المستعملة من لدن مملكة دهلي تتكون على ذلك العهد بصفة أساسية من عملتين أثنتين تسميان معا تنكا Tanka : واحدة ذهبية تزن تسعة كرامات، والثانية فضية تزن 9.3 الأولى تساوي رسمياً عشر مرات قيمة الثانية، وابن بطوطة يسمي الأولى تنكا، والثانية يسميها دينار.

MAHDI Husain : muhammad b. Tughluq, London 1938 p. 233 - 238:

(19) هكذا في النص العربي : طريدة، وهو ما يعني نوعاً من السفن المستعملة في البحر المتوسط يحمل الخيول والبضائع الثقيلة (107, IV). يختلف تمام الاختلاف عما ترجم به الناشران (D.S.) (Tartane) الذي يعني مركباً خفيفاً له صاري واحد يسميه الهنود هوري : Huri : مركب للصيد. هنا يبتدئ ابن بطوطة رحلته النهرية، في انتظار وصول الإذن له بدخول الهند ويخترق بلاد السند عن طريق هذا النهر الذي يحمل اسم السند، مسافة طويلة نحو الجنوب



وعلى نصفها معرّش من خشب يصعد له على درج، وفوقه مجلس مهيا لجلوس الأمير ويجلس أصحابه بين يديه ويقف الممالك يمينه ويسرة والرجال يقدّمون وهم نحو أربعين، ويكون من هذه الأهوّة أربعة من المراكب عن يمينها ويسارها اثنان منها فيها مراتب الأمير، وهي العلامات والطبول والأبواق والأنفار والصرنايات، وهي الغيطات، والآخران فيهما أهل الطرب، فتضرب الطبول والأبواق نوبة، ويغني المغنون نوبة، ولا يزالون كذلك من أول النهار إلى وقت الغداء.

110/3

فإذا كان وقت الغداء انضمت المراكب واتصل بعضها ببعض ووضعت بينهما الإصقالات (20)، وأتى أهل الطرب إلى أهوّة الأمير فيغنون إلى أن يفرغ من أكله، ثم ياكلون، وإذا انقضى الأكل عادوا إلى مركبهم، وشرعوا أيضا في المسير على ترتيبهم إلى الليل، فإذا كان الليل ضربت المحلة على شاطئ النهر ونزل الأمير إلى مضاربه، ومُدَّ السّمّاط وحضر الطعام معظم العسكر، فإذا صلوا العشاء الأخيرة سَمَرَ السُّمَّار بالليل نُوبًا، فإذا أتم أهل النوبة من نوبتهم نادى منادٍ منهم بصوت عالٍ يا خُونْدَ مَلِكٍ، قد مضى من الليل كذا من الساعات، ثم يسمر أهل النوبة الأخرى فإذا أتموه نادى منادٍهم أيضا معلما بما مرّ من الساعات، فإذا كان الصبح ضربت الأبواق والطبول وصليت صلاة الصبح وأُتِيَ بالطعام، فإذا فرغ الأكل أخذوا في المسير، فإن أراد الأمير ركوب النهر ركب على ما ذكرناه من الترتيب، وإن أراد المسير في البرّ ضربت الأبطال والأبواق وتقدم حجابيه ثم تلاهم المشافون بين يديه، ويكون بين أيدي الحجاب ستة من الفرسان عند ثلاثة منهم ⁽¹⁾ أبطال قد تقلدوها وعند ثلاثة صرّنايات فإذا أقبلوا على قرية أو ما هو من الأرض مرتفع ضربوا تلك الأبطال والصرّنايات، ثم تضرب أبطال العسكر وأبواقه، ويكون عن يمين الحُجَاب ويسارهم المغنون ويغنون نُوبًا، فإذا كان وقت الغداء نزلوا.

111/3

112/3

وسافرت مع علاء الملك خمسة أيام، ووصلنا إلى موضع ولايته وهو مدينة لاهري،

(20) الإصقالات : ألواح تنصب بين المراكب للمرور عليها، واللفظ له صلة بكلمة الصقالات ج(صقالة) البرج، وقد ورد ذكر هذا اللفظ في كتب التاريخ المغربي ويقصد بها شبه بروج تربط الصلة مع قطع الأسطول ... والكلمة من أصل إيطالي (SCALA).

- ابن علي الدكالي الاتحاف الوجيز، ص 65، منشورات الخزنة الصبيحية، 1406

وضبط إسمها بفتح الهاء وكسر الراء، مدينة حسنة على ساحل البحر الكبير (21)، وبها يصب نهر السند في البحر فيلتقي بها بحران، ولها مرسى عظيم يأتي إليه أهل اليمن وأهل فارس وغيرهم، وبذلك عظمت جباياتها، وكثرت أموالها. أخبرني الأمير علاء الملك المذكور أن مجباً هذه المدينة ستون لكا في السنة، وقد ذكرنا مقدار اللك، وللأمير من ذلك ثم دة يك، ومعناه نصف العشر، وعلى ذلك يعطي السلطان البلاد لعماله يأخذون منها لأنفسهم نصف العشر.

113/3

• ذكر غريبة رأيها بخارج هذه المدينة.

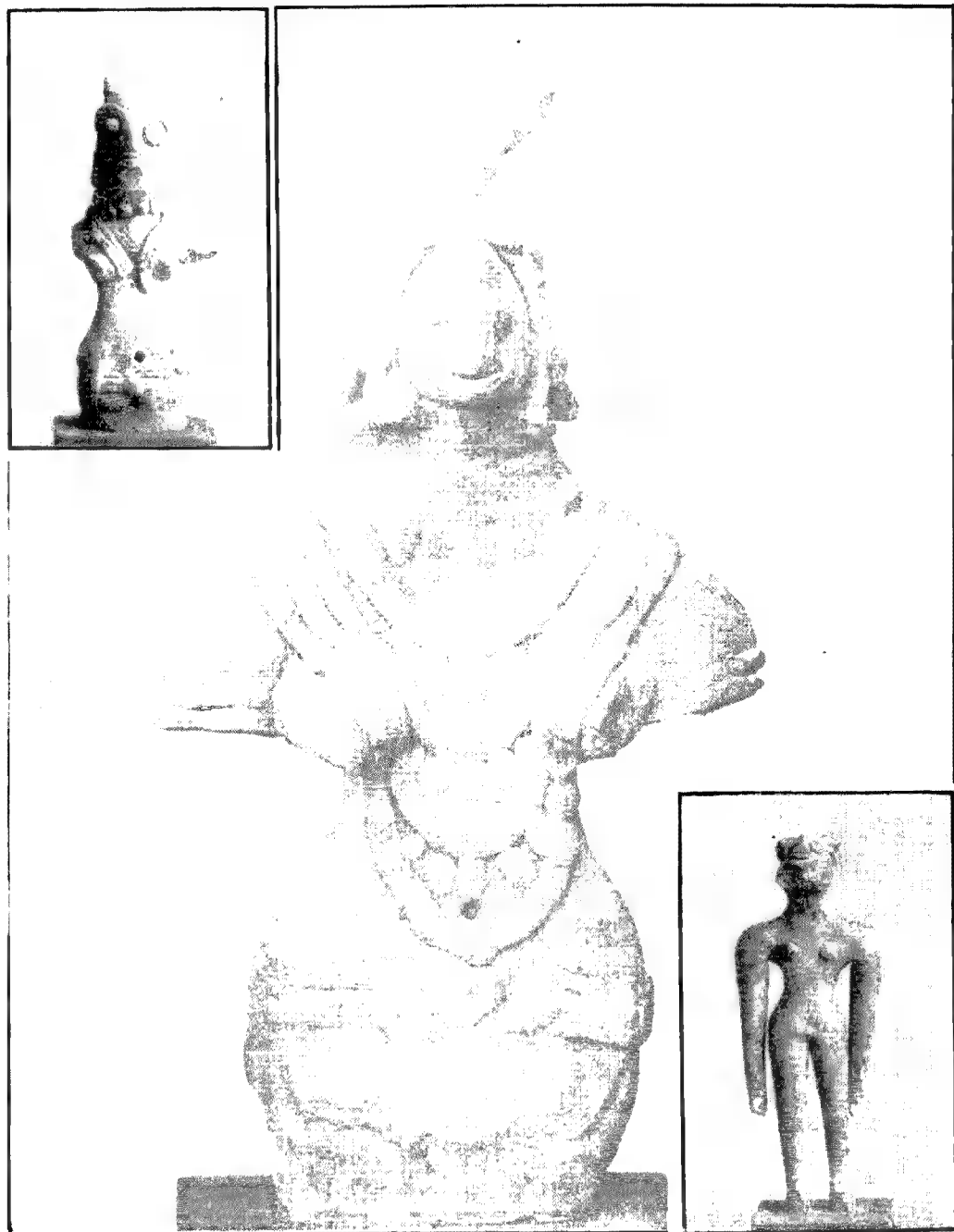
وركبت يوماً مع علاء الملك فانتبهنا إلى بسيط من الأرض على مسافة سبعة أميال منها يعرف بتارنا، فرأيت هناك ما لا يحصره العد من الحجارة مثل صور الأذمين والبهائم (22)، وقد تغير كثير منها ودرث أشكاله فيبقى منه صورة رأس أو رجل أو سواهما، ومن الحجارة أيضاً صور الحبوب من البُر والحمص والفلو والعدس، وهناك آثار سور وجدران دور، ثم رأينا رسم دار فيها بيت من حجارة منحوتة وفي وسطه دكانة حجارة منحوتة كأنها حجر واحد، عليها صورة آدمي إلا أن رأسه طويل، وفمه في جانب من وجهه، ويده خلف ظهره كالكتوف.

114/3

وهناك مياه شديدة الذن، وكتابة على بعض الجدران بالهندي، وأخبرني علاء الملك أن أهل التاريخ يزعمون أن هذا الموضع كانت فيه مدينة عظيمة، أكثر أهلها الفساد فمسخوا حجارة! وأن ملكهم هو الذي على الدكانة في الدار التي ذكرناها وهي إلى الآن تسمى دار الملك وأن الكتابة التي في بعض الحيطان هناك بالهندي هي تاريخ هلاك أهل تلك المدينة وكان ذلك منذ ألف سنة أو نحوها.

(21) العاصمة لاهري (Lahari) هذه المدينة المعروفة تحت إسم لار بندر Larrybunder توجد على بعد 28 ميلاً، جنوب شرقي كراتشي حيث يصب نهر السند في بحر العرب (أنظر الخريطة)، ويمرور الأيام عوضتها (أي لاهري) حوالي سنة 1800 شهيندر، ثم كراتشي أقصى الجنوب عند مصب نهر السند في بحر العرب ولم تلبث أن تحولت العاصمة إلى أقصى الشمال تحت اسم اسلام آباد غرب المنطقة المتنازع عليها مع الهند كاشمير. هذا وكل المخطوطات التي تتوفر عليها تحمل بوضوح تام هذه العبارة (نم دة يك) على نحو ما يوجد في المخطوطات الباريذية، ويرى الأستاذان الناشران D.S. أن يكون هكذا (ده يك) التي تعني العشر. ويستدلان على هذا الاجتهاد منهما بما ورد في بعض المصادر الفارسية التي تتحدث عن ده يك III، (459) تعليق 112 من D.S.

(22) حول تارنا التعريف الوحيد الممكن هو أن نقول إن القصد إلى الاصلال المسماة موراغاري (Mora) التي تقع على بعد ثمانية أميال شمال شرق لاهري



التماثيل

وأقيمت بهذه المدينة مع علاء الملك خمسة أيام ثم أحسن في الزاد وانصرفت عنه إلى مدينة بَكَار (23)، بفتح الباء الموحدة، وهي مدينة حسنة يشقها خليج من نهر السند، وفي وسط ذلك الخليج زاوية حسنة فيها الطعام للوارد والصادر عمرها كَثْلُوخَان أيام ولايته على بلاد السند، وسيقع ذكره.

115/3

ولقيت بهذه المدينة الفقيه الإمام صدر الدين الحنفي، ولقيت بها قاضيها المسمى بأبي حنيفة، ولقيت بها الشيخ العابد الزاهد شمس الدين محمد الشيرازي وهو من المعمرين : ذكر لي أن سنه يزيد على مائة وعشرين عاماً.

ثم سافرت من مدينة بَكَار فوصلت إلى مدينة أُوْجَه (24)، وضبط إسمها بضم الهمزة وفتح الجيم، وهي مدينة كبيرة على نهر السند، لها أسواق حسنة وعمارة جيدة، وكان الأمير بها إذ ذاك الملك الفاضل الشريف جلال الدين الكيجي أحد الشجعان الكرماء، وبهذه المدينة توفي بعد سقطة سقطها عن فرسه .

116/3

مكرمة لهذا الملك

ونشأت بيني وبين هذا الملك الشريف جلال الدين مودة، وتأكدت بيننا الصحبة والمحبة، واجتمعنا بحضرة دهلي، فلما سافر السلطان إلى دولة أباد، كما سنذكره، وأمرني بالإقامة بالحضرة، قال لي جلال الدين، إنك تحتاج إلى نفقة كبيرة، والسلطان تطول غيبته فخذ قريتي واستغلها حتى أعود، ففعلت ذلك واستغللت منها نحو خمسة آلاف دينار جزاه الله أحسن جزائه.

ولقيت بمدينة أُوْجَه الشيخ العابد الزاهد الشريف قطب الدين حيدر العلوي (25)، وألبسنني الخرقة، وهو من كبار الصالحين ولم يزل الثوب الذي ألبسنه معي إلى أن سلبني كفار الهنود في البحر (26).

(23) بَكَار القصد إلى جزيرة - بُهاخار (BHAKHAR) جزيرة محصنة على نهر السند تقع بين مدينة سكر (SUKKUR) ومدينة رُوْهري ROHRI على بعد 110 أميال، من سيوستان (Schwan) سألقة الذكر.

(24) أُوْجَه (Uch) على طريق ملتان جنوبها وفي غرب ولاية بُها وَلُبور (أنظر الخريطة) (Bahawalpur) كانت على ذلك العهد مركزاً إسلامياً هاماً تحتضن، فيمن تحتضنه الشيخ جلال الدين البخاري (1199 - 1291) وهو من عيون السُهروردية ...

(25) لم نقف على ترجمة حيدر العلوي، كما ولا نعرف إلى أي طريقة صوفية ينتسب ولو أننا نعرف أن مدينة (أُوْجَه) كان مركزاً للسُهروردية، والنسبة إلى الإمام على كرم الله وجهه لا تعني بالضرورة إنه منحدر من فاطمة الزهراء بنت الرسول عليه الصلوات فقد كان للإمام علي زوجات أخر ...

(26) يتحدث هنا عن سلبه في البحر بينما يتحدث في (10.IV) عن سلبه في الغاب...

ثم سافرت من مدينة أوجة إلى مدينة مُلتان (27)، وضبط إسمها بضم الميم وتاء معلولة، وهي قاعدة بلاد السند ومسكن أمير أمرائه، 117/3

وفي الطريق إليها على مسافة عشرة أميال منها الوادي المعروف بخُسرو آباد، وهو من الأودية الكبار لا يجاز إلا في المركب (28)، وبه يبحث عن أمتعة المجتازين أشد البحث، وتُفتش رحالهم، وكانت عادتهم في حين وصولنا إليها أن يأخذوا الرُّبع من كل ما يجلبه التجار ويأخذوا على كل فرس سبعة دنائير مغرمًا، ثم بعد وصولنا للهند بسنتين رفع السلطان تلك المغارم (29)، وأمر أن لا يؤخذ من الناس إلا الزكاة والعشر لما بايع للخليفة أبي العباس العباسي.

ولما أخذنا في إجازة هذا الوادي وفتشت الرحال عظم عليّ تفتيش رحلي لأنه لم يكن فيه طائل، وكان يظهر في أعين الناس كبيراً فكننت أكره أن يُطْلَغ عليه، ومن لطف الله تعالى أن وصل أحد كبار الأجناد من جهة قُطب الملك صاحب مُلتان، فأمر أن لا يُعرض لي يبحث ولا تفتيش فكان كذلك، فحمدت الله على ما هيأه لي من لطائفه. 118/3

وبتنا تلك الليلة على شاطئ الوادي، وقدم علينا في صبيحتها ملك البريد واسمه دَهقان وهو سمرقندي الأصل، وهو الذي يكتب للسلطان بأخبار تلك المدينة وعمالها وما يحدث بها ومن يصل إليها، فتعرفت به، ودخلت في صحبته إلى أمير مُلتان.

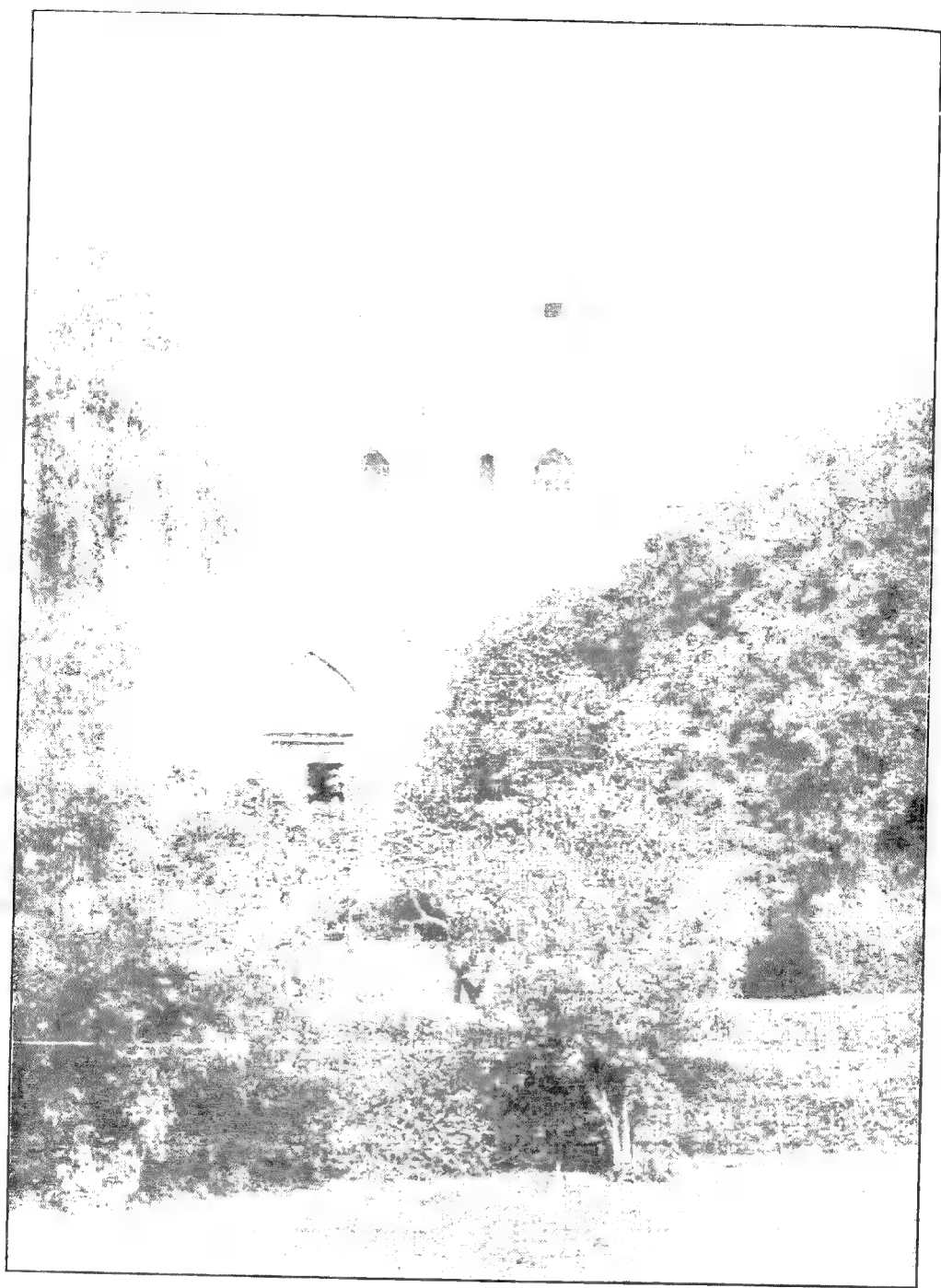
ذكر أمير مُلتان وترتيب حاله

وأمير ملتان هو قُطب المُلْك من كبار الأمراء وفضلائهم، ولما دخلت عليه قام إليّ وصافحني وأجلسني إلى جانبه، وأهديت له مملوكاً وفرساً وشيئاً من الرُّبب واللوز وهومن أعظم ما يُهدى إليهم لأنه ليس ببلادهم، وإنما يجلب من خراسان. 119/3

(27) ملتان (Multan) أعتنقت منذ الفتوحات الأولى دين الإسلام عام 94 هـ = 713 م وقد أصبحت أحد المراكز الإسلامية في السند - كانت عاصمة للسند أيام ابن بطوطة، وتقع ضمن البنجاب.

(28) وادي خسرو آباد يقصد به وادي (راوي Ravi) أحد الأودية الخمس لنهر الهند يمر على مقربة من لاهور منطقة البنجاب ولم نعرف معنى الاسم الغريب الذي أورده ابن بطوطة للوادي - خسرو آباد.

(29) يلاحظ المعلقون أن هذا المرسوم أو الظهير إنما صدر بتاريخ 741 = 1341 وليس سنتين بعد وصول ابن بطوطة للهند، على أن «الخليفة العباسي» المشار إليه إنما عين خليفة في الأيام الأخيرة لهذه السنة صيف 1341. هذا وينبغي التنبيه إلى أن عبارة (سنتين)، تقتضي تعويضها بكلمة (سنتين) فإن لم تكن هفوة من الناسخ فهي سهو من ابن بطوطة!



(ملتان) التي كانت عاصمته السند

وكان جلوس هذا الأمير على دكانة كبيرة، عليها البُسط وعلى مقربة منه القاضي، ويسمى سالار، والخطيب ولا أذكر اسمه، وعن يمينه ويساره أمراء الأجناد وأهل السلاح وقوف على رأسه والعساكر تعرض بين يديه.

وهناك قسي كثيرة، فإذا أتى من يريد أن يثبت في العسكر رامياً أعطى قوساً من تلك القسي ينزع فيها، وهي متفاوتة في الشدة فعلى قدر نزعه يكون مرتبه، ومن أراد أن يثبت فارساً فهناك طبله منصوبة فيجري فرسه ويرميها برمح، وهناك أيضاً خاتم معلق من حائط صغير فيجري فرسه حتى يحاذيه، فإن رفعه برمح فهو الجيد عندهم، ومن أراد أن يثبت رامياً فارساً فهناك كرة موضوعة في الأرض فيجري فرسه ويرميها، وعلى قدر ما يظهر من الإنسان في ذلك من الإصابة يكون مرتبه.

120/3

ولما دخلنا على هذا الأمير وسلمنا عليه كما ذكرناه أمر بإنزالنا في دار خارج المدينة هي لأصحاب الشيخ العابد ركن الدين الذي تقدم ذكره، وعادتهم أن لا يضيفوا أحداً حتى يأتي أمر السلطان بتضييفه.

ذكر من اجتمعت به في هذه المدينة من الغرباء الوافدين على حضرة ملك الهند.

فمنهم خُداوند زاده قوام الدين قاضي ترمذ، قدم بأهله وولده، ثم ورد عليه بها إخوته عماد الدين وضياء الدين وبرهان الدين، ومنهم مبارك شاه أحد كبار سمرقند، ومنهم أرُن بغا أحد كبار بخارى، ومنهم ملك زاده ابن أخت خُداوند زاده، ومنهم بدر الدين الفصّال، وكل واحد من هؤلاء معه أصحابه وخدامه واتباعه.

121/3

ولما مضى من وصولنا إلى مُلتان شهران وصل أحد حُجّاب السلطان وهو شمس الدين البوشنجي والملك محمد الهروي الكُتوال (30)، بعثهما السلطان لاستقبال خُداوند زاده وقدم معهم ثلاثة من الفتيان بعثتهم المخدمة جِهان، وهي أم السلطان، لاستقبال زوجة خُداوند زاده المذكور وأتوا بالخلع لهما ولأولادهما ولتجهيز من قدم من الوفود، وأتوا جميعاً إلّئي وسألوني : لماذا قدمت ؟ فأخبرتهم أنني قدمت للإقامة في خدمة خوند عالم وهو السلطان وبهذا يُدعى في بلاده.

122/3

(30) حول ركن الدين انظر III، 101 - حول برهان الدين انظر III، 58 - الكُتوال تعبير أرُنو يعني رئيس الشرطة.

وكان أمر أن لا يترك أحد ممن يأتي من خراسان يدخل بلاد الهند إلا إن كان برسم الإقامة، فلما أعلمتهم أنني قدمت للإقامة استدعوا القاضي والعدول وكتبوا عقداً عليّ وعلى من أراد الإقامة من أصحابي وأبى بعضهم من ذلك.

وتجهّزنا للسفر إلى الحضرة، وبين مُلتان وبينها مسيرة أربعين يوماً في عمارة متصلة وأخرج الحاجب وصاحبه الذي بُعث معه ما يحتاج إليه في ضيافة قوام الدين واستصحبوا من مُلتان نحو عشرين طبّاخاً وكان الحاجب يتقدم ليلاً إلى كل منزل، فيجهّز الطعام وسواه فما يصل خُداوند زاده حتى يكون الطّعام متيسّراً، وينزل كل واحد ممن ذكرناهم من الوفود على حدة 123/3 بمضاربه وأصحابه، وربّما حضروا الطعام الذي يصنع لخُداوند زاده، ولم أحضره أنا إلا مرة واحدة.

وترتيب ذلك الطعام أنهم يجعلون الخبز، وخبزهم الرقاق، وهو شبه الجراديق، ويقطعون اللحم المشوي قطعاً كبيراً بحيث تكون الشاة أربع قطع أو ستاً، ويجعلون أمام كل رجل قطعة ويجعلون أقراصاً مصنوعة بالسمن تشبه الخبز المشوك (31) ببلادنا، ويجعلون في وسطها الحلواء الصّابونية (32)، ويغطون كل قرص منها برغيف حلواء يسمونه الخشّتي ومعناه الأجرى، مصنوع من الدقيق والسكر والسمن، ثم يجعلون اللحم المطبوخ بالسمن والبصل والزنجبيل الأخضر في صحاف صينية، ثم يجعلون شيئاً يسمونه سَمُوسِك (33)، وهو لحم مهروس مطبوخ باللوز والجوز والفستق والبصل والآبازير، موضوع في جوف رقاقة مقلّوة بالسمن، يضعون أمام كل إنسان خمس قطع من ذلك أو أربعة، ثم يجعلون الأرز المطبوخ بالسمن وعليه الدجاج، ثم يجعلون لقيّمات القاضي ويسموننها الهاشمي ثم يجعلون القاهرية.

ويقف الحاجب على السّمّاط قبل الأكل ويخدم إلى الجهة التي فيها السلطان، ويخدم جميع من حضر لخدمته، والخدمة عندهم حطّ الرأس نحو الركوع، فإذا فعلوا ذلك جلسوا

(31) الجرادق ج. جردق وجردقة . الرغيف، والقصد بالخبز المشوك : المقسوم إلى شطرين ويحشى بالسمن ونحوه من عسل وخليع ...

(32) الصابونية نوع من الحلوى المصرية تركيبتها من اللوز والفستق والنشاء والعسل وزيت السمسم. ويظهر أن من هذه التركية اقتبس أهل فارس حلواهم المعروفة في القديم تحت اسم (الفالودج)، وقد ورد ذكرها عند تفسير الإمام النسفي للآية الشريفة : [يا أيها الذين آمنوا لا تحرّموا طيبات ما أحلّ الله لكم] سورة المائدة 88 د. التازي : الماء والغذاء والإنسان في التراث الإسلامي، أكاديمية المملكة المغربية = 1982 1402.

(33) من أصل فارسي : (Sanbusa) وهي على شكل مثلث على نحو ما نسمّيه في المغرب (البريوات) جمع بريوة : تصغير براءة : الرسالة الصغيرة أطلق عليها تشبيهاً لأنها تطوى على وافي داخلها من لوز ونحوه.



للأكل، ويوتى باقداح الذهب والفضة والزجاج مملوءة بما - النبات، وهو الجلاب محلولاً في الماء، ويسمون ذلك الشرية، ويشربونه قبل الطعام، ثم يقول الحاجب بسم الله فعند ذلك يشرعون في الأكل فإذا أكلوا أتوا بفقاع الفقاع (34)، فإذا شربوه أتوا بالتنبول والفوقل، وقد تقدم ذكرهما، فإذا أخذوا التنبول والفوقل قال الحاجب: بسم الله فيقومون ويخدمون مثل خدمتهم أولاً وينصرفون.

125/3

وسافرنا من مدينة ملتان، وهم يجرون هذا الترتيب على حسب ما سطرناه إلى أن وصلنا إلى بلاد الهند، وكان أول بلد دخلناه مدينة أبوهـر (35)، بفتح الهاء، وهي أول تلك البلاد الهندية، صغيرة حسنة كثيرة العمارة، ذات أنهار وأشجار.

وليس هنالك من اشجار بلادنا شيء - ما عدا التبق (36)، لكنه عندهم عظيم الجرم، وتكون الحبة منه بمقدار حبة العفص، شديد الحلاوة، ولهم أشجار كثيرة ليس يوجد منها شيء ببلادنا ولا بسواها.

ذكر أشجار بلاد الهند وفواكهها.

فمنها الغنية (36)، بفتح العين وسكون النون وفتح الباء الموحدة، وهي شجرة تشبه أشجار النارج - إلا أنها أعظم أجراماً وأكثر أوراقاً وظلها أكثر الظلال غير أنه ثقيل، فمن نام تحته وُك، وثمرها على قدر الإحاص الكبير، فإذا كان أخضر قبل تمام نضجه أخذوا ما سقط منه وجعلوا عليه الملح وصبروه كما يُصبر الليم (37)، والليمون ببلادنا، وكذلك يصيرون

126/3

(34) الفقاع عند المغاربة - هو الفطر أو الكماء عيسوا هنا أنه شراب يتخذ من هذا النبات، وقد جهل بعض الترجمة معنى الفقاع عندنا فأخذوا يفرضون أنه نبت الشعير - الجعة La Biere الأمر الذي يتنافى والحقيقة، ونحن نعلم عن رأي أهل الهند في الملوك الذين يشربون الخمر وأنهم غير جديرين بالملك أخبار الصين والهند 237 ص 232.

(35) أبوهـر (Abuhar) على مقربة من الحدود الهندية الباكستانية اليوم في إقليم فيروزبور FERROZEPUR في البنجاب جنوب مدينة لاهور (انظر الخريطة) - يُوخذ على ابن بطوطة أنه ارتكب خطأ بذكر هذه المدينة قبل مدينة أجودهن نسبة الذكر - التاريخ مع ابن بطوطة في بلاد الهند والسند. دعوة الحق عدد 287 - 293 مصدر سابق.

(36) يشرع ابن بطوطة هنا في تقديم معلومات عن النبات في الهند، ابتدأها بالتبق الذي هو ثمر السدرة الشائكة المعروفة بقصرها. وهو يصغر في الحميم ما يوجد في الهند مما يعرف عندنا باسم الزرف (jubjub)، وإلى جانب التبق ذكر الغنية أخذاً من التعبير الهندي Amb، وتعرف في اللغة الإنجليزية تحت اسم مانكو محرقة عن الاسم بلغة التاميل مانكاي (Manakai) إلى آخر اللانحة.

(37) ما يسمى بالمغرب بالليمون الدق أي الحقيق الحجم، وتصييره - أو تصغيره كما نقول في المغرب - ضروري لدى بعض العائلات وهذا الليمون يعرف في بلاد الخليج (نومي بصرة) انظر سليم النعيمي

أيضا الزنجبيل الأخضر، وعناقيد الفلفل ويأكلون ذلك مع الطعام يأخذون بإثر كل لقمة يسيراً من هذه المملوحات، فإذا نضجت العنبة في أوان الخريف، إصفرّت حباتها فاكلوها كالتفاح، فبعضهم يقطعها بالسكين، وبعضهم يمصها مصاً، وهي حلوة يمازج حلاوتها يسير حموضة، ولها نواة كبيرة يزرعونها فتنبت منها الأشجار كما تزرع نوى النارج وغيرها.

ومنها الشكي والبركي (38)، بفتح الشين المعجم وكسر الكاف، وفتح الباء الموحدة وكسر الكاف أيضاً، وهي أشجار عادية أوراقها كأوراق الجوز، وثمرها يخرج من أصل الشجرة فما اتصل منه بالأرض فهو البركي وحلاوته أشد ومطعمه أطيب، وما كان فوق ذلك فهو الشكي، وثمره يشبه القرع الكبار، وجلوده تشبه جلود البقر، فإذا اصفر في أوان الخريف، قطعوه وشقوه فيكون في داخل كلّ حبة المانة والمائتان فما بين ذلك من حبات تشبه الخيار، بين كل حبة وحبة صفاق أصفر اللون، ولكل حبة نواة تشبه الفول الكبير، وإذا شويت تلك النواة أو طبخت يكون طعمها كطعم الفول، إذ ليس يوجد هناك، ويدخرون هذه النوى في التراب الأحمر فتبقى إلى سنة أخرى، وهذا الشكي والبركي هو خير فاكهة ببلاد الهند.

127/3

ومنها التندو، بفتح التاء المثناة وسكون النون وضم الدال، وهو ثمر شجر الآبنوس، وحباته في قدر حبات المشمش ولونها، شديد الحلاوة.

128/3

ومنها الجمون (39)، بضم الجيم المعقودة، وأشجاره عادية، ويشبه ثمره الزيتون وهو أسود اللون ونواه واحدة كالزيتون.

ومنها النارج الحلو، وهو عندهم كثير، وأما النارج الحامض فعزيز الوجود، ومنه صنف ثالث يكون بين الحلو والحامض وثمره على قدر الليم وهو طيب جداً وكنت يعجبني أكله.

ومنها المهور (40)، بفتح الميم والواو، وأشجاره عادية وأوراقه كأوراق الجوز إلا أن فيها حمرة وصفرة، وثمره مثل الإجاص الصغير، شديد الحلاوة، وفي أعلى كل حبة منه حبة صغيرة بمقدار حبة العنب مجوفة وطعمها كطعم العنب، إلا أن الإكثار من أكلها يحدث في الرأس صداعاً.

129/3

(38) شكي : جنس شجر Le jacquier من فصيلة الخبزيات يشبه القرع ويبلغ وزن الحبة من 25 أو 30 رطل تكفي الواحدة منه لغذاء أربعة أو خمسة أشخاص أما البركي فيشبه البطيخ، الواحدة منه تزن من ثلاثة إلى أربعة أرتال ...

(39) ربّما كان ثمر الآبنوس هو ما يسمّى اليوم تشيكو - حول الجمون - انظر ج II ص 191.

(40) المهور (BASSIA LATIFOLIA) يتخذ منه نوع من المشروبات...

ومن العجب أن هذه الحبوب إذا يَبَسَتْ في الشمس كان مطعمها كمطعم التين، وكنت أكلها عوضاً من التين إذ لا يوجد ببلاد الهند، وهم يسمون هذه الحبة الأُنْكَور، بفتح الهمزة وسكون النون وضم الكاف المعقودة والواو والراء، وتفسيره بلسانهم : العنب.

والعنب بأرض الهند عزيز جداً ولا يكون بها إلا في مواضع بحضرة دهلي وبيلاذ (41) ويثمر مرتين في السنة، ونوى هذا الثمر يصنعون منه الزيت ويستصيحون به.

ومن فواكههم فاكهة يسمونها كَسِيرَا (42)، بفتح الكاف وكسر السين المهمل وياء مدًّ وراء، يحفرون عليها الأرض وهي شديدة الحلاوة تشبه القسطل.

وبيلاذ الهند من فواكه بلادنا الرمان، ويثمر مرتين في السنة ورأيته ببلاد جزائر ذبية المهل لا ينقطع له ثمر، وهم يسمونه أُنَار، بفتح الهمزة والنون، وأظن هو الأصل في تسمية الجُنَّار فإن جُلَّ بالفارسية الزهر، وأُنَار الرمان.

130/3

ذكر الحبوب التي يزرعها أهل الهند ويقتاتون بها

وأهل الهند يزرعون مرتين في السنة، فإذا نزل المطر عندهم في أوان القيط زرعوا الزرع الخريفي وحصدوه بعد ستين يوماً من زراعته، ومن هذه الحبوب الخريفية عندهم الكُذْرُو (43)، بضم الكاف وسكون الذال المعجم وضم الراء وبعدها واو، وهو نوع من الدُّخْن، وهذا الكُذْرُو هو أكثر الحبوب عندهم. ومنها القال، بالقاف، وهو شبه أنلي.

ومنها الشاماخ، بالشين والحاء المعجمين، وهو أصغر حباً من القال، وربما نبت هذا الشاماخ من غير زراعة، وهو طعام الصالحين وأهل الورع والفقراء والمساكين، يخرجون

(41) يظهر أن ابن بطوطة طلب إلى ابن جُزَي أن يترك هنا فراغاً على أمل أن يتذكر المكان الآخر الذي يوجد فيه العنب، بعض النسخ كتبت عوض الفراغ حرف الضاد إشارة للبياض أما البيلوني الذي اختصر الرحلة فقد ملأ المكان بقوله «وبعض أماكن». هذا ويلاحظ أن العنب يوجد بكثرة في الهند كيف هو أي ابن بطوطة يتحدث كما يأتي عن أن دولة آباد تشهد موسمين اثنين للعنب مع العلم أن العُمري - وهو معاصر لابن بطوطة يتحدث في مسالك الابصار عن وجود العنب بالهند - كلمة (أنكور) من أصل فارسي ...

(42) كَسِيرَا، يجعل كيب أمامه الاسم المحلي والعلمي على هذا النحو : Kaseru : seripus kysoor ويرد وصف ابن بطوطة لها بأنها فاكهة أرضية، هذا وكلمة جُنَّار، كما نرى، كلمة فارسية...

(43) الكُذْرُو : يطلق على ما يعرف عندنا بالمغرب أنلي أوإيلان (Millet)، يكثر بجنوب المغرب ويوصف لتقوية العظام وهو قريب من الدُّخْن ومن القال ... أما الشاماخ فقد قال عنه ابن بطوطة أنه قد ينبت من غير زراعة، ولذلك كان طعام الصالحين!

لجمع ما نبت منه من غير زراعة، فيمسك أحدهم قفة كبيرة يساره وتكون بيمنه مقرعة يضرب بها الزرع فيسقط في القفة، فيجمعون منه ما يقتاتون به جميع السنة

وحب هذا الشاماخ صغير جدا، وإذا جمع جعل في الشمس ثم يدق في مهاريس الخشب فيطير قشره، ويبقى لبُّه أبيض ويصنعون منه عصيدة يطبخونها بحليب الجواميس، وهي أطيب من خبزها، وكنت أكلها كثيراً ببلاد الهند وتعجبني. ومنها الماش (44) وهو نوع من الجلبان

ومنها المُنْج (45)، بميم مضموم ونون وجيم، وهونوع من الماش إلا أن حبوبه مستطيلة، ولونه صافي الخضرة، ويطبخون المُنْج مع الأرز ويأكلونه بالسمن، ويسمونهُ كُشْري بالكاف والشين المعجم والراء (46)، وعليه يفطرون في كل يوم وهو عندهم كالحريرة ببلاد المغرب (47)، ومنها اللوبيا (48) وهي نوع من الفول.

ومنها المُوت (49)، بضم الميم وهو مثل الكُذْرُو المذكور إلا أن حبوبه أصفر وهو من علف الدواب عندهم، وتسمن الدواب بأكله.

والشعير عندهم لا قوة له، وإنما علف الدواب من هذا المُوت أو الحمص يجرشونه ويبلّونه بالماء ويطعمونه الدواب، ويطعمونها عوضاً من القصيل أوراق الماش بعد أن تسقى الدابة السمن عشرة أيام في كل ليلة ثلاثة أرتال أو أربعة ولا تركب في تلك الأيام، وبعد ذلك يطعمونها أوراق الماش كما ذكرنا شهراً أو نحوه.

(44) يحكون في بغداد أن العشاء بالماش يسبب أحلاماً لذيذة وقد جرب فصيح¹ وهو ضرب من الفاصوليا (phaseolus radiatus)

(45) المُنْج نوع آخر من الفاصوليا (mungo).

(46) تحتفظ بعض المخطوطات وخاصة رقم 2399 ك بياض قبل حرف الكاف والشين والراء أملاً في شكله ويصنعونه عادة من العدس والأرز. صحن شعبي بمصر من أغنى الصحن وأوسعها انتشاراً

(47) الحريرة نوع من الحساء يمتاز بثرائه في المواد التي يتكون منها، وهي مشهورة عند المغاربة وخاصة عند الإفطار أيام رمضان، وتكون الحريرة مع الكسكس الصُخْن الأساس في الديار المغربية

ومما قاله الشيخ أحمد بن المامون البلغيثي مازحاً متفكها.

أُحِبُّ الحَرِيرَةَ وَالْكُسْكُسَ وَحُبُّهُمَا فِي الْفَوَادِ رَسَا
فَأَنَا الحَرِيرَةُ فَالْجِرْ مُنْهَا ' وَثَانِي الْأَخِيرِ مَحَلِّي النِّسَا ' '1

(48) اللوبيا اسم فارسي للفاصوليا الصغيرة (Vigna catiang)

(49) الموت القصد إلى (Cyperus Rotundus) وهو نوع كما قال من (الكُذْرُو)

وهذا الحبوب التي ذكرناها هي الخريفية، وإذا حصدها بعد ستين يوماً من زراعتها
ازدروعوا الحبوب الربيعية وهي القمح والشعير والحمص والعدس وتكون زراعتها في الأرض
التي كانت الحبوب الخريفية مزدوعة فيها ويلادهم كريمة، طيبة التربة. 133/3

وأما الأرض فإنهم يزدرعونه ثلاث مرات في السنة، وهو من أكثر الحبوب عندهم،
ويزدرعون السمسم، وقصب السكر مع الحبوب الخريفية التي تقدم ذكرها.

ولنعد إلى ما كنا بسبيله فأقول سافرنا من مدينة أبوهـر في صحراء مسيرة يوم في
أطرافها جبال منيعة يسكنها كفار الهنود وربما قطعوا الطريق، وأهل بلاد الهند أكثرهم
كفار، فمنهم رعية تحت ذمة المسلمين يسكنون القرى ويكون عليهم حاكم من المسلمين يقدمه
العامل أو الخديم (50) الذي تكون القرية في إقطاعه.

ومنهم عصاة محاربون يمتنعون بالجبال ويقطعون الطريق.

134/3

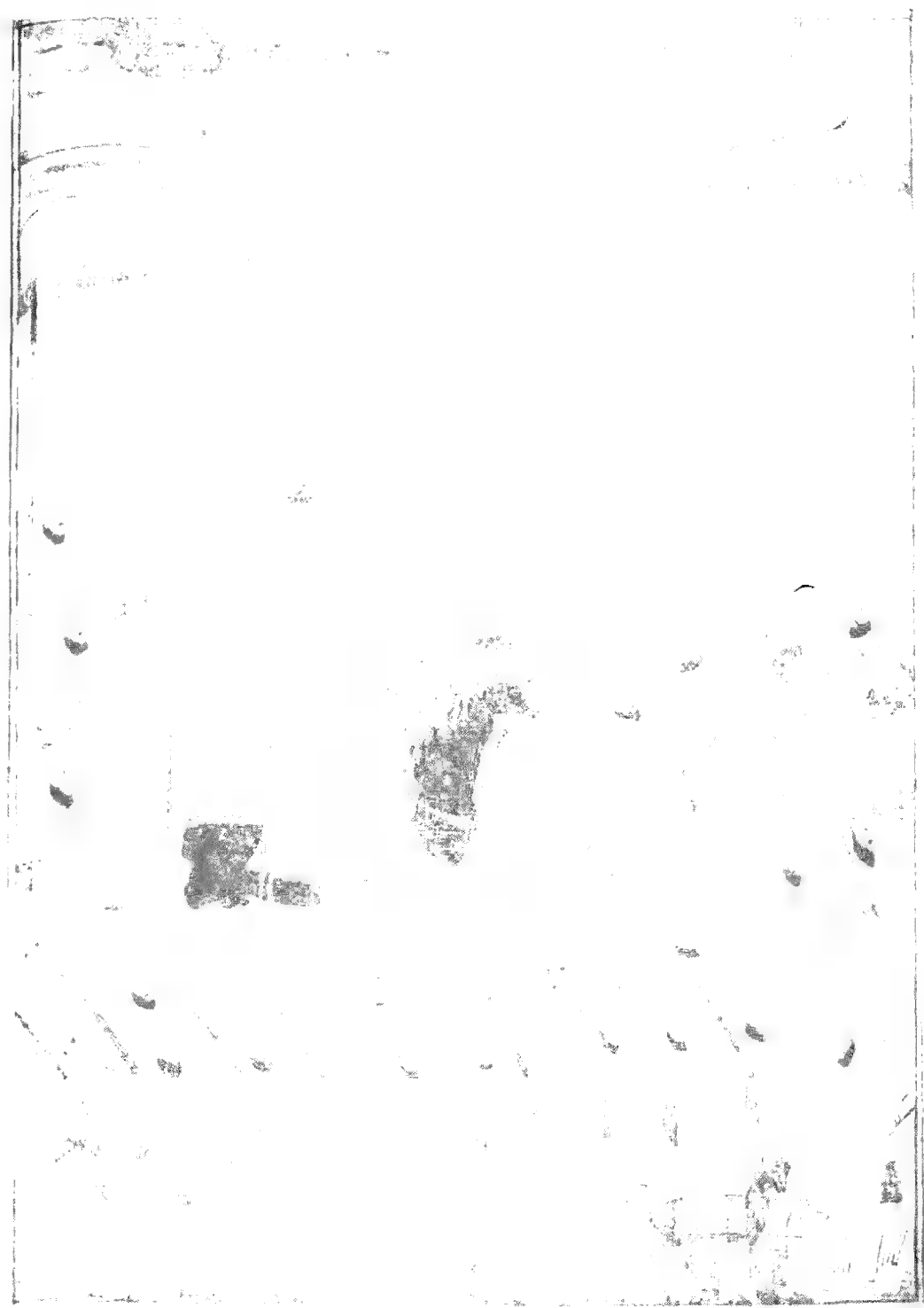
ذكر غزوة لنا بهذا الطريق وهي أول غزوة شهدتها ببلاد الهند

ولما أردنا السفر من مدينة أبوهـر خرج الناس منها أول النهار وأقمت بها إلى نصف
النهار في لمة من أصحابي، ثم خرجنا ونحن اثنان وعشرون فارساً منهم عرب ومنهم أعاجم،
فخرج علينا في تلك الصحراء ثمانون رجلاً من الكفار وفارسان، وكان أصحابي ذوي نجدة
وغناء، فقاتلناهم أشد القتال، فقتلنا أحد الفارسين منهم وغنمنا فرسه، وقتلنا من رجالهم نحو
اثنى عشر رجلاً، وأصابني نصابة، وأصابني فرسي نصابة ثانية، ومن الله بالسلامة منها، لأن
نشأبتهم لا قوة لها، وجرح لأحد أصحابنا فرس عؤصناه له بفرس الكافر وذبحنا فرسه
المجروح، فأكله الترك من أصحابنا، وأوصلنا تلك الرؤوس إلى حصن أبي بكهر (51)
فعلقناها على سورته ووصلنا في نصف الليل إلى حصن أبي بكهر المذكور وضبط اسمه بفتح
الباء الموحدة وسكون الكاف وفتح الهاء وآخره راء.

135/3

(50) لا بد أن نقف عند هذه الألقاب الثلاثة الحاكم الذي يعني شخصاً يمارس السلطة، والعامل الذي قد
يعني الوالي أو الذي يشرف على جمع أموال الزكاة، والخديم الذي يعني الموظف الذي يعمل تحت إشراف
مسؤول كبير من وظيفة أو إقطاع وما تزال هذه الألفاظ مستعملة في الوثائق المغربية.

(51) لم نثر على هذا العلم الجغرافي في غير هذه الفقرة، ولكنه وجد في قطعة ذكرها مهدي حسين على أنه
مكان يحتوي على نزل المسافرين على بعد 20 ميلاً من مدينة أجودهن الآتية مباشرة ...



اول نماذج شيدىة بلاد الهند

وسافرنا منه فوصلنا بعد يومين إلى مدينة أجودهن (52)، وضبط اسمها بفتح الهمزة وضم الحيم وفتح الدال المهمل والهاء واخره نون، مدينة صغيرة هي للشيخ الصالح فريد الدين البذاوني (53) الذي أخبرني الشيخ الصالح الولي برهان الدين الأعرج بالاسكندرية أنني سألقاه، فلقيته والحمد لله، وهو شيخ ملك الهند وانعم عليه بهذه المدينة

وهذا الشيخ مبتلى بالوسواس، والعياذ بالله، فلا يصافح أحداً ولا يدنو منه، وإذا ألصق ثوبه بثوب أحد غسل ثوبه، دخلت زاويته ولقيته وأبلغته سلام الشيخ برهان الدين فعجب، وقال أنا دون ذلك، ولقيت ولديه الفاضلين معز الدين (54) وهو أكبرهما، ولما مات أبوه تولى الشياخة بعده، وعلم الدين (55)، وزرت قبر جده القطب الصالح فريد الدين البذاوني منسوباً إلى مدينة بذاون بلد السبيل (56)، وهي بفتح الباء الموحدة والذال المعجم وضم الواو واخرها نون، ولما أردت الانصراف عن هذه المدينة قال لي علم الدين، لا بد لك من رؤية والدي، فرأيت، وهو في أعلى سطح له، وعليه ثياب بيض وعمامة لها ذوابة، وهي مائلة إلى جانب ودعا لي وبعث إلي بسكر ونبات.

1363

(52) أجودهن ابن بطوطة هنا يعكس خط سيره، فإن (أجودهن) تقع بين ملتان وأبوهو، مكان عبور وادي سولج (Sulaj) الأكثر شرقاً للنجاب، وقد سميت المدينة من قبل الأميراطور أكبر باكططان (Pakpatan) تكريماً للشيخ فريد الدين الذي يقصد مزارته من لندن عارفيه - يراجع التعليق 35

(53) فريد الدين مسعود الملقب بشكركنج (مخزن السكر)، المتوفى عام 706-699 = 1271 كان تلميذاً للقطب الدين بختيار الكاكي وكان هو الذي خلفه وأسس الطريقة الشيشتية في مدينة أجودهن

وقد خلفه ولده بدر الدين سليمان المتوفى عام 677-680 = 1281، وخلف هذا ولده علم الدين مؤج داريا MAWJ - DARYA المتوفى عام 734 - 1334، وهذه الشخصية الأخيرة هي التي يمكن أن يكون ابن بطوطة التقى بها إذا ما احتفظنا بتاريخ 733 = 1333 كتاريخ لوصوله للهند، وهكذا فقد وقع لابن بطوطة خلط بين فريد الدين الجد وبين علم الدين الحفيد الذي كان من جهة أخرى المربي الروحي للسلطان محمد بن تغلق هذا وإن نسبته إلى بذاون فيا خلط بينه وبين خلفه في الطريقة نظام الدين أولياء، فقد ولد هو في غوتفال Ghutval قريب من ملتان وليس في بذاون شرقي دهلي وبالنسبة لبرهان الدين الأعرج، أنظر ج 102 III 38-37-1

(54) معز الدين هذا عين فيما بعد من لندن محمد بن تغلق، حاكماً على كوجرات (Gujerat)، ثم قتل أثناء ثورة عام 748 = 1348

(55) علم الدين شمس شيخاً للإسلام وكبير رجال الفتوى في دهلي

(56) إقليم السبيل (Sumbal) في منطقة أطار براديش (Utar Pradesh) في شرق دهلي

• ذكر أهل الهند الذين يحرقون أنفسهم بالنار

ولما انصرفت عن هذا الشيخ رأيت الناس يهرعون من عسكرنا ومعهم بعض أصحابنا، فسألتهم : ما الخبر ؟ فأخبروا أن كافرا من الهنود مات وأججت النار لحرقه، وامراته تحرق نفسها معه، ولما احترقا جاء أصحابي وأخبروا أنها عانت الميث حتى احترقت معه، وبعد ذلك كنت في تلك البلاد أرى المرأة من كفار الهنود متزينة راكية والناس يتبعونها من مسلم وكافر، والأطبال والأبواق بين يديها ومعها البراهمة وهم كبراء الهنود، وإذا كان ذلك ببلاد السلطان استأذنوا السلطان في إحراقها فيأذن لهم فيحرقونها (57).

137/3

ثم اتفق بعد مدة أنني كنت بمدينة أكثر سكانها الكفار تعرف بأمجري (58)، وأميرها مسلم من سامرة السند، وعلى مقربة منها الكفار العصاة، فقطعوا الطريق يوماً وخرج الأمير المسلم لقتالهم وخرجت معه رعيته من المسلمين والكفار، ووقع بينهم قتال شديد مات فيه من رعية الكفار سبعة نفر، وكان لثلاثة منهم ثلاث زوجات فاتفقن على إحراق أنفسهن، وإحراق المرأة بعد زوجها عندهم أمر مندوب إليه، غير واجب، لكن من أحرقت نفسها بعد زوجها أحرز أهل بيتها شرفاً بذلك ونُسبوا إلى الوفاء، ومن لم تحرق نفسها ليست خشن الثياب، وأقامت عند أهلها بانسة ممتنة لعدم وفاتها، ولكنها لا تكره على إحراق نفسها، ولما تعاهدت النسوة الثلاث اللاتي ذكرناهن على إحراق أنفسهن أقمن قبل ذلك ثلاثة أيام في غناء وطرب وأكل وشرب كانهن يودعن الدنيا، ويأتي إليهن النساء من كل جهة، وفي صبيحة اليوم الرابع أتيت كل واحدة منهن بفرس، فركبته وهي متزينة متعطرة وفي يمانها جوزة نارجيل تلعب بها، وفي يسراها امرأة تنظر فيها وجهها، والبراهمة يحفون بها وأقاربها معها وبين يديها الأطبال والأبواق والأنفار، وكل إنسان من الكفار يقول لها : أبلغي السلام إلى أبي أو أخي أو أمي أو صاحبي ! وهي تقول : نعم، وتضحك إليهم، وركبت مع أصحابي لأرى كيفية صنعهن في الإحراق، فسرنا معهن نحو ثلاثة أميال وانتهينا إلى موضع مظلم كثير المياه والأشجار متكاثف الظلال، وبين أشجاره أربع قباب في كل قبة صنم من الحجارة، وبين القباب صهريج ماء قد تكاثفت عليه الظلال وتزاحمت الأشجار، فلا تتخللها الشمس فكان ذلك الموضع بقعة من بقع جهنم، أعاذنا الله منها، ولما وصلنا إلى تلك القباب، نزلنا إلى

138/3

139/3

140/

(57) هذه العادة المشهورة تحدث عنها كذلك مؤلف أخبار الصين والهند ص 22 وتحدث عنها ماركو پولو، ونذكر أنه صدر قانون عام 1829 يمنع حرق الزوجات لأنفسهن وفاء لعهد الزوج.

(58) أمجري : القصد إلى (Amjhera) على بعد 12 ميلا في غرب ظهار (Dhar) في جنوب غرب منطقة ماديا - براديش (mdhya Pradesh)

الصهريج وانغمسن فيه وجردن ما عليهن من ثياب وحلي فتصدقن به وأتيت كل واحدة منهن بثوب قطن خشن غير مخيط فربطت بعضه على وسطها وبعضه على رأسها وكتفياها والنيران قد أضرمت على قرب من ذلك الصهريج في موضع منخفض وصب عليها روغن كُتِجَتْ (59) وهو زيت الججلان، فزاد في اشتعالها وهناك نحو خمسة عشر رجلا بأيديهم حزم من الحطب الرقيق ومعهم نحو عشرة بأيديهم خشب كبار، وأهل الأبطال والأبواق وقوف ينتظرون مجيء المرأة، وقد حُجبت النار بملحفة يمسكها الرجال بأيديهم ليلاً يدهشها النظر إليها، فرأيت إحداهن لما وصلت إلى تلك الملحفة نزعته من أيدي الرجال بعنف، وقالت لهم (60) : مَارَا مِيترُسَانِي أَرَأَطَشْ مَن مِيدَانَمْ أَوْ أَطَشْ أَسَتْ زَهَا كُتِي مَارَا، وهي تضحك، ومعنى هذا الكلام : أَيْبَالْتَارْ تُخَوِّفُونَنِي ؟ أنا أعلم أنها نار محرقة! ثم جمعت يديها على رأسها خدمة للنار ورمت بنفسها فيها، وعند ذلك ضربت الأبطال والأنفار والأبواق ورمى الرجال ما بأيديهم من الحطب عليها، وجعل الآخرون تلك الخشب من فوقها ليلاً تتحرك، وارتفعت الأصوات وكثر الضجيج، ولما رأيت ذلك كدت أسقط عن فرسي لولا أصحابي تداركوني بالماء، فغسلوا وجهي وانصرفوا!

141/3

وكذلك يفعل أهل الهند أيضاً في الفرق يُغرق كثير منهم أنفسهم في نهر الكنك (61) وهو الذي إليه يحجون، وفيه يرمى برماد هؤلاء المحرقين، وهم يقولون إنه من الجنة، وإذا أتى أحدهم ليُغرق نفسه، يقول لمن حضره : لا تظنوا أنني أغرق نفسي لأجل شيء من أمور الدنيا أو لقلّة مال، إنما قصدي التقرب إلى كُساَي (62)، وكساَي بضم الكاف والسين المهمل، إسم الله عز وجل، بلسانهم، ثم يغرق نفسه، فإذا مات أخرجوه وأحرقوه ورموا برماده في البحر المذكور.

142/3

ولنعد إلى كلامنا الأول فنقول : سافرنا من مدينة أجودهن، فوصلنا بعد مسيرة أربعة أيام منها إلى مدينة سُرُسْتِي (63). وضبط إسمها بسينين مفتوحين بينهما راء ساكنة ثم تاء

(59) الكلمة من أصل فارسي (Kungud) يعني السمسم، (السيرج)

(60) تلاحظ أن ابن بطوطة أمسى يتوفر على نصيب في اللغة الفارسية التي كانت شائعة بتلك المناطق شيوع اللغة الإنجليزية اليوم، ويلاحظ كيب أن الترجمة العربية أهملت الفقرة الأخيرة في النص الفارسي.

(61) الكانج (gange) النهر المقدس عند الهندوس.

(62) يلاحظ أن الناشرين D.S. هما الوحيدان اللذان أضافا كلمة كريشنا (KRISHNA) إلى ترجمتهما، وكانهما يقولان أن القصد من كلمة كساَي - كريشنا أنظر كيب III 616 تعليق 81

(63) سُرُسْتِي كانت مدينة قديمة ولكنها تركت سنة 1138 = 1726 وعوضت عام 1253 = 1837 بسيرُسا في منطقة هاريانا (Haryana) والمدينة اليوم من الجمهورية الهندية شمال غربي دلهي أنظر الخريطة.



رسم بريشة ليون بينيت U. BENNET من القرن 19

مثناة مكسورة وباء، مدينة كبيرة كثيرة الأزز، وأرزها صب ومنها يُحمل إلى حضرة دهلي ولها مجبى كثير جداً، أخبرني الحاجب شمس الدين البوشنجي بمقداره وأنسيته.

14

ثم سافرنا منها إلى مدينة حانسي (66)، وصبط اسمها بفتح الحاء المهمل وألف ونون ساكن وسين مهمل مكسورة وباء، وهي من أحسن المدن وأتقنها وأكثرها عمارة، ولها سور عظيم ذكروا أن بانيه رجل من كبار سلاطين الكفار يسمى توره، بضم التاء المقلوة وفتح الراء، وله عندهم حكايات وأخبار. ومن هذه المدينة هو (67) كمال الدين صدر جهان، قاضي قضاة الهند، وأخوه قطلو خان معتمد السلطان وأخواتها نظام الدين وشمس الدين الذي انقطع إلى الله وجاور بمكة حتى مات.

ثم سافرنا من حانسي فوصلنا بعد يومين إلى مسعود آباد (68)، وهي على عشرة أميال من حضرة دهلي، وأقمنا بها ثلاثة أيام، وحانسي ومسعود آباد، هما للملك المعظم هوشنج، بضم الهاء وفتح الشين المعجم وسكون النون وبعدها جيم، ابن الملك كمال كرك بكافين معقودين أولاهما مضمومة، ومعناها الذئب، وسيأتي ذكره

14

وكان سلطان الهند الذي قصدنا حضرته غانبا عنها بناحية مدينة قنوج (67)، وبينها وبين حضرة دهلي عشرة أيام، وكانت بالحضرة والدته وتدعى المخدومة جهان، وجهان إسم الدنيا، وكان بها أيضاً وزيره خواجه جهان المسمى بأحمد بن إياس، الرومي الأصل (68) فبعث الوزير إلينا أصحابه ليتلقونا، وعين للقاء كل واحد منا من كان من صفقه، فكان من الذين عيّنهم للقاء الشيخ البستامي والشريف المازندراني، وهو حاجب الغرباء، والفقيه علاء الدين الملتاني المعروف بقنره، بضم القاف وفتح النون ونشديدها،

وكتب إلى السلطان بخبرنا وبعث الكتاب مع الدأوة وهي بريد الرجالة، حسيما ذكرناه، فوصل إلى السلطان، وأتاه الجواب في تلك الأيام الثلاثة التي أقمناها بمسعود آباد

14

(64) حانسي فتحت من لدن الغزنويين عام 429 = 1038 وقد اقترن اسمها باسم ثورة السيد ابراهيم الذي أخضعها عام 1336م.

(65) كلمة (هو) سمعتها في ماليزيا تلام ذكر الأسماء عندهم.

(66) مسعود آباد اليوم في حالة خراب، وهي على مقربة من قرية نجفكوه (Nadjalgh) على مسافة ميل

(67) سيضبطها (25، IV) بكسر القاف وفتح النون وواو ساكن وجيم.

(68) ربما كان الأمر يتعلق بأحد اليهود المنتمي لأسره رجا المعتنق للإسلام والمنسب إلى ديوجير (Deogir)، دولة آباد الحالية يراجع (212 III)

وبعد تلك الأيام خرج إلى لقائنا القضاة والفقهاء والمشايخ وبعض الأمراء، وهم يسمون الأمراء ملوكا، فحيث يقول أهل ديار مصر وغيرها الأمير يقولون هم الملك، وخرج إلى لقائنا الشيخ ظهير الدين الزنجاني وهو كبير المنزلة عند السلطان.

ثم رحلنا من مسعود آباد فنزلنا بمقربة من قرية تسمى بآلم (69)، بفتح الباء المعقودة وفتح اللام، وهي للسيد الشريف ناصر الدين مظهر الأوهري (70) أحد ندماء السلطان وممن له عنده الحظوة التامة.

وفي غد ذلك اليوم وصلنا إلى حضرة دهلي قاعدة بلاد الهند وضبط إسمها بكسر الدال المهمل وسكون الهاء وكسر اللام، وهي المدينة العظيمة الشأن، الضخمة، الجامعة بين الحسن والحصانة وعليها السور الذي لا يعلم له في بلاد الدينا نظير وهي أعظم مدن الهند بل مدن الإسلام كلها بالمشرق.

146/3

ذكر وصفها

ومدينة دهلي كبيرة الساحة، كثيرة العمارة وهي الآن أربع مدن متجاورات متصلات. إحداها : المسماة بهذا الاسم دهلي وهي القديمة، من بناء الكفار، وكان افتتاحها سنة أربع وثمانين وخمسمائة (71).

والثانية : تسمى سيرى، بكسر السين المهمل والراء وبينهما ياء مد، وتسمى أيضا دار الخلافة (72)، وهي التي أعطاها السلطان لغياث الدين حفيد الخليفة المستنصر العباسي لما قدم عليه، وبها كان سكنى السلطان علاء الدين وابنه قطب الدين، وسنذكرهما.

(69) تقع (بالم) على بعد ستة أميال جنوب شرق المحطة السابقة . مسعود آباد .

(70) مظهر هذا لم نقف على ترجمته، وقد سبق ذكره من لدن ابن بطوطة على أنه من عراق العجم، وأنه مقيم بالهند (420،1).

(71) إن القصبه التي كانت النواة الأولى للمدينة لألكوت (Lalkot) بنيت حوالي سنة 444 هـ = 1052م من طرف راجبوت Rajput أحد الزعماء في القرن الحادي عشر، وقد فتحت المدينة من لدن قطب الدين أيبك (Aibak) عام 588 = 1192 وليس عام 584 = 1188 كما يقول ابن بطوطة، تقع على بعد عشرة أميال نحو جنوب مدينة موغال Mughal في دهلي. راجع دائرة المعارف الإسلامية الطبعة الجديدة . د. التازي : مع ابن بطوطة في السند والهند - دعوة الحق، العدد 287 والعدد 293 أكتوبر 1992 .

(72) تقع سيرى على بعد نحو أربع أو خمس كم. شمال شرق المدينة القديمة : دهلي / أسست في الأصل كقاعدة عسكرية من لدن علاء الدين خلجي (Khaldji) ابتداء من سنة 703 = 1303 .

والثالثة . تسمى تُغلق آباد (73) باسم بانيتها السلطان تُغلق والد سلطان الهند الذي قديمنا عليه، وكان سبب بنائه لها أنه وقف يوماً بين يدي السلطان قطب الدين فقال له يا خوند عالم، كان ينبغي أن تبني هنا مدينة، فقال له السلطان متكهماً . إذا كنت سلطاناً فابنها، فكان من قدر الله أن كان سلطاناً فبنّاها وسماها باسمه

147/3

والرابعة : تسمى جهان پناه (74) وهي مختصة بسكنى السلطان محمد شاه، ملك الهند الآن الذي قديمنا عليه، وهو الذي بناها وكان أراد أن يضم هذه المدن الأربع تحت سور واحد فبنى منه بعضاً وترك بناء باقيه لعظم ما يلزم في بنائه.

ذكر سور دهلي وأبوابها .

والسور المحيط بمدينة دهلي لا يوجد له نظير، عرض حائطه إحدى عشرة ذراعاً، وفيه بيوت يسكنها السُمّار وحُفّاظ الأبواب، وفيها مخازن للطعام ويسمونُها الأتّبارات (75)، ومخازن للعدّد ومخازن للمجانيق، والرّعاتات (76)، ويبقى الزرع بها مدة طائلة، لا يتغير ولا تطرقه آفة. ولقد شاهدت الأُرُرُ يخرج من بعض تلك المخازن ولونه قد اسودّ، ولكن طعمه طيب، ورأيت أيضاً الكُذُرُ يخرج منها، وكل ذلك من اختزان السلطان بلّبن منذ تسعين سنة، ويمشي في داخل السور الفرسان والرجال من أول المدينة إلى آخرها وفيه طيقتان مفتحة إلى جهة المدينة يدخل منها الضوء، وأسفل هذا لسور مبني بالحجارة وأعلاه بالأجر وإبراجه كثيرة متقاربة.

148/2

ولهذه المدينة ثمانية وعشرون باباً، وهم يسمون الباب دروازة، فمنها دروازة

149/3

(73) تغلق آباد تقع على بعد 8 كم. جنوب شرق المدينة القديمة إبتدى بناؤها من لدن غياث الدين تغلق إبتداء من سنة 720 = 1320 . حول السلطان تغلق انظر III 210-215.

(74) تعني الكلمة . ملاذ العالم، وقد بنيت من لدن محمد بن تغلق بعد سنة 725 = 1325، ملأت الفضاء - على مسافة أربعة أميال - بين دهلي القديمة وبين سيرى ...

(75) الأتبارات جمع أنبار ولا يزال العامة في بغداد يسمونها العنباريات.

(76) الرّعاتات نوع من القذافات وهي أخف من المجانيق ويرى التعميمي انها مقلوب عرادة ترمي بقذائف محرقة ... مجلة المجمع العلمي العراقي المجلد 24 سنة 1974 ص 22-23

Cl. Cahen : Un Traité d'Armurerie composé pour Saladin. Bull. d'Etudes orientales XII Beyrouth 1948 - P M 141-3, 157-9.

المسرح الملكي في دمشق



بَدَاوَن (77) وهي الكبرى، ودروازة المندوي (78)، وبها رحبة الزرع، ودروازة جل (79)، بضم الجيم، وهي موضع البساتين ودروازة شاه، إسم رجل، ودروازة بالم (80)، إسم قرية قد ذكرناها، ودروازة نجيب إسم رجل، ودروازة كمال كذلك، ودروازة غزنة (81) نسبة إلى مدينة غزنة التي في طرف خراسان، وبخارجها مُصلَى العيد وبعض المقابر، ودروازة البَجَالِصَة (82)، بفتح الباء والجيم والصاد المهمل.

وبخارج هذه الدروازة مقابر دلهي، وهي مقبرة حسنة بينون بها القباب، ولا بد عند كل قَبْر من محراب وإن كان لا قبة له، ويزرعون بها الأشجار المزهرة مثل قُلْ شَنْبِه وريبول (83)، والنُسرين وسواها، والأزاهير هناك لا تنقطع في فصل من الفصول.

150/3

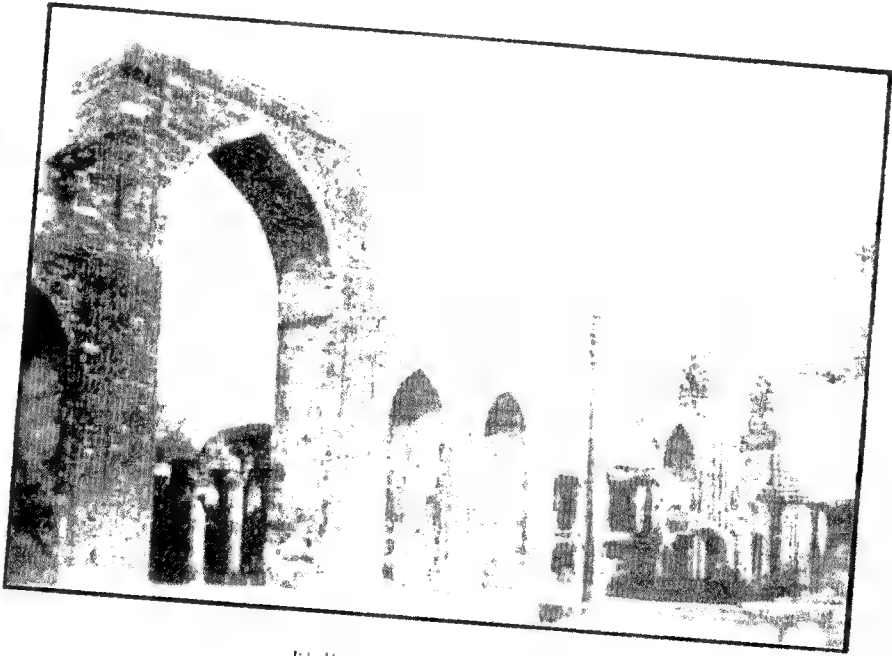
ذكر جامع دلهي

وجامع دلهي كبير الساحة (84) حيطانة وسقفه وفرشه كل ذلك من الحجارة البيض المنحوتة أبدع نحت، مُلصقة بالرصاص أتقن إلصاق، ولا خشبة به أصلاً، وفيه ثلاث عشرة قبة من حجارة، ومنبره أيضاً من الحجر، وله أربعة من الصحن، وفي وسط الجامع العمود الهائل (85) الذي لا يُدري من أي المعادن هو.

- (77) يقع هذا الباب في الشرق وهو يؤدي إلى تغلق آباد، ومن هنا إلى مدينة بدَاوَن (Badam)
(78) مَنْدُوي تعني في الأصل نوعاً من الحبوب، وقد ورد في مقطع للمؤرخ فيريشنا (Firishta) الحديث عن تعيين مفتش لسوق الحبوب يسمى في اللغة الهندية مَانْدُوي (Mandwy) (Gaby, 621 n 10).
(79) جل من أصل فارسي (Giul) وتعني الوردة والزهرة. كما سبقت الإشارة إليه في المتن.
(80) باب (بالم) يقع جنوب غربي المدينة.
(81) هذا الباب ينبغي أن يكون هو المسمى كذلك رَنْجِيَتَا (Randjit) والذي حُصِّن من لدن علاء الدين خلجي في نفس الوقت الذي تم فيه تحصين القسبة.
(82) البَجَالِصَة محطة على مقربة من قَنُوح سيزورما فيما بعد (27.1V).

- (83) ترجمت كلمة [قُلْ شَنْبِه بالفارسية gul-ishabbo نبات من فصيلة النرجسيات 383. III أما الريبول فقد ترجمت بكلمة الياسمين وربما كان القصد إلى الزهر الذي يسمى الفُلْ وربما سمى في العراق (بالرازي) هذا والقصد بكلمة (المحراب) شاهد القبر يكون عند رأس الميت على شكل قوس
(84) هذا المسجد المسمى (قوة الإسلام) شيد على معبد هندي من لدن قطب الدين أيك منذ عام = 1192
588، وقد وسعت مساحته في بداية القرن السابع الهجري = الثالث عشر الميلادي من لدن إلتُمَش، وفي بداية القرن الرابع عشر كذلك من لدن علاء الدين الخلجي، حالته الحاضرة تتوافق والمعالم التي شيدها إلتُمَش

- (85) يرجع تاريخ هذا العمود إلى القرن الرابع الميلادي، وقد نقل - في رأي البعض - من معبد فيشنو (Vishnu) بالهند ويذكر البروفيسور كيب أن علو هذا العمود 24 قدماً مع شكرنا للسفارة الهندية بالرباط



وفي وسط الجامع العمود الهائل



نقطة أخرى للعمود

ذكر لي بعض حكمائهم أنه يسمى هُفت جوش (86)، بفتح الهاء وسكون الفاء وتاء معلولة وجيم مضموم وآخره شين معجم، ومعنى ذلك، سبعة معادن، وأنه مؤلف منها، وقد جُلّي من هذا العمود مقدار السبابة ولذلك المجلو منه بريق عظيم، ولا يؤثر فيه الحديد، وطوله ثلاثون ذراعاً، وأدرنا به عمامة فكان الذي أحاط بدائرته منها ثمانى أذرع

151/3

وعند الباب الشرقي من أبواب المسجد صنمان كبيران جدا من النحاس مطروحان بالأرض، قد ألصقا بالحجارة ويطأ عليهما كل داخل إلى المسجد أو خارج منه (87).

وكان موضع هذا المسجد بُدْخانة، وهو بيت الأصنام (88)، فلما افتتحت جعل مسجداً.

وفي الصحن الشمالي من المسجد الصومعة التي لا نظير لها في بلاد الإسلام، وهي مبنية بالحجارة الحمر خلافاً لحجارة سائر المسجد فإنها بيض، وحجارة الصومعة منقوشة، وهي سامية الارتفاع، وقُحِّلها من الرخام الأبيض الناصع وتفايحها من الذهب الخالص، وسعة ممرها بحيث تصعد فيه القيلة (89).

152/3

حدثني من أثق به أنه رأى الفيل حين بنيت يصعد بالحجارة إلى أعلاها، وهي من بناء السلطان معز الدين بن ناصر الدين ابن السلطان غياث الدين بلبن (90).

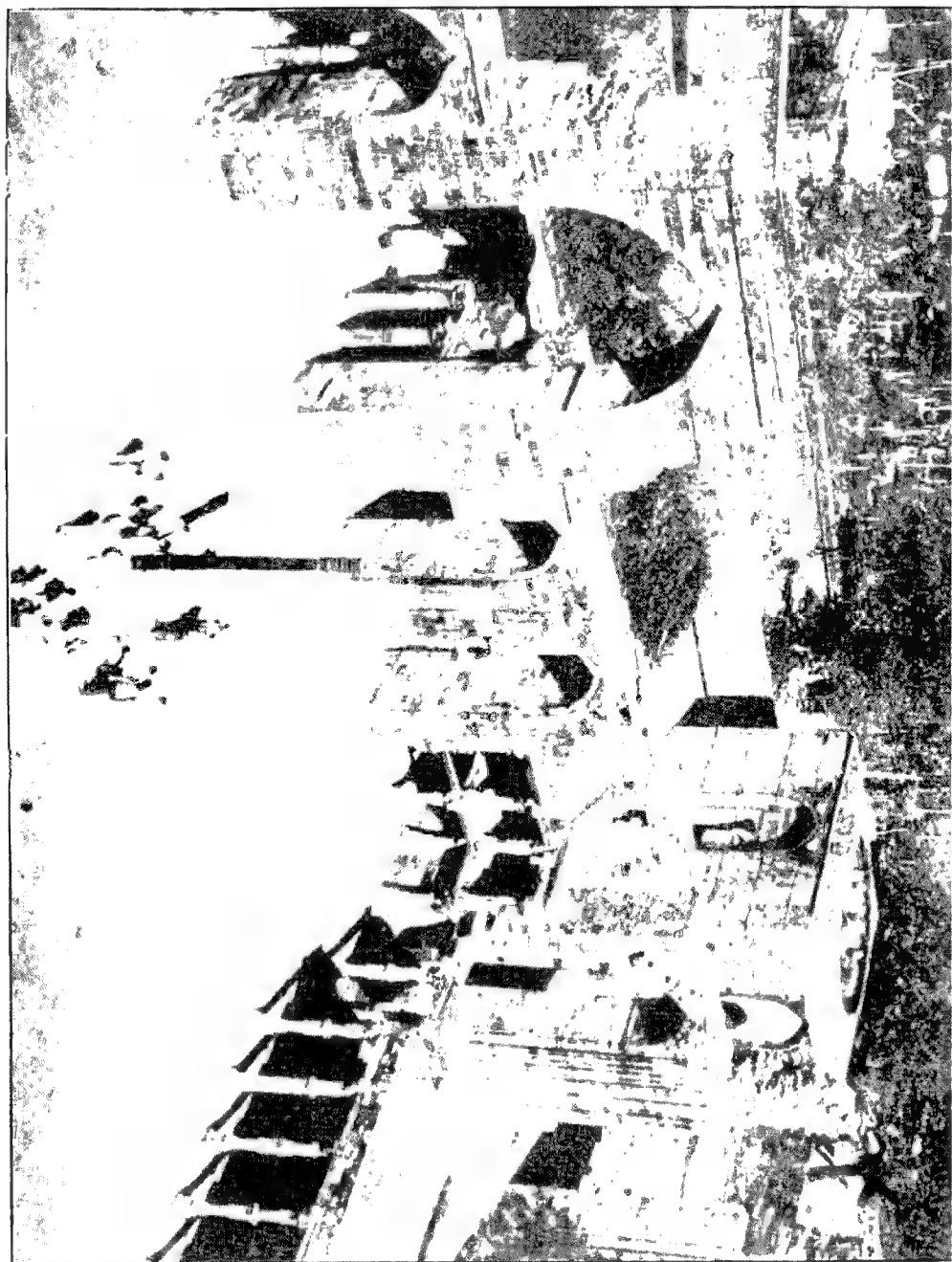
(86) كلمة هُفت جوش (Haft gush) ربما تعني أن العمود سباعي الزوايا أو إنه يتألف من سبعة عناصر باعتبار صمودها أمام الصدى وتقلبات الجو

(87) ربما تعلق الأمر بتمثال يحتوي على عضو تناسلي لفكرًا مديثيًا (Nikramaditya) حُمل من أوجين (Ujjain) من لدن إلتُمِش عام 631 = 1234، بيد أن هناك تماثيل أخرى هندية كانت تنقل بين الفينة والأخرى لتجعل في مكان يتعرض فيه لمرور المسلمين عليه.

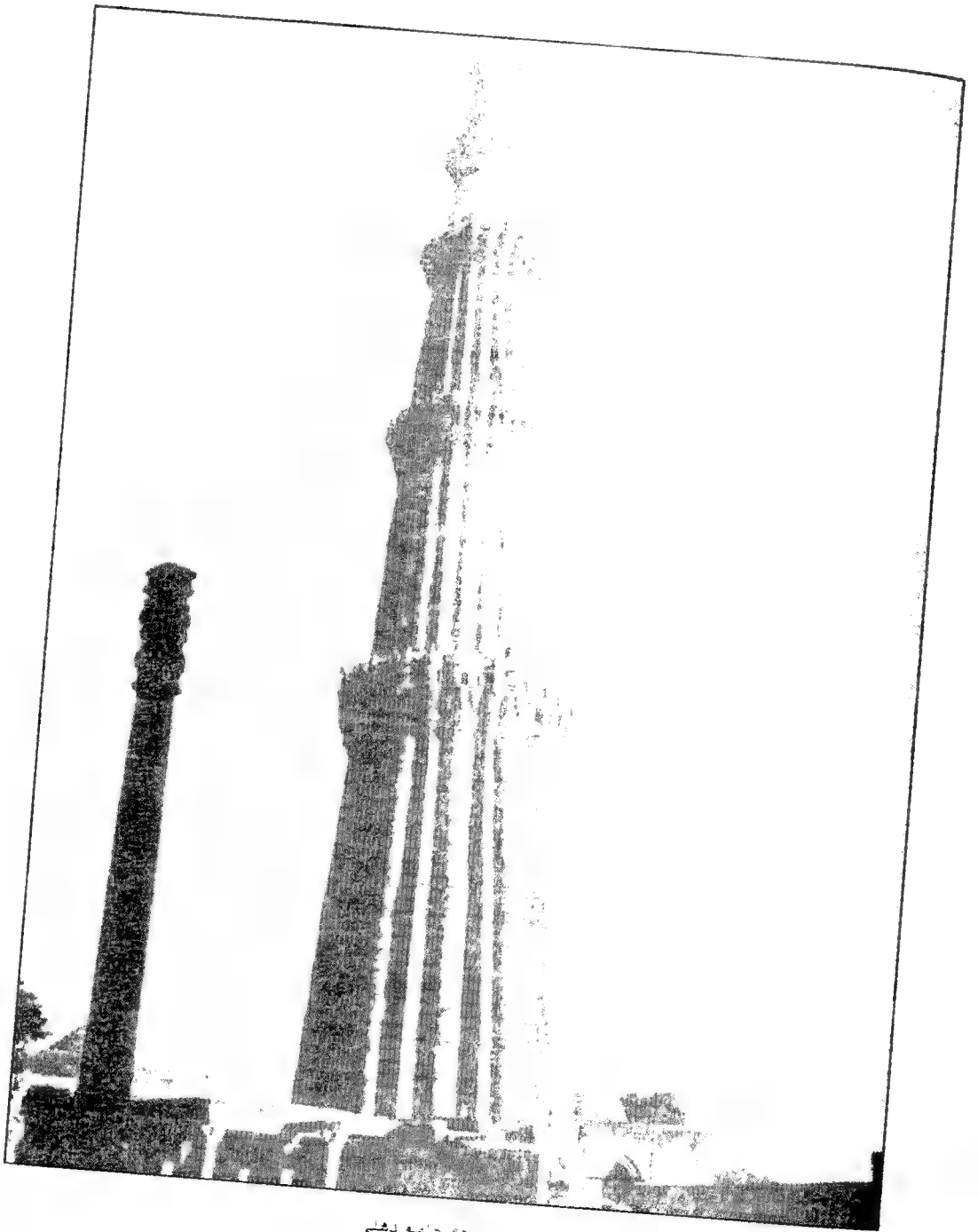
(88) كلمة (بُدْخانة) مركبة من بُودا : إله الهنود، وخانة الفارسية ومعناها البيت فتكون الكلمة بُودا خانة ثم اختصرت، وبالفارسية : بدخانة من بدت : صنم، وكلمة (بد) تطلق عند العرب كالجاحظ والمسهودي والبيروني والشهرستاني على بودا كما أنها تطلق على الصنم .. انظر القاموس وشرحه .. د. سليم النعيمي : ألفاظ من رحلة ابن بطوطة، مجلة المجمع العراقي 1974.

(89) قطب منار (Qutbe Minar) الشهير ابتداءً تشييده قطب الدين أيبك، وأنهى التمش عام 626 = 1229، وزاد في علوه أيضاً فيروز شاه 752 - 790 = 1351 - 1388، علوه حالياً 234 قدم، صعدت يوم 28-4-1975 جانباً فيه بيد أن الرفاق حذروني من الاستمرار في التسلق نظراً لتداعي البناء...

(90) يظهر أن هناك التباساً وقع فيه ابن بطوطة أو الذين أخبروه بين معز الدين (قَلْبَاد) الذي حكم دهلي بين عام 686 - 689 = 1287-1290 الآتي الذكر. وبين السلطان الغوري معز الدين محمد بن سام الذي وردت الإشادة به في نقوش المنار والمتوفى عام 602-1206، وقد بنى المنار من لدن قطب الدين على نموذج غوري يوجد في مدينة جام، وتمم من طرف شمس الدين لألمِش (إيلتمش) حوالي عام 1229 هذا وقد رُمِّم المنار أخيراً بين عام 1828-1829.



مبنى الجامع



جامعہ جامعہ دہلی

وأراد السلطان أن يبني بالصحن الغربي صومعةً أعظم منها فبنى مقدار الثلث منها واخترم دون تمامها (٩١) وأراد السلطان محمد إتمامها ثم ترك ذلك تشاؤماً.

وهذه الصومعة من عجائب الدنيا في ضخامتها وسعة ممرها بحيث تصعده ثلاثة من الفيلة متقارنة، وهذا الثلث المبني منها مساو لارتفاع جميع الصومعة التي ذكرنا أنها بالصحن الشمالي.

وصعدتها مرة فرأيت معظم دور المدينة، وعاينت الأسوار على ارتفاعها وسموها منحنطة، وظهر لي الناس في أسفلها كأنهم الصبيان الصغار. ويظهر لنا ظرها من أسفلها أن ارتفاعها ليس بذلك لعظم جرمها وسعتها

153/

وكان السلطان قطب الدين أراد أن يبني أيضاً مسجداً جامعاً بيسيري المسماة دار الخلافة، فلم يتم منه غير الحائط القبلي والمحراب، وبنائه بالحجارة البيض والسود والحرمر والخضر، ولو كمل لم يكن له مثل في البلاد، وأراد السلطان محمد إتمامه ويعد عرقاء البناء. ليقدروا النفقة فيه فزعموا أنه ينفق في إتمامه خمسة وثلاثون لكا، فترك ذلك استكثاراً له، وأخبرني بعض خواصه أنه لم يتركه استكثاراً لكنه تشاع به لما كان السلطان قطب الدين قد قتل قبل تمامه

154/

ذكر الحوضين العظيمين بخارجها

وبخارج دهلي الحوض العظيم المنسوب إلى السلطان شمس الدين للمش (٩٢) ومنه يشرب أهل المدينة، وهو بالقرب من مصلاها، وماؤه يجتمع من ماء المطر، وطوله نحو ميلين وعرضه على النصف من طوله، والجهة الغربية منه من ناحية المصلى مبنية بالحجارة مصنوعة أمثال الدكاكين بعضها أعلى من بعض وتحت كل دكان درج يُنزَل عليها إلى الماء وبجانب كل دكان قبة حجارة فيها مجالس للمتترهين والمتفرجين، وفي وسط الحوض قبة عظيمة من الحجارة المنقوشة مجعولة طبقتين، فإذا كثر الماء في الحوض لم يكن سبيل إليها إلا في القوارب، فإذا قل الماء دخل إليها الناس وداخلها مسجد، وفي أكثر الأوقات يقيم

155/

(٩١) قاعدة هذه الصومعة التي يبلغ قطر دائرتها ضعف قطر منار قطب ما تزال إلى الآن بادية للعيان. وقد بنيت من لدن علاء الدين الخُلجي 1295-1215 والد قطب الدين. مبارك شاه

(٩٢) حول السلطان شمس الدين هذا انظر III، 164-165

بها الفقراء المنقطعون إلى الله المتوكلون عليه، وإذا جف الماء في جوانب هذا الحوض زرع فيها قصب السكر والخيار والقتاء والبطيخ الأخضر (93) والأصفر وهو شديد الحلاوة صغير الجرم

وفيما بين دهلي ودار الخلافة حوض الخاص (94)، وهو أكبر من حوض السلطان شمس الدين وعلى جوانبه نحو أربعين قبة ويسكن حوله أهل الطرب. وموضعهم يسمى طرب آباد، ولهم سوق هناك من أعظم الأسواق ومسجد جامع ومساجد سواء كثيرة.

وأخبرت أن النساء المغنيات الساكنات هناك يصلين التراويح في شهر رمضان بتلك المساجد مجتمعات ويؤم بهن الأئمة، وعددهن كثير، وكذلك الرجال المغنون، ولقد شاهدت الرجال أهل الطرب في عرس الأمير سيف الدين غدا ابن مهني لكل واحد منهم مصلى تحت ركبته فإذا سمع الأذان قام فتوضأ وصلّى.

156/3

ذكر بعض مزاراتها

فمنها قبر الشيخ الصالح قطب الدين بختيار الكعكي (95)، وهو ظاهر البركة كثير التعظيم، وسبب تسمية هذا الشيخ بالكعكي أنه كان إذا أتاه الذين عليهم الديون شاكين من الفقر أو القلة أو الذين لهم البنات ولا يجدون ما يجهزونهن به إلى أزواجهن يعطى من أتاه منهم كعكة من الذهب أو من الفضة، حتى عُرف من أجل ذلك بالكعكي، رحمه الله، ومنها قبر الفقيه الفاضل نور الدين الكرلاني، يضم الكاف وسكون الراء، والنون، ومنها قبر الفقيه علاء الدين الكرمانى (96) نسبة إلى كرمان، وهو ظاهر البركة ساطع النور ومكانه يُظهر قبلة المصلى، وبذلك الموضع قبور رجال صالحين كثير، نفع الله تعالى بهم.

157/3

(93) القصد إلى ما يسميه المغاربة اليوم بالدّلاح أو الدلاع الذي باطنه أحمر تمييزاً له عن البطيخ الذي باطنه أصفر في الغالب.

(94) يقع حوض الخاص على بعد كيلوميتين شمال المسجد وعلى نفس المسافة سيدي. III/24 271-272-273

(95) قطب الدين بختيار الكعكي المتوفى عام 633 = 1235. 1236 كان تلميذاً لمعين الدين الششتي مؤسس الطريقة الششتية في الهند وقد خلفه في دهلي وقد كان كذلك أستاذاً لفريد الدين مسعود مؤسس الطريقة الششتية في أجودهن ADJODHAN، قبره الموجود في قرية مهزولي ظلّ دائماً محل تقدير من لدن السلطان ومن لدن الناس ويرى بعضهم أن التلقب بالكعكي لسبب آخر.

(96) لم نعرف شيئاً عن الكرلاني أما أسرة الكرمانى فهذه مشهورة بأنها من أسرة لأعيان المتدينين وهي تنحدر من الشريف الحسين بن علي، كانت معروفة في دهلي، ويتعلق الأمر، على ما يحتمل بالشريف محمد بن محمود المتوفى سنة 711 = 1311. صديق ملازم للرجل الصالح نظام الدين أوليا.

ذكر بعض علمائها وصلحاءها

فمنهم الشيخ الصالح العالم محمود الكُبا (٩7)، بالباء الموحدة، وهو من كبار الصالحين، والناس يزعمون أنه ينفق من الكون لأنه لا مال له ظاهراً، وهو يطعم الوارد والصادر ويعطي الذهب والدرهم والآثاب، وظهرت له كرامات كثيرة واشتهر بها، رأيت مرات كثيرة وحصلت لي بركته، ومنهم الشيخ الصالح العالم علاء الدين التلي (٩8)، كانه منسوب إلى نيل مصر، والله أعلم، كان من أصحاب الشيخ العالم الصالح نظام الدين البذاوني، وهو يعظ الناس في يوم كل جمعة فيتوب كثير منهم بين يديه، ويخلقون رؤسهم ويتواجدون ويُغشى على بعضهم.

158/

حكاية [قتيل خوف العذاب]

شاهدته في بعض لأيام وهو يعظ، فقرأ القارئ بين يديه: «يا أيُّها النَّاس اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ يَوْمَ تَرْوَنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنْ عَذَابُ اللَّهِ شَدِيدٌ» (٩٩)، ثم كررها الفقيه علاء الدين فصاح أحد الفقراء من ناحية المسجد صيحةً عظيمة، فأعاد الشيخ الآية فصاح الفقير ثانية ووقع ميتاً! وكنت فيمن صلى عليه وحضر جنازته.

159/

ومنهم الشيخ الصالح العالم صدر الدين الكُهراني (١٠٠)، بضم الكاف وسكون الهاء وراء ونون، وكان يصوم الدهر ويقوم الليل وتجرد عن الدنيا جميعاً ونبذها، ولباسه عباءة، ويزوره السلطان وأهل الدولة، وربما احتجب عنهم فرغب السلطان منه أن يُقطعه قرى يطعم منها الفقراء والواردين، فأبى ذلك، وزاره يوماً وأتى إليه بعشرة آلاف دينار فلم يقبلها، وذكروا أنه لا يفطر إلا بعد ثلاث، وأنه قيل له في ذلك، فقال: لا أفطر حتى اضطرَّ فتجلُّ لي الميتة.

(٩٧) لا يوجد شخص مهم يحمل هذا الاسم في المصادر الهندية، ولهذا فإن القصد - على ما يبدو - إلى ناصر الدين محمود المعروف تحت اسم سراج دهلي، المتوفى عام 757 = 1356، خلف نظام الدين أوليا على ما سنرى ص 211-212 الكُبا. تعني الأحذب.

(٩٨) التلي مولود بموقع معروف تحت اسم (Oudh)، كان أيضاً أحد تلامذة نظام الدين أوليا، وقد توفي في دهلي عام 762 = 1361.

(٩٩) السورة رقم 22، الآية 1 - 2 هذا ويلاحظ على المترجمين الفرنسيين أنهما أضافا من عندهما في الأخير كلمة (il les étourdira) التي لا توجد في نص الآية الواردة هنا

(١٠٠) لم نقف على شيء مما يقربنا إلى هذه الشخصية.

ومنهم الإمام الصالح العالم العابد الورع الخاشع فريد دهره ووحيد عصره، كمال الدين عبد الله الغاري، بالغين المعجم والراء، نسبة إلى غار كان يسكنه خارج دهلي بمقربة من زاوية الشيخ نظام الدين البذاوني، زرته بهذا الغار ثلاث مرات (101).

160/3

كرامة له

كان لي غلام فأبى مني، وألفيته بيد رجل من الترك، فذهبت إلى انتزاعه من يده فقال لي الشيخ: إن هذا الغلام لا يصلح لك فلا تأخذه، وكان التركي راغباً في المصالحة فصالحته بمائة دينار أخذتها منه وتركته له، فلما كان بعد ستة أشهر قتل سيده وأتى به السلطان، فأمر بتسليمه لأولاد سيده، فقتلوه.

ولما شاهدت لهذا الشيخ هذه الكرامة، انقطعتُ إليه ولازمته، وتركته الدنيا ووهبت جميع ما كان عندي للفقراء والمساكين وأقمت عنده (102) مدة فكنت أراه يواصل عشرة أيام وعشرين يوماً، ويقوم أكثر الليل حتى بعث عني السلطان ونشيتُ في الدنيا ثانية، والله تعالى يختم بالخير، وسأذكر ذلك فيما بعد إن شاء الله تعالى وبكيفية رجوعي إلى الدنيا (101).

161/3

(101) سيرد ذكر الغاري III 445-446).

(102) تراجع ص 447 من الجزء III.

الفصل الحادي عشر

فتح دهلي ومن تداولها من الملوك

- د وصف مدينة دهلي
- أولياء وصلحاء دهلي
- السلطان شمس الدين لَلْمِش (ILETMISH) وأبناؤه
- السلطنة رضية بنت شمس الدين...
- السلطان غياث الدين بَلْبَن وحفيده
- السلطان خسرو خان ناصر الدين
- السلطان غياث الدين تُغلق.

ذكر فتح دهلي ومن تداولها من الملوك :

حدثني الفقيه الإمام العلامة قاضي القضاة بالهند والسند كمال الدين محمد بن البرهان الغزنوي (1)، الملقَّب بصدر الجهان، أن مدينة دهلي افتتحت من أيدي الكفار في سنة أربع وثمانين وخمسائة (2)، وقد قرأت أنا ذلك مكتوباً على محراب الجامع الأعظم بها، وأخبرني أيضاً أنها افتتحت على يد الأمير قطب الدين أيُّبِك (3)، واسمه بفتح الهمزة وسكون الياء، آخر الحروف، وفتح الباء الموحدة، وكان يلقب سپاه سالار، ومعناه مقدَّم الجيوش، وهو أحد ممالك السلطان المعظم شهاب الدين محمد بن سام الغوري، ملك غزنة وخراسان (4) المتقلب على ملك إبراهيم (5) بن السلطان الغازي محمود بن سُبُكْتِكِين الذي ابتدأ فتح الهند.

1623

وكان السلطان شهاب الدين المذكور بعث الأمير قطب الدين بعسكر عظيم ففتح الله عليه مدينة لاهور (6) وسكنها وعظم شأنه، وسُعي به إلى السلطان وألقى إليه جلساؤه أنه

(1) قاضي القضاة لدى الممالك في جيش دهلي وهو الذي كان مصدراً لابن بطوطة في هذه الاقادات التي قدمها لنا الرحالة المغربي على ما سنرى

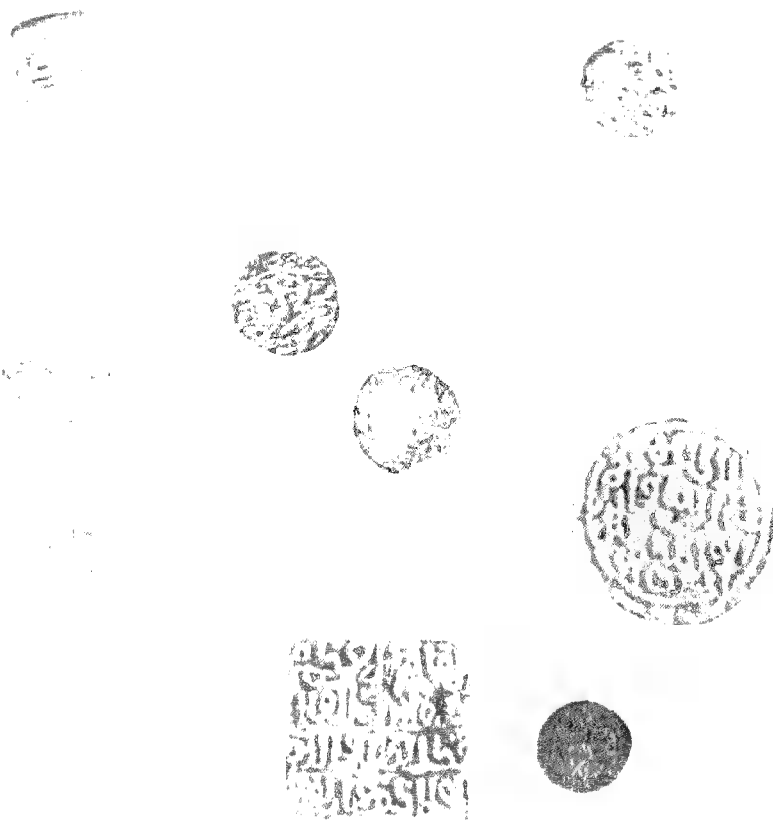
(2) إن أقدم نقش في المسجد يرجع لتاريخ 587=1191 وهو الأمر الذي يتفق مع التاريخ الذي تم فيه إفتتاح دهلي. هذا ونلاحظ هنا أن أبا القاسم الزباني في كتابه الترجمانة الكبرى ينقل صفحة 247 عن ابن بطوطة من غير أن يذكر اسمه بالرغم من أنه التزم أن لا ينقل عن ابن بطوطة اقتناعاً منه بأن ما يرويهِ هذا الرحالة كذب!! انظر المقدمة في المجلد الأول...

(3) قطب الدين أيُّبِك، كان مملوكاً ثم أصبح ضابطاً لسلطنة دهلي 602-610، 1206-1210. وكلمة (سپاه سالار) بمعنى القائد العام للجيش ما تزال مستعملة إلى الآن في إيران على ما لاحظته أثناء سفارتي هناك عام 1979

(4) شهاب الدين سمي نائباً للملك في غزنة عام 568=1173 من طرف أخيه غياث الدين محمد السلطان الغوري المقيم في هرات 558-599=1163-1203. وقد باشر فتح شمال الهند، وبعد وفاة أخيه ورث مجموع الممتلكات الغورية. وعند وفاته هو عام 602=1206 تفككت أجزاء إمبراطوريته وأصبحت الممتلكات الهندية في يد أيُّبِك. هذا ونعيد إلى الذاكرة أن (الغور) يطلق على المنطقة الجبلية الواقعة إلى الشرق والجنوب الشرقي في هرات وإلى الجنوب من غرجستان وجوزان ... بارتولد- تركستان ص 489-619

(5) إبراهيم : سلطان غزنوي 451-492=1059-1099 كان الحفيد، والثاني التاسع لمحمد صاحب غزنة. لقد كانت غزنة فتحت من لدن الغوريين أثناء تملك بهرام 512-547=1118-1152 وعاش الملوك الغزنويون المتأخرون في لاهور إلى عام 562=1186.

(6) لاهور إفتتحت من طرف غياث الدين محمد الغوري وانتزعت من يد آخر ملك غزنوي خسرويه مالك عام 582=1186 لكنها بقيت مع ذلك مقر السلطنة في الهند الاسلامية قبل اخذ دهلي وقد اسعدني الحظ بقضاء بعض الأيام بين معالمها وبين خيار أهلها بمناسية اجتماع وزراء الخارجية المسلمين، يناير عام 1980، في اسلام آباد عاصمة الباكستان، وتقع جنوب (زاوَل بيندي) وشمال ملتان وهي مدينة بالمخطوطات وكتب التراث وفيها وقفت على نسخة قد يمة من الرسالة التي بعثها النبي صلى الله عليه وسلم إلى هرقل ...



انتشرت النقود الإسلامية في بلاد السند والهند
منذ عهد قطب الدين أيبك أنظر (162.III)

يريد الإنفراد بمُلك الهند، وأنه قد عصى وخالف، وبلغ هذا الخبر إلى قطب الدين فبادر بنفسه وقدم على غزنة ليلاً ودخل على السلطان ولا علم عند الذين وشوا به إليه فلما كان بالغد قعد السلطان على سريرته، واقعد أتيك تحت السرير بحيث لا يظهر، وجاء التُدماء والخواص الذين سعوا به فلما استقر بهم الجلوس، وسألهم السلطان عن شأن أتيك، فذكروا له أنه عصى وخالف وقالوا : قد صَحَّ عندنا أنه ادَّعى الملك لنفسه، فضرب السلطان سريره برجله وصفق بيديه، وقال : يا أتيك ! قال : لبَّيك، وخرج عليهم وسَقَطَ في أيديهم، وفرعوا إلى تقبيل الأرض، فقال لهم السلطان : قد غفرت لكم هذه الرُّلة وإياكم والعودة إلى الكلام في أتيك (7)، وأمره أن يعود إلى بلاد الهند فعاد إليها وفتح مدينة دهلي وسواها، واستقر بها الإسلام إلى هذا العهد وأقام قطب الدين بها إلى أن توفى

163/3

164/3

ذكر السلطان شمس الدين لِلْمِش (8)

وضبط إسمه بفتح اللام الأولى وسكون الثانية وكسر الميم وشين معجم، وهو أول من ولي الملك بمدينة دهلي مستقلاً به، وكان قبل تملكه مملوكاً للأمير قطب الدين أتيك وصاحب عسكره ونائباً عنه فلما مات قطب الدين أتيك استبد بالملك، وأخذ الناس بالبيعة فاتاه الفقهاء يقدمهم قاضي القضاة إذ ذاك وجيه الدين الكاساني، فدخلوا عليه وقعدوا بين يديه، وقعد القاضي إلى جانبه على العادة وفهم السلطان عنهم ما أرادوا أن يكلموه به فرفع طرف البساط الذي هو قاعدٌ عليه وأخرج لهم عقداً يتضمن عتقه، فقرأه القاضي والفقهاء - وبايعوه جميعاً واستقل بالملك، وكانت مُدَّتُهُ عشرين (9) سنة، وكان عادلاً صالحاً فاضلاً.

ومن مآثره أنه اشتد في رد المظالم وإنصاف المظلومين وأمر أن يلبس كلُّ مظلوم ثوباً مصبوغاً، وأهل الهند جميعاً يلبسون البياض، فكان متى قعد للناس أو ركب فرأى أحداً عليه ثوب مصبوغ نظر في قضيته وإنصافه ممن ظلمه، ثم إنه أعيا في ذلك، فقال : إن بعض الناس تجري عليهم المظالم بالليل وأريد تعجيل إنصافهم، فجعل على باب قصره أسدين

165/3

(7) هذه الأسطورة إستأثر بها ابن بطوطة نقلاً عما سمعه من العامة ولكن أتيك، بعد غارة ناجحة في الكجرات عام 591=1195 استدعى من لدن السلطان غياث الدين محمد ليأتي إلى غزنة حيث أقام هناك نحو العام... وقد تمت هذه الزيارة قبل فتح دهلي.

(8) الرسم الحقيقي لهذا الإسم ربما يكون هكذا إيليتميش (Himish). عند وفاة أتيك بلاهور عام 607=1210 إثر سقوطه من فرسه، قامت حاشيته بتسمية ولده آرام شاه كسلطان على البلاد، في الوقت الذي كانت فيه أوساط دهلي تنتخب شمس الدين إيليتميش (Himish) المملوك السابق لأبيك - وقد انهزم آرام شاه سنة 608-1211 فاختفى من الساحة...

(9) كان ذلك من سنة 668=1211 إلى 29 أبريل 1236=20 شعبان 633

فتح دهلي ومن تداولها من الملوك

مصورين من الرخام موضوعين على برجين هنالك، وفي أعناقهما سلسلتان من الحديد فيهما جرس كبير، فكان المظلوم يأتي ليلاً فيُحرِّك الجرس فيسمعه السلطان وينظر في أمره للحين وينصفه (10) !

ولما توفي السلطان شمس الدين خُلف من الأولاد الذكور ثلاثة وهم : ركن الدين الوالي بعده، ومعز الدين، وناصر الدين وبنوا تسمى رضية هي شقيقة معز الدين منهم فتولى بعده ركن الدين كما ذكرناه (11).

166/3

ذكر السلطان ركن الدين بن السلطان شمس الدين.

ولما بويغ ركن الدين بعد موت أبيه افتتح أمره بالتعدّي على أخيه معز الدين فقتله (12) وكانت رضية شقيقته، فأنكرت ذلك عليه فأراد قتلها فلما كان في بعض أيام الجمع، فخرج ركن الدين إلى الصلاة (13)، فصعدت رضية على سطح القصر القديم المجاور للجامع الأعظم، وهو يسمى دولة خانة ولبست عليها ثياب المظلومين، وتعرضت للناس وكلمتهم من أعلى السطح وقالت لهم : إن أخي قتل أخاه، وهو يريد قتلي معه، وذكرتهم أيام أبيها وفعله الخير وإحسانه إليهم، فثاروا عند ذلك إلى السلطان ركن الدين وهو في المسجد، فقبضوا عليه وأتوا به إليها، فقالت لهم : القاتل يُقتل، فقتلوه قصاصاً بأخيه وكان أخوهما ناصر الدين صغيراً فاتفق الناس على تولية رضية.

167/3

ذكر السلطنة رضية

ولما قُتل ركن الدين اجتمعت العساكر على تولية أخته رضية فولّوها الملك واستقلت فيه أربع سنين، وكانت تركب بالقوس والتركش والقربان (14) كما يركب الرجال ولا تستر وجهها،

(10) هذه التقاليد نسبت لعدد من الملوك: الادريسي : النزهة ق 1 ص 98

(11) كان السلطان ايليتميش عيّن كخلف له على كرسي الملك ابنته رضية، بيد أن الأمراء لم يستطيعوا أن يهضموا فكرة تولي امرأة على الحكم بالملكة، وفضلوا على رضية ابنه ركن الدين الدين فيروز الذي حكم إلى يوم 8 ربيع الأول 634 = 9 نونبر من نفس السنة 1236.

(12) لم يكن لركن الدين الوقت الكافي حتى يجهز على أخيه معز الدين ! معز الدين خلفته في الحكم أخته رضية عام 637=1240 كما سنرى.

(13) كان ركن الدين خرج من دهلي ليواجه بعض الحكام الثائرين عليه عند ما شاع في البلاد عن أخبار تتحدث عن اغتيال وشيك لرضية من طرف الملكة الأم، لقد قام سكان المدينة ضده وأجلسوا رضية على العرش، وهكذا تخلى الناس عن ركن الدين فالقى عليه القبض وقُتل.

(14) دولة خانة - مقر الحكومة - التركش : كنانة السهام - القربان : الجلساء.

ثم إنها اتَّهَمَت بعبْدٍ لها من الحبشة (١٥)، فاتفق الناس على خلعها وتزويجها، فخلعت وزوجت من بعض أقاربها وولى الملك أخوها ناصر الدين (١٦)

169/3

ذكر السلطان ناصر الدين بن السلطان شمس الدين.

ولما خُلِعَت رضية وُلِّي ناصر الدين أخوها الأصغر، واستقل بالملك مدة، ثم إن رضية وزوجها خالفا عليه (١٧)، وركبا في مماليكهما ومن تبعهما من أهل الفساد وتهباً لقتاله، وخرج ناصر الدين ومعه مملوكه النائب عنه غياث الدين بلبَن متولّي الملك بعده فوقع اللقاء وانهزم عسكر رضية وفرت بنفسها فأدركها الجوع وأجهدها الإعياء، فقصدت حرّاً رآته يحرث الأرض، فطلبت منه ما تأكله فأعطاه كسرة خبز فأكلتها وغلب عليها النوم، وكانت في زي الرّجال، فلما نامت نظر إليها الحراث وهي نائمة فرأى تحت ثيابها قباً مرصعاً، فعلم أنها امرأة فقتلها، وسلبها وطرد فرسها ودفنها في فدّانه، وأخذ بعض ثيابها فذهب إلى السوق يبيعهها، فأنكر أهل السوق شأنه وأتوا به الشُّحنة (١٨)، وهو الحاكم، فضربه، فأقرّ بقتلها، ودلّهم على مدفنها فاستخرجوها وغسلوها وكفّنها، ودفنت هناك، وبُني عليها قبة، وقبرها الآن يُزار ويُتبرك به وهو على شاطئ النهر الكبير المعروف بنهر الجون (١٩) على مسافة فرسخٍ واحدٍ من المدينة.

170/3

واستقل ناصر الدين بالملك بعدها واستقام له الأمر عشرين سنةً وكان ملكاً صالحاً.

(١٥) الوضع السياسي في دهلِي تحكّم فيه، عند تلك الفترة، مجلس الأربعين عائلة التي تنتمي للأمراء الأتراك الذين كانوا يعارضون منذ البداية إمارة رضية، فلأجل أن تحتفظ رضية بالتوازن الذي يضمن لها البقاء شجعت دخول مقدم الاصطبلات الأفريقي الحبشي جلال الدين ياقوت للميدان السياسي، الأمر الذي أحدث هو الآخر شرخاً جديداً أدى إلى خلع الامبراطورة رضية.

(١٦) ينبغي أن نقرأ عوض ناصر الدين معز الدين بهرام (637-640=1240-1242). سيخلف أحد أبناء ركن الدين، علاء الدين مسعود (640-664=1242-1266) أما ناصر الدين محمّد فإنه سوف لا يأتي إلا بعد تاريخ 644-664=1246-1266.

(١٧) الثورة ضد رضية أشعلت من طرف حاكم يسمى اختيار الدين التُّونيا الذي أصبح فيما بعد المكلف بحراسة السلطنة السابقة بسجنها، وبعد ذلك وجدنا أن اختيار الدين - وقد وجد نفسه مبعداً عن السلطة الجديدة التي قامت في دهلِي - يُقدّم على تحرير الملكة من السجن، ويتزوجها ليحصل على الشرعية وهكذا أخذ طريقه نحو دهلِي. لكن جيشه انهزم يوم 23 ربيع الأول 638 = 13 أكتوبر 1240 وقد اغتيلت رضية في اليوم الموالي ...

(١٨) الشُّحنة تعني على العموم الحاكم العسكري للمدينة، حيث يكون هو أيضاً على رأس الشرطة.

(١٩) نهر الجون هو (La yamouna) وقد وُصف هذا القبر وموقعه كذلك من مهدي حسين في كتابه عن محمد بن تغلق - لندن 1938 ص 35 ت تعليق 4

ينسخ نُسخاً من الكتاب العزيز، ويبيعهها فيقتات بثمنها (20) ! وقد وقفني القاضي كمال الدين على مصحف بخطه مُتَقَنٌ محكم الكتابة، ثم إن نائبه غياث الدين بَلْبَن قتلَه وملك بعده (21)، ولَبْلَبَن هذا خبر ظريف نذكره.

170/3

ذكر السلطان غياث الدين بَلْبَن

وضبط إسمه بباعين موحدتين بينهما لام والجميع مفتوحات وآخره نون، ولما قتل بَلْبَن مولاه السلطان ناصر الدين استقل بالملك بعده عشرين سنة، وقد كان قبلها نائباً له عشرين سنة أخرى، وكان من خيار السلاطين عادلاً حليماً (22) فاضلاً ومن مكارمه أنه بنى داراً وسمّاها دار الأمن. فمن دخلها من أهل الديون قُضي دينه، ومن دخلها خائفاً أُمِن ومن دخلها وقد قَتَلَ أحداً أرضى عنه أولياء المقتول، ومن دخلها من ذوي الجنايات أرضى أيضاً من يطلبه، ويتلك الدار دفن لما مات وقد زرت قبره (23).

171/3

حكاية الغريبة :

يذكر أن أحد الفقراء ببُخارى رأى بها بَلْبَن هذا وكان قصيراً حقيراً ذميماً، فقال له : يا تُرْكُك ! وهي لفظة تعرب عن الاحتقار، فقال له لَبِيك يا خوند ! فاعجبه كلامه، فقال له : أشتري لي من هذا الرمان، وأشار إلى رمان يُباع بالسوق، فقال له : نعم، وأخرج فليسات لم يكن عنده سواها، واشترى له من ذلك الرمان، فلما أخذها الفقير، قال له : وهبناك ملكاً الهند، فقبِلَ بَلْبَن يدَ نفسه وقال : قبلت ورضيت ! واستقرَّ ذلك في ضميره.

واتَّفَق أن بعث السلطان شمس الدين لِلْمِش تاجراً يشتري له الممالك بسمرقند

(20) كان ناصر الدين ملكاً عاقلاً نبيلاً علاوةً على خطه الجميل الامر الذي كان وراء الأساطير والحكايات التي تروى عنه والتي نجد لها أصداء في مختلف المصادر ... وعن الملوك الذين نسخوا القرآن بخطوطهم لا ننسى ذكر ملوك دولة بني مرين وخاصة السلطان أبا الحسن وابنه السلطان أبا عنان ... د التازي التاريخ الدبلوماسي للمغرب، ج 7 ص 217-218 ... مطبعة فضالة 1988.

(21) غياث الدين بَلْبَن (Balaban)، اشتراه عام 630=1233 إيلشميش، ثم أصبح حاجباً لناصر الدين منذ ابتداء حكمه عام 644=1246 وأمسى السيد الحقيقي للمملكة، إلا أن ناصر الدين مات على ما يظهر موتاً طبيعياً يوم 10 جمادى الأولى 665=18 يبراير 1266 فخلفه بَلْبَن وحكم إلى أن توفاه الله عام 685=1287.

(22) فيما يتصل بحلم بَلْبَن لا يظهر أنه نعت مؤكد في المصادر الأخرى سيما وقد تناقلت الأخبار عن الطريقة التي قمع بها ثورة البنغال (Bengal) عام 679=1280.

(23) يوجد ضريح بَلْبَن إلى الآن جنوب شرق المدينة القديمة على مقربة من جامع جمالي، وبجانبه قبر ابنه شهيد خان أتى الذكر III 174.

وبخارى وترمز، فاشترى مائة مملوك كان من جملتهم بَلْبَن، فلما دخل بالماليك على السلطان أعجبه ۞ جميعهم إلا بَلْبَن لما ذكرناه من ذمامته، فقال : لا أقبل هذا، فقال له بَلْبَن : يا خوند عالم، لِمَنْ اشتريت هؤلاء الممالك ؟ فضحك منه، وقال : اشتريتهم لنفسى، فقال له : اشتري أنا لله عز وجل ! فقال : نعم وقبله وجعله في جملة الممالك فاحتقر شأنه وجعل في السقائين، وكان أهل المعرفة بعلم النجوم يقولون للسلطان شمس الدين : إن أحد ممالكك يأخذ الملك من يد ابنك، ويستولي عليه. ولا يزالون يلقون له ذلك، وهو لا يلتفت إلى أقوالهم لصلاحه وعدله إلى أن ذكروا ذلك للخاتون الكبرى أم أولاده، فذكرت له ذلك، وأثر في نفسه، وبعث عن المنجمين، فقال : أتعرفون المملوك الذي يأخذ ملك ابني إذا رأيتموه؟ فقالوا له : نعم، عندنا علامة نعرفه بها، فأمر السلطان بعرض ممالكه وجلس لذلك، فعرضوا بين يديه طبقة طبقة والمنجمون ينظرون إليهم، ويقولون : لم نره بعد، وحان وقت الزوال فقال السقائون بعضهم لبعض : إنا قد جئنا فلنجمع شيئاً من الدراهم ونبعث أحداً إلى السوق ليشترى لنا ما نأكله، فجمعوا الدراهم وبعثوا بها بَلْبَن إذ لم يكن فيهم أحقر منه، فلم يجد بالسوق ما أرادوه، فتوجه إلى سوق أخرى وأبطأ، وجاءت نوبة السقائين في العرض، وهو لم يأت بعد، فآخذوا زقه وماعونه وجعلوهما على كاهل صبي وعرضوه على أنه بَلْبَن، فلما نودي باسمه جاز الصبي بين أيديهم، وانقضى العرض ولم ير المنجمون الصورة التي طُلبوا بها، وجاء ۞ بَلْبَن بعد تمام العرض لما أراد الله من إنفاذ قضائه (24)، ثم إنه ظهرت نجابته فجعل أمين السقائين ثم صار من جملة الأجناد ثم من الأمراء.

172/3

173/3

174/3

ثم تزوج السلطان ناصر الدين بنته قبل أن يلي الملك، فلما ولي الملك جعله نائباً عنه مدة عشرين سنة ثم قتله بَلْبَن واستولى على ملكه عشرين سنة أخرى كما تقدم ذكر ذلك!

وكان للسلطان بَلْبَن ولدان : أحدهما الخان الشهيد ولي عهده، وكان والياً لأبيه ببلاد السند ساكناً بمدينة ملتان وقتل في حرب له مع التتر (25) وترك ولدين كي قباد، وكي خسرو (26)، وولد السلطان بَلْبَن الثاني يُسمى ناصر الدين وكان والياً لأبيه ببلاد اللكنوتى (27)

(24) بالنظر لما ورد في المصادر التاريخية لهذا المرحلة فإن هذه الجملة - على ما يظهر - هي المعلومة الهامة في هذه القصة. بَلْبَن كان فعلاً قد اشترى في بغداد، وأصبح الغلام المفضل وكانه أحد أفراد عائلة السلطان.

(25) هذا الولد الأول الذي يحمل اسم محمود والذي وصف على أنه نصير للعلماء والأدباء قتل أثناء غارة مغولية يوم 28 ذي الحجة 683=7 مارس 1285. قبره يوجد إلى جانب قبر والده على ما أشرنا له تعليق 23

(26) كي خسرو (Kay Khusru) الوحيد الذي كان ولداً لمحمد معز الدين كي قباد (Kay Qubad) كان ولداً لناصر الدين الولد الثاني لبَلْبَن وقد خلفه هذا الأخير.

(27) بلاد اللكنوتى (Laknawti) عاصمة البنغال على ذلك العهد، تتطابق مع الموقع الخرب - غور (Gaur) في منطقة راجشاهي (Rajshahi) تقع على الحدود الغربية للهند مع البانغلاديش أنظر الخريطة. ناصر الدين سمي حاكماً من طرف والده بعد قمع ثورة البنغال عام 679=1280.

وبنجالة، فلما استشهد الخان الشهيد جعل السلطان بَلْبَن العهد إلى ولده كي خسرو وعدل به عن ابن نفسه ناصر الدين، وكان لناصر الدين أيضا ولد ساكن بحضرة دهلي مع جده غياث الدين يسمي معز الدين وهو الذي تولى الملك بعد جده في خبر عجيب نذكره، وأبوه إذ ذاك حي كما ذكرناه

175/3

ذكر السلطان معز الدين بن ناصر الدين بن السلطان غياث الدين بَلْبَن :

ولما توفي السلطان غياث الدين ليلاً، وابنه ناصر الدين غائب ببلاد اللكنوتي، وجعل العهد لابن ابنه الشهيد كي خسرو حسبما قصصناه كان ملك الأمراء نائب السلطان غياث الدين (28) عدواً لكي خسرو فأدار عليه حيلة تمت له، وهي أنه كتب ببيعة دأس فيها على خطوط الأمراء الكبار بايعوا معز الدين حفيد السلطان بَلْبَن ودخل على كي خسرو كالمنتصَح له فقال له : إن الأمراء قد بايعوا ابن عمك وأخاف عليك منهم فقال له : كي خسرو : فما الحيلة ؟ قال أتج بنفسك هارباً إلى بلاد السند، فقال : وكيف الخروج والأبواب مسدودة؟ فقال له : إن المفاتيح بيدي وأنا أفتح لك، فشكره على ذلك وقبّل يده، فقال له : إركب الآن، فركب في خاصته ومماليكه وفتح له الباب وأخرجه، وسد في أثره، واستأذن (29) على معز الدين فبايعه، فقال : كيف لي بذلك وولاية العهد لابن عمي؟ فأعلمه بما أدار عليه من الحيلة وبإخراجه فشكره على ذلك، ومضى به إلى دار الملك وبعث عن الأمراء والخواص خبايعوه ليلاً، فلما أصبح بايعه سائر الناس، واستقام له الملك

176/3

177/3

وكان أبوه حياً ببلاد بنجالة والكنوتي، فاتصل به الخبر، فقال : أنا وارث الملك، وكيف يلي ابني الملك ويستقل به وأنا بقيد الحياة ؟ فتجهز في جيوشه قاصداً حضرة دهلي وتجهز ولده في جيوشه أيضاً قاصداً لدفاعته عنها فتوافيا معاً بمدينة كُرا (30)، وهي على ساحل نهر الكنك الذي تحج الهند إليه، فنزل ناصر الدين على شاطئه مما يلي كُرا ونزل ولده السلطان معز الدين مما يلي الجهة الأخرى والنهر بينهما وعزما على القتال، ثم إن الله تعالى أراد حقن دماء المسلمين فالقى في قلب ناصر الدين الرحمة لابنه، وقال : إذا ملك ولدي فذلك شرف لي وأنا أحق أن أرغب في ذلك، وألقى في قلب السلطان معز الدين الضراعة لأبيه

178/3

(28) يتعلق الأمر بفخر الدين كُتوال (Kotwal) (رئيس الشرطة) في دهلي.

(29) كي خسرو كان قد غادر دهلي ليعوض والده، وعند وفاة بَلْبَن وجد نفسه في مُلتان عاصمة بلاد السند (30) ناصر الدين لا يظهر أنه تعرض لامتحانات المملكة، بيد أنه أمام الفتن التي شنت في دهلي بعد تنصيب معز الدين كُتُوباد اعتقد أن من واجبه أن يتدخل، وكان اللقاء أوائل صفر 687 = أواسط شهر مارس 1288 على سواحل وادي (كاغرا) من روافد نهر الكانج في منطقة (الله آباد) بينغلادش .

فركب كل واحد منهما في مركب منفرداً عن جيوشه والتقى في وسط النهر فقَبِلَ السُّلْطَان رجل أبيه، واعتذر له فقال له أبوه : قد وهبتك مُلكي ووليتك، وباعه وأراد الرجوع لبلاده، فقال له ابنه : لا بد لك من الوصول إلى بلادي فمضى معه إلى دهلي (31)، ودخل القصر وأقعدته أبوه على سرير الملك، ووقف بين يديه وسُمِّيَ ذلك اللقاء الذي كان بينهما بالنَّهْر لقاء السعدين، لما كان فيه من حقن الدماء وتواهب الملك والتجافي عن المنازعة، وأكثرت الشعراء في ذلك، وعاد ناصر الدين إلى بلاده. فمات بها بعد سنين وترك بها ذريةً منهم غياث الدين بها دور (32) الذي أسره السلطان تغلق، وأطلقه ابنه محمد بعد وفاته، واستقام الملك لعز الدين أربعة أعوام بعد ذلك كانت كالأعياد (33). رأيتُ بعض مَنْ أدركها يصف خيراتها ورخص أسعارها وجود معز الدين وكرمه، وهو الذي بنى الصَّومعة بالصحن الشمالي من جامع دهلي، ولا نظير لها في البلاد.

179/3

وحكى لي بعض أهل الهند أن معز الدين كان يُكثِّر النكاح والشرب فاعترتَه علةٌ أعجز الأطباء دواؤها ويُسِّسُ أحد شَقِيَّه، فقام عليه نائبه جلال الدين فيروز شاه الخَلْجِي (34)، بفتح الخاء المعجم واللام والجيم .

180/3

ذكر السلطان جلال الدين

ولما اعترى السلطان معز الدين ما ذكرناه من يُبْس أحد شَقِيَّه، خالف عليه نائبه جلال الدين ما ذكرناه من يُبْس أحد شَقِيَّه خالف عليه نائبه جلال الدين وخرج إلى ظاهر المدينة فوقف على تلٍّ هنالك بجانب قبةٍ تعرف بقبة الجيشاني، فبعث معز الدين الأمراء لقتاله، فكان كل من يبعثه منهم يبايع جلال الدين، ويدخل في جملته، ثم دخل المدينة وحصره في القصر ثلاثة أيام.

وحدثني مَنْ شاهد ذلك أن السلطان معز الدين أصابه الجوع في تلك الأيام، فلم يجد ما يأكله، فبعث إليه أحد الشرفاء من جيرانه ما أقام أودَه، ودُخِل عليه قصر فقُتِل، وولى بعده

(31) قصة تذكر في عدد من نظائرها مع الفارق، مثلاً أبو الحسن المريني مع ابنه أبي عنان عندما رضي الوالد عن ولده وكتب له بولاية عهده - الزركشي : تاريخ الدولتين - ص 90.

(32) تملك تحت اسم ناصر تحت اسم شاه بوغره، وكان مستقلاً إلى غاية 690=1291 وقد خلفه أولاده. غياث الدين بها دور الذي سنقرأ تاريخه فيما بعد، III 210-216 الخ.

(33) يتحدث المؤرخون عن الانغماس في اللذات والإسراف في الانفاق...

(34) جلال الدين فيروز ينتسب لقبيلة الخَلْج، من أصل تركي، بيد أنه أقام كثيراً بأفغانستان في غزوة بالذات فأمسى - نتيجة لذلك - يشعر بأنه أفغاني، ولهذا فإن وصول جلال الدين للحكم لم ينظر إليه كشيء جميل لا من جانب الأرستقراطية التركية ولا من جانب سكان دهلي.



رسم مع الحريم

جلال الدين وكان حليماً فاضلاً، وحلمه أذاه إلى القتل، كما سنذكره، واستقام له الملك سنين (35)، وبني القصر المعروف باسمه (36)، وهو الذي أعطاه السلطان محمد لصهره الأمير غدا بن مهني لما زوجه بأخته، وسيذكر ذلك، فكان للسلطان جلال الدين ولد اسمه ركن الدين، وابن أخ اسمه علاء الدين زوجه بابنته، ولأه مدينة كرا ومانكبور ونواحها (37)، وهي من أخصب بلاد الهند، كثيرة القمح والأرز والسكر، وتصنع بها الثياب الرفيعة، ومنها تجلب إلى دهلي وبينهما مسيرة ثمانية عشر يوماً.

وكانت زوجة علاء الدين تؤذيه فلا يزال يشكوها إلى عمه السلطان جلال الدين حتى وقعت الوحشة بينهما بسببها، وكان علاء الدين شهماً شجاعاً مظفراً منصوراً، وحب الملك ثابت في نفسه إلا أنه لم يكن له مال إلا ما يستفيده بسيفه من غنائم الكفار، فاتفق أنه ذهب مرة إلى الغزو ببلاد الدؤيقير (38)، وتسمى بلاد الكتكة أيضاً، وسنذكرها، وهي كرسي بلاد المالوة والمهتة (39)، وكان سلطانها أكبر سلاطين الكفار فعثرت بعلاء الدين في تلك الغزوة دابة له عند حجر، فسمع له طنيناً، فأمر بالحفر هناك فوجد تحته كنزاً عظيماً (40)،

(35) يعني من 689 إلى 695 (1290-1296) هذا ولم يفت بعض المعلقين التاكيد على أن لفظ (القبة) من الكلمات التي دخلت اللغات الأوربية (aleöve) كويا ...

(36) سيتم التعريف بهذا القصر فيما بعد ج III ص 271 على أنه القصر الأحمر (كوشك لعل) (Kushki-La'la) الذي يقع في المدينة العتيقة لدهلي، وعليه فإن هذا القصر بني من قبل بلبن أما القصر المبني من لدن جلال الدين فيروز فإنه يسمى القصر الأخضر وهو يكون امتداداً للذي شيد من قبل معز الدين كيتباد في كيلوخري (Kilokhr) على بعد نحو 10 كم شمال شرق المدينة القديمة على ساحل نهر يامونا (Yamuna).

(37) يوجد في أغلب الأحيان اسم هذين المدينتين الموجودتين في الشمال الغربي لمدينة الله آباد (Alahabad) على نهر الكانج، هذا الاسم يعني إقطاعية كرا - منكبور - عند تنصيب جلال الدين فيروز كان المستلم لهذه الإقطاعية تشاتجو (Tchadju) خان ابن أخي بلبن الذي احتفظ بها إلى ثورته في السنة اللاحقة، عندئذ أخذت منه وأعطيت لعلاء الدين ابن أخي جلال الدين وخلفه في المستقبل.

(38) الدؤيقير (Deoghir) تغير هذا الاسم إلى (دولة آباد) من لدن محمد بن تغلق، تقع في الشمال الغربي في أرنجاباد (Aurangabad) الحالية في دكان (Deccan) وقد وقعت على معالم أورنكباد (أبريل 1975) كتكة (Catacah) - (باللغة السنسكريتية - المعسكر الملكي) قدم كاسم لجزء من أورنجاباد.

(39) المهتة (Maharashtra) أوبلاذ مهرات - منطقة مالوة (Malua) تقع في الشمال أكثر شرقي كوجرات.

(40) علاء الدين قام بحملة جريئة في ديوغير (Deoghir) في سرية وبجيشه الخاصة. العاهل الهندي راما شاندر (Ramachandra) حاول بمفرده وبمساعدة جيوش ولده أن يقاوم الزحف لكنه استسلم - إذا كان الحديث عن الكنز المدفون يثير بعض الأساطير، فإن الغنائم التي حصل عليه جيش علاء الدين كانت عظيمة، وقد مكنت علاء الدين من أن يصل إلى العرش.

ففرقه في أصحابه ووصل إلى الدوبيقير فنادع له سلطانها بالطاعة ومكثه من المدينة من غير حرب، وأهدى له هدايا عظيمة فرجع إلى مدينة كرا، ولم يبعث إلى عمه شيئا من الغنائم فأغرى الناس عمه به، فبعث عنه فامتنع من الوصول إليه، فقال السلطان جلال الدين أنا أذهب إليه واتي به فإنه محل ولدي، فتجهز في عساكره وظوى المراحل حتى حل بساحل مدينة كرا حيث نزل السلطان معز الدين لما خرج إلى لقاء أبيه ناصر الدين، وركب النهر برسم الوصول إلى ابن أخيه وركب ابن أخيه أيضا في مركب ثان عازما على الفلك به وقال لأصحابه إذا أنا عانقته فاقتلوه، فلما التقيا وسط النهر عانقه ابن أخيه، وقتله أصحابه كما وعدهم واحتوى على ملكه وعساكره (41).

183/3

ذكر السلطان علاء الدين محمد شاه الخلجي.

ولما قتل عمه استقل بالملك وفرز إليه أكثر عساكر عمه وعاد بعضهم إلى دهللي واجتمعوا على ركن الدين (42) وخرج إلى دفاعه فهربوا جميعا إلى السلطان علاء الدين وفرز ركن الدين إلى السند ودخل علاء الدين دار الملك واستقام له الأمر عشرين سنة، وكان من خيار السلاطين، وأهل الهند يثنون عليه كثيرا، وكان يتفقد أمير الرعية بنفسه ويستل عن أسعارهم، ويحضر المحتسب (43)، وهم يسمونه الرئيس في كل يوم برسم ذلك، ويذكر أنه سأل يوما عن سبب غلاء اللحم، فأخبره أن ذلك لكثرة المعرم على البقر في الرتب، فأمر برفع ذلك وأمر باحضار التجار وأعطاهم الأموال، وقال لهم اشترؤا بها البقر والغنم وبيعوها ويرتفع ثمنها لبيت المال، ويكون لكم أجره على بيعها، ففعلوا ذلك، وفعل مثل هذا في الأثواب التي يوتي بها من دولة أباد.

184/3

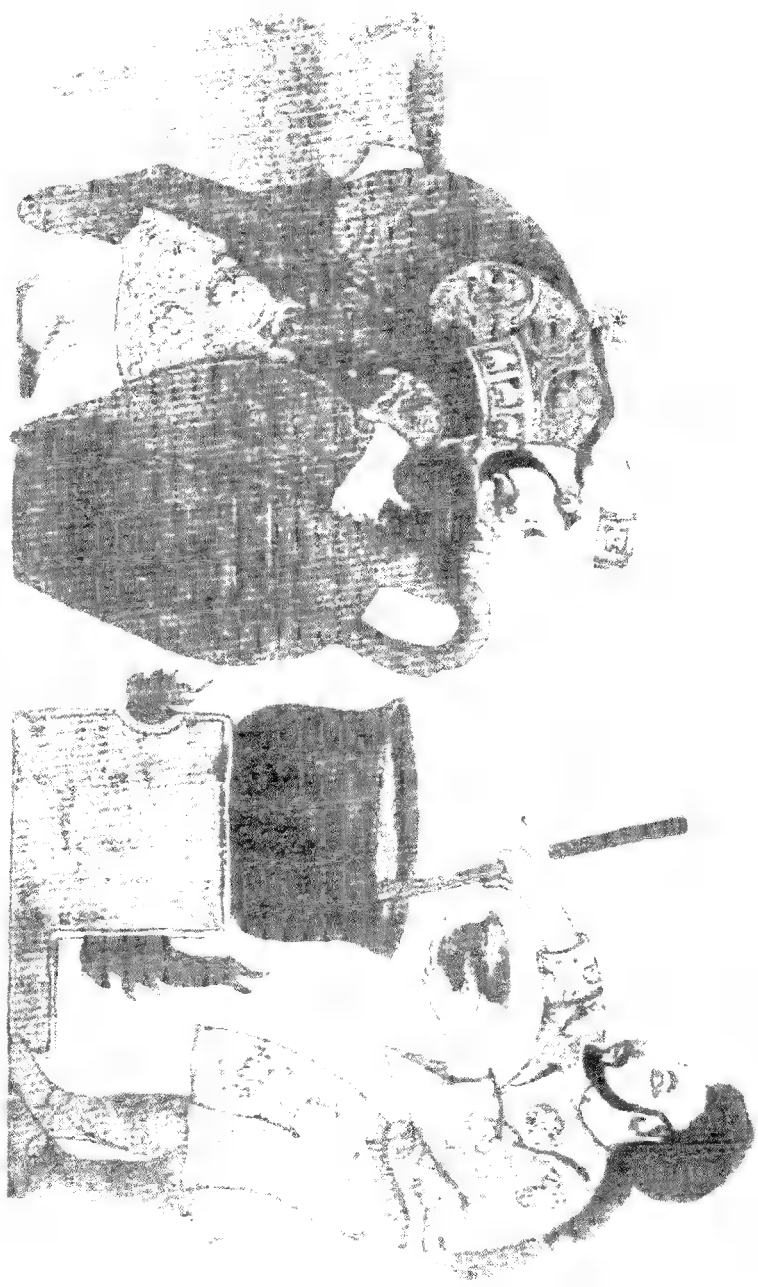
وكان إذا غلا ثمن الزرع فتح المخازن وباع الزرع حتى يرخص السعر، ويذكر أن السعر ارتفع ذات مرة فأمر ببيع الزرع بثمان عيته فامتنع الناس من بيعه بذلك الثمن فأمر أن

185/3

(41) مرويات ابن بطوطة تتفق تماما مع المصادر الأخرى، وانغمسال جلال الدين فيروز تمت يوم 17 شعبان 726 = 19 يولييه 1326 بواسطة الأسلوب المذكور قبلة الخبابة (La Baser de Judas).

(42) إن الوارث المعين لجلال الدين كان هو ولده أرخلى خان (Arhali Khan) الذي كان يوجد في ملتان كحاكم هناك، أثناء هذه الأحداث وعندها نادت امرأة جلال الدين بأنها الثاني قادر خان كسلطان على البلاد تحت إسم ركن الدين إبراهيم هذا الأخير هرب عند اقتراب علاء الدين الذي دخل إلى دهللي يوم 24 ذي القعدة 726 = 22 أكتوبر 1326.

(43) المحتسب وظيفة حضارية ما تزال حية بالمغرب الأقصى، تعني المشرف على ضبط الأسعار في السوق على نحو ما تعني مراقبة البضائع وضبط سلوك الناس وقد ألفت فيها عدة كتب واللفظ موجود في قاموس اللغة الإسبانية (Moracen)، و (Moracen) - مراجع ج 1 - 353 التعليل 194.



لا يبيع أحد زرعاً غير زرع المخزن، وباع للناس ستة أشهر فخاف المحتكرون فساد زرعهم بالسوس فرغبوا أن يؤذن لهم في البيع فاذن لهم على أن باعوه بأقل من القيمة الأولى التي امتنعوا من بيعه (١٤١) بها.

وكان لا يركب لجمعة ولا عيد ولا سواهما، وسبب ذلك أنه كان له ابن أخ يسمى سليمان شاه (١٤٥)، وكان يحبّه ويعظمه، فركب يوماً إلى الصيد وهو معه وأصغر في نفسه أن يفعل به ما فعل هو بعمه جلال الدين من الفتك، فلما نزل للغداء رماه بنشابة فصرعه وغطّاه بعض عبيده بثرس وأتى ابن أخيه ليجهز عليه فقال له العبيد إنه قد مات فصّدقهم، وركب فدخل القصر على الحرم، وأفاق السلطان علاء الدين من غشّيته وركب واجتمعت العساكر عليه، وفرّ ابن أخيه فأدرك وأوتي به إليه فقتله، وكان بعد ذلك لا يركب.

1866

وكان له من الأولاد خضر خان، وشادي خان، وأبو بكر خان، ومبارك خان، وهو قطب الدين الذي ولي الملك وشهاب الدين، وكان قطب الدين مهتصماً عنده، نافض الحظ، قليل الحظوة وأعطى جميع إخوته المراتب وهي الأعلام والأطبال. ولم يعطه شيئاً وقال له يوماً: لا بدّ أن أعطيك مثل ما أعطيت إخوتك، فقال له: الله هو الذي يعطيني، فقال أباه هذا الكلام، وفزع منه.

1871

ثم إن السلطان أصابه المرض الذي مات منه، وكانت زوجته أم ولده خضر خان، وتسمى ماد حق، والماد القمر بلسانهم (١٥١)، لها أخ يسمى سنجر، فعاهدت أخاها على تمليك ولدها خضر خان (١٧١)، وعلم بذلك ملك نادب أكبر امراء السلطان وكان

(١٤١) بعد الحملات المتوالية للنغول في السنوات الأولى من القرن الثامن الهجري = الرابع عشر الميلادي أحس علاء الدين بالحاجة إلى جيش قوي تؤدّي له الأجرة أحسن أداء، لكنه عوفس أن يزيد في الأجور اختار أن يخفض من ثمن المواد الغذائية التي كانت مرتفعة بسبب التضخم المالي الناتج عن كثرة الذهب الوارد من الجنوب بسبب الغارات ولأجل هذا فإنه أنشأ احتكارات في الشرا، بأثمان محدودة وسجل سائر التجار، وحدد لهم سعراً معيناً للفائدة، وكان على الفلاحين أيضاً أن يجبروا على بيع منتوجاتهم للتجار بأثمان كذلك محدودة بسبب هذا وفي إطار هذه السياسة أنشأت الحكومة كذلك مخازن كبيرة للمواد الغذائية التي يجدها ابن بطوطة، بعد ثلاثين سنة وتحدث عنها.

(١٥) ولد الأخ هذا يسمى أقط (AKATI) خان في المصادر الهندية.

(١٦) ماد بدون ألف كلمة فارسية تعني الشهر ومنه يأتي التعبير في البلاد التي كانت محكومة من قبل الأتراك عن الواجب الشهري بماهية فلان يعني أجرته الشهرية.

(١٧) اسم الملكة كان هو مافرو (Mafro)، ولقبها هو ملكة جهان، كانت أختاً لملك سنجار الذي، لأجل أنه قتل جلال الدين فيروز بيده، أعطى لقب ألب خان وأصبح نتيجة لذلك من المرافقين الرئيسيين لعلاء الدين ابنه تزوجت بتاريخ 712=1312 بخضر خان، وأخذت العائلة تستعد حادثة لكي يتبوأ العرش خضر خان هذا.

يسمى الألفي (٤٨) لأن السلطان اشتراه بالف تنكة، وهي الفان وخمسمائة من دنانير المغرب (٤٩)، فوشى إلى السلطان بما اتفقوا عليه، فقال لخواصنه إذا دخل علي سنجر فأنني معطيه ثوباً، فإذا لمسه فامسكوا بكمامه واضربوا به الأرض وأبجود، فلما دخل عليه فعلوا ذلك وقتلوه.

188/3

وكان خضر خان غائب به وضع يقال له سنديت (٥٠) على مسيرة يوم من دهلي، توجه لزيارة شهيداً مدفونين به لئلا كان عليه أن يمضي تلك المسافة راجلاً ويدعو لوالده بالراحة، فلما بلغ أن أباه قتل خاله حزن عليه حزن شديداً ومزق جبينه، وتلك عادة لأهل الهند يفعلونها إذا مات لهم من يعز عليهم، فبلغ والده ما فعله، فكره ذلك فلما دخل عليه عنقه ولامه، وأمر به فقيدت بداه ورجلاه وسلمه لملك نائب المذكور، وأمره أن يذهب به إلى حصن كاليور (٥١)، وضبطه بفتح الكاف المعقودة وكسر اللام وضم الياء آخر الحروف وآخر راء، ويقال له أيضاً كبالير بزيادة ياء ثانية، وهو حصن منقطع بين كفار الهندو منيع على مسيرة عشر من دهلي، وقد سكنه أنا مدة فلما أوصله إلى هذا الحصن سلمه للكنوال وهو أمير الحصن، وللمفردين (٥٢) وهم الزماميون (٥٣) وقال لهم لا تقولوا هذا ابن السلطان فنكرموه، إنما هو أعدى عدو له فاحفظوه كما يحفظ العدو ثم إن المرض اشتد بالسلطان، فقال لملك نائب ابعث من يأتي بابني خضر خان لأوليائه العبد، فقال له نعم وماطله بذلك، فمضى سآله عنه، قال هو ذا يصل إلى أن توفي السلطان، رحمه الله

189/3

ذكر ابنه السلطان شهاب الدين

ولما توفي السلطان علاء الدين أقعد ملك نائب ابنه الأصغر شهاب الدين على سرير

(48) (ملك نائب) تعني في الاصطلاح الفارسي نائب الملك، وهو هنا كافور أحد الهندوس، اشترى عام 676 = 1277 عند الأحداث التي ذهب فيها ميناء كامباي (Cambay) في الكوجرات، اشترى بمبلغ ألف دينار وعرف منذ ذلك الوقت بهذا اللقب الفارسي هزار ديناري (Mezardinari)، وهو اللقب الذي ترجمه ابن بطوطة بالألفي هذه الشخصية التي أصبحت قوية جداً في أواخر دولة علاء الدين هي التي دبرت مخطط نسطاسر العائلة الملكية مبتدئة بمنغمة ألب خان ولكن بدون رضی علاء الدين

(49) تنكة (TANGGA) ذهبية تساوي 9010 كرام، والدينار بالمغرب يساوي 4722 كرام ويتعلق الأمر إذن بمبلغ أقل قليلاً من 2000 دينار

(50) سنديت هي SONPAT أو SONPAT الحالية على بعد 25 ميلاً شمال دهلي.

(51) كاليور يقصد (Calicut) في جنوب أكرا التي ستصبح بعد ذلك سجنًا للدولة، وسيوزها ابن بطوطة على ما سترى

(52) المفرد يظهر أنه تعبير يعني هيئة خاصة به، يعرف بتوضيحه

(53) القصد إلى وجود مسجلين على الأمانة، وهم الجيش

(54) الملك، وبإيعاع الناس وتغلب ملك نايب عليه، وسمل أعين أبي بكر خان وشادي خان، وبعث بهما إلى كاليور، وأمر بسمل عيني أخيهما خضر خان المسجون هنالك، وسجنوا وسجن قطب الدين لأكته لم يسمل عينيه، وكان للسلطان علاء الدين مملوكان من خواصه، يسمي أحدهما ببشير، والآخر بمبشر، فبعثت عنهما الخاتون الكبرى زوجة علاء الدين، وهي بنت السلطان معز الدين (55) فذكرتهما بنعمة مولاها وقالت : إن هذا الفتى نايب ملك قد فعل في أولادي ما تعلمانه، وإنه يريد أن يقتل قطب الدين، فقالا لها : ستريين ما نفعل، وكانت عادتاهما أن يبيتا عند نايب ملك، ويدخلا عليه بالسلاح، فدخلا عليه تلك الليلة، وهو في بيت من الخشب مكسو باللف يسمونه الخرمقة (56) ينام فيه أيام المطر فوق سطح القصر، فاتفق أنه أخذ السيف من يد أحدهما فقلبه وردّه إليه فضربه به الملوك، وثنى عليه صاحبه واحتزّ رأسه وأتى به إلى محبس قطب الدين فرمياه بين يديه وأخرجاه فدخل على أخيه شهاب الدين وأقام بين يديه أياما كأنه نايب له ثم عزم على خلعه فخلعه (57).

190/3

191/3

ذكر السلطان قطب الدين ابن السلطان علاء الدين

وخلع قطب الدين أخاه شهاب الدين وقطع إصبعه وبعث به إلى كاليور فحبس مع إخوته، واستقام الملك لقطب الدين، ثم إنّه بعد ذلك خرج من حضرة دهلي إلى دولة آباد، وهي على مسيرة أربعين يوماً منها والطريق بينهما تكفه الأشجار من الصفصاف وسواه فكان الماشي به في بستان، وفي كل ميل منه ثلاث داوات، وهي البريد، وقد ذكرنا ترتيبه، وفي كل داوة جميع ما يحتاج المسافر إليه فكانه يمشي في سوق مسيرة الأربعين يوماً، وكذلك يتصل الطريق إلى بلاد التلّك (58) والمعبّر (59) مسيرة سنّة أشهر، وفي كل منزلة قصر

192/3

(54) مات علاء الدين يوم 8 شوال 715=5 يناير 1316، وقد سمي كافور مكان السلطان الراحل أصغر أولاده وكان من خمس أو ست سنين تحت اسم شهاب الدين عمر

(55) أرملة علاء الدين التي كانت تشعر بالآلام أثناء هذه الفترة من جراء مطامع كافور، كانت هي أم شهاب الدين عمر، وكانت ابنة راما شاندرأ صاحب ديوجير (Deogarh) وكذلك فإنه حسب المصادر الأخرى فإن قطب الدين مبارك نفسه أقنع بشيرومبشر اللذين أتيا لقتله، أقنعهما بأن ينقليا ضد كافور، هذا الأخير أعتقل يوم 9 ذي القعدة 715 = 4 يناير 1316

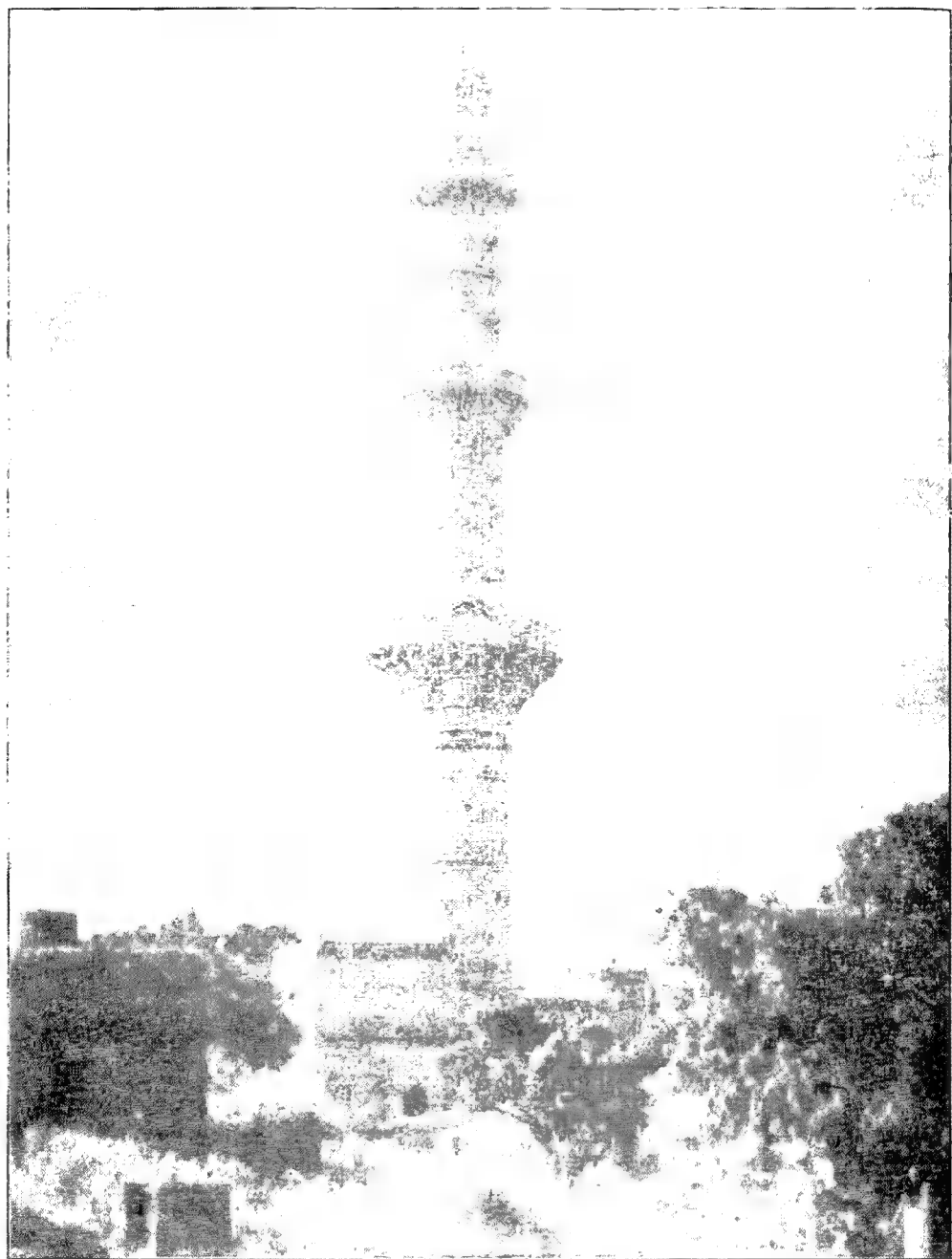
(56) الخرمقة (Khurrangāh) بيت الملذات والمتعة

(57) شهاب الدين خلع عن العرش وسملت عيناه من لدن أخيه الذي عوضه يوم 25 محرم 716 = 19 أبريل 1316

(58) التلّك - القصد إلى تلّكنا (Telengana) إمارة هندية بين كونا فاري ونهر كريشنا عاصمتها وارانكال (WARANGAL)

(59) محطة المعبر اسم عربي لساحل كوروماندل (Coromandel) ساحل شرقي لنهاية شبه الجزيرة التي زارها ابن بطوطة فيما بعد، وسيأتي الحديث عنها.

Gibb : IBN BATTUTA TRAVELS in ASIA and AFRICA 1325-1354 pub-by Routledge and Kegan Paul p. 261-5 - Travels ., III, 644 N. 98.



جامع دوله آباد

للسلطان وزاوية للوارد والصادر. فلا يفتقر الفقير إلى حمل زاد في ذلك الطريق !

ولما خرج السلطان قطب الدين في هذه الحركة (60) اتفق بعض الأمراء على الخلاف عليه وتولية ولد أخيه خضر خان المسجون (61)، وسنّه نحو عشرة أعوام، وكان مع السلطان، فبلغ السلطان ذلك، فآخذ ابن أخيه المذكور، وأمسك برجله، وضرب برأسه إلى الحجارة حتى نثر دماغه، وبعث أحد الأمراء ويسمى ملك شاه إلى كاليور حيث أبو هذا الولد وأعمامه وأمره بقتلهم جميعاً⁽⁶²⁾

فحدثني القاضي زين الدين مبارك قاضي هذا الحصن، قال قدم علينا ملك شاه ضحوة يوم وكنت عند خضر خان بمحبسه، فلما سمع بقدومه خاف وتغير لونه، ودخل عليه الأمير فقال له : فيما جئت؟ قال : في حاجة خوند عالم، فقال له : نفسي سالمة ؟ فقال : نعم، وخرج عنه واستحضر الكتّوال، وهو صاحب الحصن والمُفردين وهم الزماميون، وكانوا ثلاثمائة رجل وبعث عني وعن العدول واستظهر بأمر السلطان فقرأوه وأتوا إلى شهاب الدين المخلوع فضربوا عنقه وهو متبث غير جزع، ثم ضربوا عنق أبي بكر خان وشادي خان، ولما أتوا ليضربوا عنق خضر خان فزع ودُهل، وكانت أمّه معه ففسدوا الباب دونها وقتلوه، وسحبوهم جميعاً في حفرة دون تكفين ولا غسل، وأخرجوا بعد سنين فدُفِنوا بمقابر آبائهم، وعاشت أم خضر خان مدة ورأيته بمكة سنة ثمان وعشرين.

وحصن كاليور (62) هذا في رأس شاهق كائنه منحوت من الصخر لا يحاذيه جبل، وبداخله جباب الماء ونحو عشرين بئراً، عليها الأسوار مضافة إلى الحصن، منصوباً عليها المجانيق والرّعاتات، ويصعد إلى الحصن في طريقٍ متسعة يصعد بها الفيل والفرس، وعند باب الحصن صورة فيلٍ منحوت من الحجر، وعليه صورة فيّال، وإذا رآه الإنسان على البعد لم يشك أنه فيلٌ حقيقيّة، وأسفل الحصن مدينة حسنة مبنية كلّها بالحجارة البيض المنحوتة مساجدُها ودورها، ولا خشب فيها ما عدا الأبواب، وكذلك دار الملك بها، والقباب والمجالس⁽⁶³⁾

(60) كانت ضد هزناً لأدوفا (Harapaladeva) صهر رامشاندرا (Ramachondra) الذي أعلن استقلاله عند وفاة علاء الدين الحركة المتحدّث عنها كانت عام 718=1318.

(61) هذه المعلومة مما استأثر به ابن بطوطة، فليست معروفة، حسب علمنا، بيد أن هناك نقوداً عثر عليها مضروبة في دهلي عام 718=1318 باسم آخر من يسمى شمس الدين محمود شاه، الذي لم نعرف عنه شيئاً مع ذلك

(62) حصن كاليور (Gwalior)، حصن قديم يقع على قمة جبل يبلغ علوه 300 قدم على الهضبة وعلى طول (أو على 65) ميلاً جنوب اكرا، كان يستعمل كمحطة للسجن من قِبَل الحكام المسلمين...

وأكثر سوقتها كفار، وفيها ستمائة فارس من جيش السلطان لا يزالون في جهاد لأنها بين الكفار.

ولما قتل قطب الدين أخوته واستقل بالملك فلم يبق من ينازعه ولا من يخالف عليه، بعث الله تعالى عليه خاصته الحظي لديه أكبر أمرائه وأعظمهم منزلة عنده ناصر الدين خسرو خان ففتك به وقتله واستقل بملكه إلا أن مدته لم تطل في الملك فبعث الله عليه أيضاً من قتله بعد خلعه وهو السلطان تغلق، حسبما يشرح ذلك كله مستوفى إن شاء الله تعالى إثر هذا ونسطره .

196/3

ذكر السلطان خسرو خان ناصر الدين

وكان خسرو خان من أكبر أمراء قطب الدين (63)، وهو شجاع حسن الصورة وكان فتح بلاد جند يري (64) وبلاد المغبر، وهي من أخصب بلاد الهند، وبينهما وبين دهلي مسيرة ستة أشهر، وكان قطب الدين يحبّه حباً شديداً ويؤثره، فجرّ ذلك حتفه على يديه، وكان لقطب الدين معلّم يسمى قاضي خان صدر الجهان (65)، وهو أكبر أمرائه، وكنيت دار وهو صاحب مفاتيح القصر، وعادته أن يبيت كل ليلة على باب السلطان ومعه أهل النوبة وهم ألف رجل يبيتون مناوبةً بين أربع ليال ويكونون صفين فيما بين أبواب القصر وسلاح كل واحد منهم بين يديه فلا يدخل أحد إلا فيما بين سماطيهم، وإذا تمّ الليل أتى أهل نوبة النهار.

197/3

ولأهل النوبة أمراء وكتاب يتطوفون عليهم ويكتبون من غاب منهم أو حضر، وكان معلّم السلطان قاضي خان يكره أفعال خسرو خان ويسؤه ما يراه من إثارة لكفار الهند وميله إليهم. وأصله منهم، ولا يزال يلقي ذلك إلى السلطان فلا يسمع منه، ويقول له : دعه وما يريد، لما أراد الله من قتله على يديه، فلما كان في بعض الأيام قال خسرو خان للسلطان : إن جماعة من الهند يريدون أن يُسلموا، ومن عادتهم بتلك البلاد أن الهندي إذا أراد الإسلام

(63) خسرو هِنْدِي الولادة، وقد تعرض للسجن عند اجتياح مالْوِي (Malwa) في شرق كوجارات عام 1305=704. اعتنق الإسلام تحت إسم الحسن، وعين وزيراً من قبل قطب الدين مبارك عند ارتقائه منصة الحكم.

(64) جنديري (Chanderi) كانت حصناً في إقليم مالْوِي (ولاية نِزَار)، تابعة، في تلك الفترة - لسلطنة دهلي - غارة خسرو كانت موجهة ضد وارا نكال (Warangal) عاصمة تليكانا سالفة الذكر، وضد سلاطين بانديا (Pandya) في كورومانديل (Coromandel)، إذا كان القسم الأول من الغارة باعاً على السرور فإن القسم الثاني كان أقلّ حظاً وقد دعى خسرو إلى دهلي ...

(65) هناك مصادر أخرى تدعوه ضياء الدين، وما تزال كلمة كيليه دار مستعملة في العراق والأماكن المجاورة لمعنى حامل مفاتيح الروضة أو المشهد ... كليلد بالفارسية المفتاح من اليونانية (KLEIS)

أدخل إلى السلطان فيكسوه كسوة حسنة ويعطيه قلادة وأساور من ذهب على قدره، فقال له السلطان: انتني بهم! فقال: إنهم يستحيون أن يدخلوا إليك نهارة لأجل اقربانهم وأهل ملتهم، فقال له: انتني بهم ليلاً! فجمع خسروخان جماعة من شجعان الهنود وكُبرائهم فيهم أخوه خان خانان (66)، وذلك أوان الحر، والسلطان ينام فوق سطح القصر، ولا يكون عنده في ذلك الوقت إلا بعض الفتيان، فلما دخلوا الأبواب الأربعة، وهم شاكون في السلاح، ووصلوا إلى الباب الخامس وعليه قاضي خان، أنكر شائهم وأحسن بالشر فمنعهم من الدخول، وقال: لا بد أن أسمع من خوند عالم بنفسي الإذن في دخولهم، وحينئذ يدخلون، فلما منعهم من الدخول هجموا عليه فقتلوه، وعلت الضجة بالباب فقال السلطان: ما هذا؟ فقال خسرو خان: هم الهنود الذين أتوا لئسليما، فمنعهم قاضي خان من الدخول، وزاد الضجيج فخاف السلطان، وقام يريد الدخول إلى القصر وكان بابه مسدوداً والفتيان عنده، ففرع الباب واحتضنه خسرو خان من خلفه، وكان السلطان أقوى منه فصرعه، ودخل الهنود، فقال لهم خسرو خان: هوذا فوقتي فاقتلوه! فقتلوه وقطعوا رأسه ورموا به من سطح القصر إلى صحنه (67).

[69]

وبعث خسرو خان من حينه عن الأمراء والملوك، وهم لا يعلمون بما اتفق، فكلما دخلت طائفة وجدوه على سرير الملك، فبايعوه، ولما أصبح أعلن بأمره وكتب المراسم وهي الأوامر إلى جميع البلاد، وبعث لكل أمير خلعة فطاعوا له جميعاً واذعنوا إلا تغلق شاه - والد السلطان محمد شاه، وكان إذ ذاك أميراً بديبال بُور (68) من بلاد السند، فلما وصلت خلعة خسرو خان طرحها بالأرض وجلس فوقها وبعث إليه أخاه خان خانان فهزمه، ثم آل أمره إلى أن قتله كما سنشرحه في أخبار تغلق.

[200]

ولما ملك خسرو خان أثر الهنود (69) وأظهر أموراً منكراً منها النهي عن ذبح البقر

(66) قد يكون خسرو صاحب معه من كوجارات (Gujarat) أربعين ألف شخص للحساب الخاص لعصبته باروار (Barwar) الذين كانوا هندوساً، وذلك لتكوين جيش خاص به - خان خانان كان لقباً - أخو خسرو كان يسمى حسام الدين، وكان قد ثار في كوجارات ضد قطب الدين مبارك

(67) تم هذا الحدث في شهر أبريل 1520 صفر - ربيع الأول 920.

(68) بديال بُور (Dipalpur) في باكستان الحالية جنوب لاهور على بُعد 80 ميلاً منها

(69) معظم المؤرخين المسلمين من الذين كتبوا حول أيام آل تغلق يواجهون هذه التهمة ضد خسرو بيد أنه لا يظهر أن هذا السلطان كانت له نية في التنكر للإسلام، وإنما كان يتوفر على فكرة متساهلة إزاء ديانة الهندوس الذين يكوّنون فصائله العسكرية بيد أنه كان أول عاهل في السلطنة من أصل هندوسي وليس بتركي وقد ساعد شعاع الدين في خطر على لم شمل المعارضة حول غياب الدين تغلق وهكذا فإن الاحتكاكات بين المسلمين والهندوس ليست وليدة العصور الحاضرة ولكنها متجذرة في التاريخ ...

على قاعدة كفّار الهند فإنهم لا يجيزون ذبحها، وجزاء من ذبحها عندهم أن يخاط في جلدها ويحرق ! وهم يعظمون البقر ويشربون أبوالها للبركة والاستشفاء إذا مرضوا، ويلطخون بيوتهم وحيطانهم بأرواثها، وكان ذلك ممّا بغض خسرو خان إلى المسلمين وأمالهم عنه إلى تغلق، فلم تطل مدة ولايته، ولا امتدت أيام ملكه، كما سنذكره.

2011

ذكر السلطان غياث الدين تغلق شاه

وضبط اسمه بضم التاء المعلوّة وسكون الغين المعجم وضم اللام وآخره قاف، حدّثني الشيخ الامام الصالح العالم العابد ركن الدين ابن الشيخ الصالح شمس الدين أبي عبد الله بن الولي الإمام العالم العابد بهاء الدين زكرياء القرشي الملتاني، بزايوته منها، أنّ السلطان تغلق كان من الأتراك المعروفين بالقرونة (70)، بفتح القاف والراء وسكون الواو وفتح النون، وهم قاطنون بالجبال التي بين بلاد السند والترك، وكان ضعيف الحال، فقدم بلاد السند في خدمة بعض التجار. وكان كنوانياً له، والكوانيّ، بضم الكاف المعقودة هو راعي الخيل، وذلك على أيام السلطان علاء الدين، وأمير السند إذ ذاك أخوه أولو خان (71)، بضم الهمزة واللام، فخدمه تغلق وتعلّق بجانبه قرّبته في البيّادة (72)، بكسر الباء الموحدة وفتح الياء آخر الحروف، وهم الرّجال، ثم ظهرت نجابته فأنّبت في الفرسان، ثم كان من الأمراء الصغار وجعله أولو خان أمير خيله، ثم كان بعد من الأمراء الكبار وسمّى بالملك الغازي.

2023

ورأيت مكتوباً على مقصورة الجامع بمكّتان، وهو الذي أمر بعملها : إنّي قاتلت التتر تسعاً وعشرين مرة فهزمتهم فحينئذ سمّيت بالملك الغازي (73).

ولما ولي قطب الدين ولّاه مدينة ديبال پور وعماالتها، وهي بكسر الدال المهملة وفتح الباء الموحدة، وجعل ولده الذي هو الآن سلطان الهند أمير خيله، وكان يسمى جونة، بفتح الجيم

(70) القرونة (Qarunās) حسب ما رواه ماركو پولو - بل وحسب الروايات الهندية هم المتسلكون من أب تركي أو مغولي وأم هندية ... ومن المعلوم أن أصول تغلق تركية. هذا وقد اشتهر في بلاد المغرب إطلاق كلمة الكُرغلي (ج كراغلة) على الذين تنسّلوا من أب تركي وأم مغربية، حول ركن الدين انظر 101، III

(71) يتعلق الأمر بالقياس بك المعروف بـ ألوغ خان بعد أن دخل أخوه الحكم عام 695=1296، وسمي مباشرة حاكماً للسند، بعد فتح رانثمبُور (Ranthambhor) في راجستان عام 700=1301، وقد نقل إلى هذه المدينة وتوفي في السنة اللاحقة.

(72) البيّادة : لفظ من أصل فارسي (Piyada) جندي من المشاة ...

(73) ظهر غياث الدين تغلق لأول مرة أثناء هجوم المغول عام 704 = 1304 وأحرز على لقب (الغازي) بعد أن تمكن من رد هجوم مغولي ثانٍ على أعقاب عام 706=1306

Dr. Ahmad Nabi Khan : Development of Mosque Architecture in Pakistan, Islamabad, 1986 P. 36-53.

والذين. ولما ملك تسمى بمحمد شاه، ثم لما قُتل قطب الدين وولى خسرو خان أبقاه على إمارة الخيل، فلما أراد تغلق الخلف كان له ثلاثمائة من أصحابه الذين يعتمد عليهم في القتال، وكتب إلى كشلو خان (74)، وهو يومئذ بملتان وبين ديال بُور ثلاثة أيام يطلب منه الفياض بنصرته ويذكره نعمة قطب الدين ويحرضه على طلب ثاره

وكان ولد كشلو خان بدهملي فكتب إلى تغلق أنه لو كان ولدي عندي لأعنتك على ما تريد فكتب تغلق إلى ولده محمد شاه يعلمه بما عزم عليه، ويأمره أن يفر إليه، ويستصحب معه ولد كشلو خان، فاراد ولده الحيلة على خسرو خان وتمت له كما أراد، فقال له: إن الخيل قد سميت وتبدلت وهي تحتاج البراق (75)، وهو التضمير، فأذن له في تضميرها، فكان يركب كل يوم في أصحابه فيسير بها الساعة والساعتين والثلاث، واستمر إلى أربع ساعات إلى أن غاب يوماً إلى وقت الزوال، وذلك وقت طعامهم فأمر السلطان بالركوب في طلبه، فلم يوجد له خبر ولحق بابيه واستصحب معه ولد كشلو خان، وحينئذ أظهر تغلق الخلف وجمع العساكر وخرج معه كشلو خان في أصحابه وبعث السلطان أخاه خان خانان لقتالهما فهزمهما شراً هزيمة، وفرّ عسكريهما إليهما ورجع خان خانان إلى أخيه وقتل أصحابه، أخذت خزائنه وأمواله.

وقصد تغلق حضرة دهملي وخرج إليه خسرو خان في عساكره ونزل بخارج دهملي بموضع يعرف بأصيا آباد (76) ومعنى ذلك رحي الريح، وأمر بالخزائن ففتحت وأعطى الأموال بالبدل، لا يوزن ولا عدد، ووقع اللقاء بينه وبين تغلق وقاتلت الهندو أشد قتال، وانهزمت عساكر تغلق ونهبت محلاته وانفرد في أصحابه الأقدمين الثلاثمائة فقال لهم: إلى أين الفرار؟ حيثما أدركنّا قتلنا، واشتغلت عساكر خسرو خان بالنهب وتفرقوا عنه، ولم يبق معه إلا قليل فقصد تغلق وأصحابه موقفه، والسلطان هناك يعرف بالشطر الذي يرفع فوق راسه وهو الذي يسمى بديار عصر القبة والطير، ويرفع بها في الأعياد، وأما بالهند والصين

74. هذه الشخصية كانت تسمى في ذلك العهد بهرام أييا، وكان حاكم أوش (Uch)، وهو الأول الذي النحو بعلق، وقد أحرر في إثر هذا اسم كشلو خان (Kishlu) وحكم السند، واحتفظ بهذه الوظيفة إلى أن صار عام 728=1328

75. البراق كلمة تركية تعني الرشاقة وخفة الوزن. ماغير عنه ابن بطوطة بالتضمير ثم انتقلت للفارسية قبل أن تشيع في اللغة العربية.

76. أصب آباد (Asya-badd) يوجد هذا الموضع في سهل لَهراوات (Lahrāwat) على بعد ميلين أو ثلاثة شمال غرب (سبيري) (Siri) هذا وكلمة الشطر فيما بعد تعني (المظلة) وهي من أصل سنسكريتي (Chhatra) شطر الفارسية، وتعتبر المظلة شعاراً من شعار الملك في المشرق والمغرب منذ الوقت المبكر، وقد خصصنا لها حديثاً في التاريخ الدبلوماسي للمغرب ج 1 ص 83-84 إلخ

فلا يفارق السلطان في سفر ولا حضر فلما قصده تغلق وأصحابه حمى الفئال بينهم وبين
الهنود وانهمزم أصحاب السلطان ولم يبق معه أحد وهرب فنزل عن فرسه ورمى سلاحه
وسلحه وبقي في قميص واحد وأرسل شعره بين كتفيه كما يفعل فقراء الهند، ودخل بمسند
هناك واجتمع الناس على تغلق وقصد المدينة فاتاه الكتوال بالمفاتيح ودخل القصر ونزل
بناحية منه، وقال لكشلو خان أنت تكون السلطان، فقال كشلو خان بل أنت تكون
السلطان وتنازعا فقال له كشلو خان : فإن أبيت أن تكون سلطاناً فيتولى ذلك، فكره هذا
وقبل حينئذ وقعد على سرير الملك وباعه الخاص العام، ولما كان بعد ثلاث أشهر الجوع
بخسروخان وهو مختف بالبستان فخرج وطاف به فوجد القيم فسأله طعاماً فلم يكن عنده
فأعطاه خاتمه وقال : إذهب فارهنه في طعام، فلما ذهب بالخاتم إلى السوق انكر الناس
أمره ورفعوه إلى الشحنة، وهو الحاكم، فادخله على السلطان فعلق فأعلمه بين دفع اليه
الخاتم، فبعث ولده محمداً ليأتي به، فقبض عليه واثابه راجياً على ثمنه، بثمنه مشير
أولاهما مفتوحة والثانية مضمومة وهو البرذون، فلما مثل بين يديه، قال له : إني جاع فأتني
بالطعام، فأمر له بالشربة ثم بالطعام ثم بالفقاع ثم بالتنبول، فلما أكل قام قائماً وقال
يا تغلق إفعل معي فعل الملوك ولا تقضحني فقال له : لك ذلك وأمر به فضربت رقبتة، وذلك
في الموضع الذي قتل هو به قطب الدين، ورمى برأسه وجسده من أعلى السطح كما فعل هو
برأس قطب الدين، وبعد ذلك أمر بغسله وتكفينه ودفن في مقبرته واستقام الملك لتغلق أربعة
أعوام وكان عادلاً فاضلاً.

206/3

207/3

208/3

ذكر ما رآه ولده من القيام عليه فلم يتم له ذلك.

ولما استقر تغلق بدار الملك بعث ولده محمداً ليفتح بلاد التلنك التي وضبطها بكسر
التاء المعلولة واللام وسكون النون وكاف معقود، وهي على مسيرة ثلاثة أشهر من مدينة دهلي،
وبعث معه عسكرياً عظيماً فيه كبار الأمراء مثل الملك تشور، بفتح التاء المعلولة وضد المد،
وأخيه راء، ومثل الملك تكين بكسر التاء المعلولة والكاف وآخره نون، ومثل ملك كافور المهر دار
بضم الميم ومثل ملك (78) بيزم، بالباء الموحدة مفتوحة، والياء آخر الحروف، والراء مفتوحة،
وسواهم، فلما بلغ إلى أرض التلنك أراد المخالفة، وكان له نديم من الفقهاء الشعراء يعرف
بعبيد فأمره أن يلقي إلى الناس أن السلطان تغلق توفي، وظنه أن الناس يبايعونه مسرعين

209/3

(77) غارة 721=1321-1322 كانت موجبة ضد آل كاكاتياس (Kakanyasa) في (Kakanyasa) التي هي
الملك براتابارودرا (Prataparudra) مقتنماً فتح دهلي رافضاً أداء الأتاوة - حول الفقاع - لنظر الملك
(78) حول ملك بيزم يلاحظ أن التراجمة يستعملون دون أن يميزوا الكلمة العربية الملك التي تليها
إلى سلطان، وفي الحالين فإن الأمر يتعلق بلقب تشريفي وليس بلقب وصفي

فتح دهلي ومن تداولها من الملوك

إذا سمعوا ذلك، فلما ألقى ذلك إلى الناس أنكره الأمراء، وضرب كل واحدٍ منهم طبله وخالف، فلم يبق معه من أحدٍ، وأرادوا قتله فمَنعهم منه ملك ثَمُور، وقام دونه فقرَ إلى أبيه في عشرةٍ من الفرسان سمَّاهم يَارَان موافق، معناه الأصحاب الموافقون فاعطاه أبوه الأموال والعساكر وأمره بالعود إلى التَلِيَنك (79) فعاد إليها، وعلم أبوه بما كان أراد، فقتل الفقيه عبيداً، وأمر بملك كافور المُهردار فضُرب له عمودٌ في الأرض محدود الطرف وركَّز في عنقه حتى خرج من جنبه طرْفُه ورأسه إلى أسفل وترك على تلك الحال وفقرَ من بقى من الأمراء إلى السلطان شمس الدين ابن السلطان ناصر الدين بن السلطان غياث الدين بَلْبَن واستقرَّوا عنده.

210/3

ذكر مسير تغلق إلى بلاد اللكنوتي وما اتَّصل بذلك إلى وفاته.

وأقام الأمراء الهاريون عند السلطان شمس الدين (80)، ثم إن شمس الدين توفي وعهد لولده شهاب الدين فجلس مجلس أبيه، ثم غلب عليه أخوه الأصغر غياث الدين بهادور بُوره، ومعناه بالهندية: الأسود، واستولى على الملك وقتل أخاه قطلو خان وسائر إخوته وفَرَ شهاب الدين وناصر الدين منهم إلى تغلق فتجهز معهما بنفسه لقتال أخيهما وخلف ولده محمداً نائباً عنه في ملكه وجدَّ السير إلى بلاد اللكنوتي، فتغلب عليها. وأسر سلطانها غياث الدين بهادور، وقدم به أسيراً إلى حضرته

211/3

وكان (80) بمدينة دهلي الولي نظام الدين البذاوني (82) ولا يزال محمد شاه ابن السلطان يتردَّد إليه ويعظم خدامه، ويسأله الدعاء، وكان يأخذ الشيخَ حالَ تغلب عليه، فقال

(79) يتناقش المؤرخون الهنود مسؤولية محمد تغلق في هذه الحوادث، هذا وقد أرسل حالاً إلى تيليكانا (Telingana) وهذه الغارة الثانية لعام 723 = 1323 أدت إلى إمتداد حكمه إلى مملكة كاكاتيا (Kakatia)

(80) ناصر الدين محمود ابن بَلْبَن سلطان البنغال كان تنازل عن الحكم عام 690=1291 لصالح ابنه ركن الدين كيكوس (Kaikaus) الذي ظل في الحكم إلى عام 702 = 1302 - شمس الدين فيروز خلفه.

ابن بطوطة الوحيد الذي قدمه إلينا كولد لناصر الدين شمس الدين فيروز بسط سيادته على شرق وجنوب البنغال بيد أن هذه السيادة تعرضت بسرعة فائقة لاعتراض ابنائه - غياث الدين بها دور المدعو بُوره (BHURA) الذي استقر في الشرق. وشهاب الدين الذي أزاح والده خلال بعض الوقت عن الحكم في اللكنوتي (Lakhnawti). البنغال عام 718=1318. في سنة 722=1322 عند وفاة شمس الدين فيروز قام غياث الدين باقصاء سائر إخوته باستثناء شهاب الدين وناصر الدين، وبفعل إلحاحات هذين الأخوين أعطيت المبررات لتدخل من دهلي. ابن بطوطة الشخص الوحيد أيضاً الذي تحدث عن فرار المتأمرين إلى البنغال ...

(81) الغارة تُوْرخ بعام 724 = 1324، ناصر الدين عين سلطاناً لشمال البنغال بينما ألحق الباقي بأمبراطورية دهلي.

(82) البذاوني معروف تحت إسم نظام الدين أولياء، (1238-1324م) كان أحد المشاهير الممثلين للطريقة الشيشيتية في الهند، كان تلميذاً لفريد الدين البذاوني. لم يكن على حالة طيبة مع تغلق، بيد أن قبره في دهلي ما يزال إلى الآن مكاناً يقصد للزيارة... - يراجع الجزء III 135-136 - تعليق 53

ابن السلطان لخدمه إذا كان الشيخ في حاله الذي تغلب عليه فاعلموني بذلك، فلما أخذته الحال أعلموه فدخل عليه، فلما رآه الشيخ قال: وهبنا لك الملك ثم توفي الشيخ في أيام غيبة السلطان، فحمل ابنه محمد نعشه على كاهله فبلغ ذلك أباه فانكره وتوعده، وكان قد رآه منه أمور ونقم عليه استكثاره من شراء المالك وأجزاله العطايا واستجاليه قلوب الناس فزاد حنقه عليه وبلغه أن المنجمين زعموا أنه لا يدخل مدينة دهلي بعد سفره ذلك، فتوعدهم (٨٣١) 212/3

ولما عاد من سفره وقرب من الحضرة أمر ولده أن يبني له قصراً وهم يسمونه الكُشك بضم الكاف وشين معجم مسكن، على وادٍ هناك يسمى أفغان بُور (٨٤٠)، فبناد في ثلاثة أيام وجعل أكثر بنائه بالخشب مرتفعاً على الأرض قاسماً على سوارى خشب واحكه بهندسة تولى النظر فيها الملك زاده المعروف بعد ذلك بخواجه جهان، واسمه أحمد بن إياس كبير وزراء السلطان محمد (٨٥٠)، وكان إذ ذاك شحنة العمارة، وكانت الحكمة التي اخترعوها فيه أنه متى وطئت الفيلة جهةً منه وقع ذلك القصر وسقط.

ونزل السلطان بالقصر وأطعم الناس وتفرقوا واستأذنه ولده في أن يعرض الفيلة بين يديه وهي مزيّنة فاذن له. 213/3

وحدثني الشيخ ركن الدين أنه كان يومئذ مع السلطان ومعهما ولد السلطان المؤثر لديه محمود فجاء محمد ابن السلطان، فقال للشيخ ياخوند ' هذا وقت العصر، أنزل فصل' قال لي الشيخ: فنزلت وأتى بالأقوال من جهة واحدة حسبما دبّروه، فلما وطنتها سقط الكُشك على السلطان وولده محمود قال الشيخ فسمعت الضجة فعدت ولم اصل فوجدت الكُشك قد سقط، فأمر ابنه أن يوتي بالفؤس والمساخي للحفر عنه، وأشار بالإبطاء، فلم يؤت بهما إلا وقد غربت الشمس فحفروا، ووجدوا السلطان قد حنا ظهره على ولده ليقية الموت! فرغم بعضهم أنه أخرج ميتاً وزعم بعضهم أنه أخرج حياً، فاجهر عليه، وحمل ليلاً إلى مقبرته التي بناها بخارج البلدة المسماة باسمه تغلق آباد فدفن بها. 214/3

(٨٣١) الحديث عن تكهّنات المنجمين تردّد عنه مراراً، ونحن نعرف عن شعر أبي تمام عند فتح عمورية من لدن الخليفة المعتصم «السيف أصدق أنباء من الكتب» وقد كان مشايخنا يرفضون أقوال المنجمين لا تنتظرن لمشيّر ولا زحل × فالأمر لله كما شاء فعل'

(٨٤٠) أفغان بُور (Aghampur) هو الاسم الذي يطلق على قرية تقع جنوب شرق تغلق آباد المدينة الجديدة لتغلق، حوالي أربعة أميال من شرق المدينة القديمة، ولكن لا يعرف شي عن الوادي هذا وكلمة (كُشك) تصغر لكلمة كُوشك، وهي أصل الكلمة المستعملة اليوم في اللغات الأوروبية (كُيوسك)

(٨٥٠) أحمد إياس أو أحمد بن إياز هو الاسم الذي أعطى له (هارديو Hardeo) قريب أحد الهنود رحاد يوغير، عندما اعتنق الاسلام على يد نظام الدين أولياء مهدي حسين محمد بن تغلق

ففتح دهلي ومن تداولها من الملوك

وقد (86) ذكرنا السبب في بنائه لهذه المدينة وبها كانت خزائن تغلق وقصوره، وبها القصر الأعظم الذي جعل قراميده مذهبة، فإذا طلعت الشمس كان لها نور عظيم وبصيص يمنع البصر من إدامة النظر إليها، واختزن بها الأموال الكثيرة.

ويذكر أنه بنى صهريجا وأفرغ فيه الذهب إفراغاً فكان قطعة واحدة فصرف جميع ذلك ولده محمد شاه لما ولي، وبسبب ما ذكرناه من هندسة الوزير خواجه جهان في بناء الكُشك الذي سقط على تغلق كانت حظوته عند ولده محمد شاه وإيثاره لديه فلم يكن أحد يدانيه في المنزلة لديه ولا يبلغ مرتبته عنده من الوزراء ولا غيرهم.....

216/3

216/3



ضريح السلطان عياث الدين تغلق شاه

(86) يوجد القبر إلى الآن جنوب تغلق آباد، هذا وتحكى بعض المصادر الهندية هذه الحادثة بأسلوب تلمحي أكثر. بيد أن معلومات ابن بطوطة تظهر أكثر تفوقاً وأداءً عن كيب



جدران (تعلق آباد) في الهند

الفصل الثاني عشر

السلطان محمد ابن تغلق

- ❑ مشور السلطان وعاداته
- ❑ كرم السلطان وجوده
- ❑ قدوم ابن الخليفة على السلطان وأخباره
- ❑ ابن بطوطة يترك ولده أحمد عند الأمير غياث الدين ابن الخليفة العباسي فماذا عن مصير الولد ؟
- ❑ تزويج أخت السلطان وبنتي وزيره
- ❑ تواضع السلطان وفتكه في ذات الوقت !
- ❑ قتل القائمين على السلطان
- ❑ قيام عين الملك على السلطان
- ❑ قيام الأفغان على السلطان

..... ذكر السلطان أبي المجاهد محمد شاه بن السلطان غياث الدين تَغْلُق شاه ملك الهند والسند الذي قَدِمْنَا عليه

ولما مات السلطان تَغْلُق استولى ابنه محمد على الملك من غير منازع له ولا مخالف عليه، وقد قدمنا أنه كان اسمه جَوْنَة، فلما ملك تسمى بمحمد، واكتنى بأبي المجاهد (1)، وكل ما ذكرت من شأن سلاطين الهند فهو مما أُخبرت به وتلقيته أو معظمه من الشيخ كمال الدين بن البرهان الغزنوي قاضي القضاة (2) وأما أخبار هذا الملك فمعظمها مما شاهدته أيام كوني ببلاده.

216/3

ذكر وصفه

وهذا الملك أحب الناس في إسداء العطايا وإراقة الدماء، فلا يخلو بابه عن فقير يغني أو حي يقتل ! وقد شُهرت في الناس حكاياته في الكرم والشجاعة، وحكاياته في الفتك والبطش بذوي الجنايات، وهو أشد الناس مع ذلك تواضعاً وأكثرهم إظهاراً للعدل والحق، وشعائر الدين عنده محفوظة، وله اشتداد «في أمر الصلاة والعقوبة على تركها، وهو من الملوك الذين أطردت سعادتهم وخرق المعتاد يمن نقيبتهم، ولكن الأغلب عليه الكرم، وسنذكر من أخباره فيه عجائب لم يسمع بمثلها عمن تقدمه، وأنا أشهد بالله وملائكته ورسله أن جميع ما أنقله عنه من الكرم الخارق للعادة حق يقين وكفى بالله شهيداً.

217/3

وأعلم أن بعض مآثره من ذلك لا يسع في عقل كثير من الناس ويعدونه من قبيل المستحيل عادة ولاكن شيئاً عاينته وعرفته صحته وأخذت بحظ وافر منه لا يسعني الا قول الحق فيه، وأكثر ذلك ثابت بالتواتر (2) في بلاد المشرق.

(1) إقتفى سلاطين دهلي طريقة الألقاب الملكية للغزنويين والغوريين، إيلتُمِش، بلبن، تغلق ... كانت كنتيتهم أبا المظفر - النقش الذي نجده على السكة والعملة التي صدرت أيام محمد، هو هذه العبارة «المجاهد في سبيل الله» وليس أبا المجاهد...

(2) يراجع الحديث عن الشيخ كمال الدين ج III ص 143 و ص 161 - تأكيد ابن بطوطة على أنه لم يقل إلا الحق. وأنه اعتمد على الخبر المتواتر كان فيه رداً على من لم يقتنعوا بمرويياته وقد سبق III، 13 حديثه عن عدد الخيل التي أصبحت في ملكه، والتي لم يذكرها خيفة مكذب يكذبها "

ذكر أبوابه ومشوره وترتيب ذلك :

ودار السلطان بدهلي تسمى دار سراً، بفتح السين المهمل والراء، ولها أبواب كثيرة (3)، فأما الباب الأول فعليه جملة من الرجال موكلون به ويقعد به أهل الأنفار والأبواق والصرتايات، فإذا جاء أمير كبير ضربوها ويقولون في ضربهم : جاء فلان ! جاء فلان ! وكذلك أيضا في البابين : الثاني والثالث، وبخارج الباب الأول دكاكين يقعد عليها الجلادون وهم الذين يقتلون الناس، فإن العادة عندهم أنه متى أمر السلطان بقتل أحد قُتل على باب المشور، ويبقى هناك ثلاثاً، وبين البابين الأول والثاني دهليز كبير فيه دكاكين مبنية من جهتيه يقعد عليها أهل النوبة من حفاظ الأبواب.

218/3

وأما الباب الثاني فيقعد عليه البوابون الموكلون به، وبينه وبين الباب الثالث دكانة كبيرة يقعد عليها نقيب النقباء (4)، وبين يديه عمود ذهب يمسكه بيده على رأسه كلاه من الذهب مجوهره في أعلاها ريش الطواويس (5) والنقباء بين يديه، وعلى رأس كل واحد منهم شاشية مذهبة، وفي وسطه منطقة وبيده سوط نصابه من ذهب أو فضة، ويفضي هذا الباب الثاني إلى مشور كبير متسع يقعد به الناس.

219/3

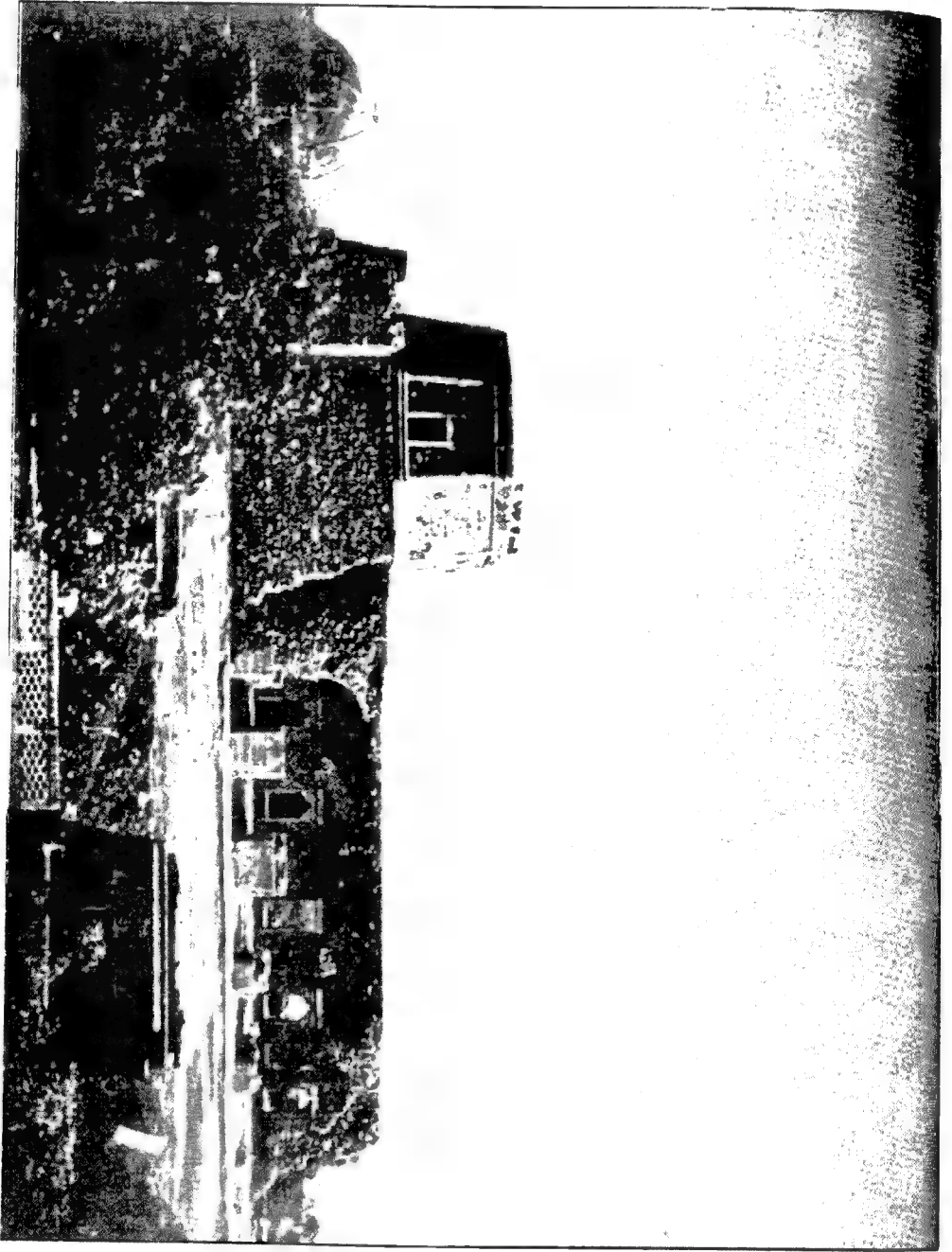
وأما الباب الثالث فعليه دكاكين يقعد فيها كتاب الباب، ومن عواندهم أن لا يدخل على هذا الباب أحد إلا من عينه السلطان لذلك، ويعين لكل إنسان عدداً من أصحابه وناسه يدخلون معه، وكل من ياتي إلى هذا الباب يكتب الكتاب أن فلانا جاء في الساعة الأولى أو الثانية أو ما بعدهما من الساعات إلى آخر النهار، ويُطالع السلطان بذلك بعد العشاء الآخرة ويكتبون أيضا بكل ما يحدث بالباب من الأمور، وقد عين من أبناء الملوك (6) من يوصل كل ما يكتبونه إلى السلطان.

(3) هذا القصر أحد المعالم التاريخية النادرة في عهد السلطان محمد ، وما تزال آثاره صامدة إلى الآن في مكان المدينة الرابعة لدهلي ويسمى المكان جهان بُناه (Djahanpanah) قريباً من القرية الحالية . بيكام بُور (Begampur) بين دهلي القديمة وسييري. ويتفق مع بقايا قصر هزار سيتون (Ksari Hazar si-tun) (قصر الألف سارية) الذي كانت تتم فيه - على ما يبدو - الاستقبالات الملكية، وهو المذكور من قبل ابن بطوطة. أقول : مثل هذه الحقائق وهذه التفصيلات هي التي لم يهضمها بعض الناس فراحوا "يتناجون" بكذب ابن بطوطة على ما عرفنا من ابن خلدون في المقدمة، وما قرأناه عند الرُباني في (الترجمة الكبرى)...

(4) القصد إلى شخصية تتصدّر النقباء لكل طبقات الأشراف..

(5) هذه تقاليد مقتبسة من الهندوس، على نحو ما نراه اليوم هناك عند أبواب الفنادق والمؤسسات الكبرى من الهند وما جاوره...

(6) القصد إلى أعضاء الأسرة المالكة علاوة على الشخص المعين للقيام بذلك.



مشور ألف سارية

ومن عواندهم أيضا انه من غاب عن دار السلطان ثلاثة أيام فصاعدا لعذر أو لغير عذر فلا يدخل هذا الباب بعدها إلا بإذن من السلطان. فإن كان له عذر من مرض أو غيره قدم بين يديه هدية مما يناسبه إهداؤها إلى السلطان. وكذلك أيضا القادمون من الأسفار، فالفقيه يهدي المصحف والكتاب وشبهه، والفقيه يهدي المصلى والسبحة والمسواك ونحوها، والأمراء ومن أشبههم يهدون الخيل والجمال والسلاح، وهذا الباب الثالث يفضي إلى المشور الهائل الفسيح الساحة المسمى هزار أسطون بفتح الهاء والزاي ألف وراء، ومعنى ذلك ألف سارية، وهي سواري من خشب مدهونة عليها سقف خشب منقوشة أبدع نقش يجلس الناس تحتها، وبهذا المشور يجلس السلطان الجلوس العام.

220/3

221/3

ذكر ترتيب جلوسه للناس :

وأكثر جلوسه بعد العصر وربما جلس أول النهار، وجلوسه على مصطبة مفروشة بالبياض، فوقها مرتبة، ويجعل خلف ظهره مخدة كبيرة، وعن يمينه منكا وعن يساره مثل ذلك، وقعوده كجلوس الإنسان للتشهد في الصلاة، وهو جلوس أهل الهند كلهم، فإذا جلس وقف أمامه الوزير، ووقف الكتاب خلف الوزير وخلفهم الحجاب، وكبير الحجاب هو فيروز ملك ابن عم السلطان ونائبه (8)، وهو أدنى الحجاب من السلطان، ثم يتلوه خاص حاجب، ثم يتلوه نائب خاص حاجب، ووكيل الدار ونائبه، وشرف الحجاب، وسيد الحجاب، وجماعة تحت أيديهم، ثم يتلو الحجاب النقيب، وهم نحو مائة.

222/3

وعند جلوس السلطان ينادي الحجاب والنقيب بأعلى أصواتهم بسم الله، ثم يقف على رأس السلطان الملك الكبير قبوله (9)، وبه المذبة يشرّد بها الذباب، ويقف مائة من السكندارية (10)، عن يمين السلطان، ومثلهم عن يساره بأيديهم الدرق والسيوف والقسي، ويقف في الميمنة والميسرة بطول المشور قاضي القضاة، يليه خطيب الخطباء، ثم سائر القضاة، ثم كبار الفقهاء، ثم كبار الشرفاء، ثم المشايخ (11)، ثم إخوة السلطان وأصحابه، ثم الأمراء الكبار، ثم كبار الأعزة، وهم القرباء، ثم القواد.

ثم يوتى بستين فرسا مسرجة ملجمة بجهازات سلطانية، فمنها ما هو بشعار الخلافة، وهي التي لجمها وبوايرها من الحرير الأسود المذهب، ومنها ما يكون ذلك من

223/3

(7) يعني من كبار رجالات الدولة الذين يقوم عليهم سر العصر

(8) هو ابن رجب القائد العام لقوات السلطان تغلق

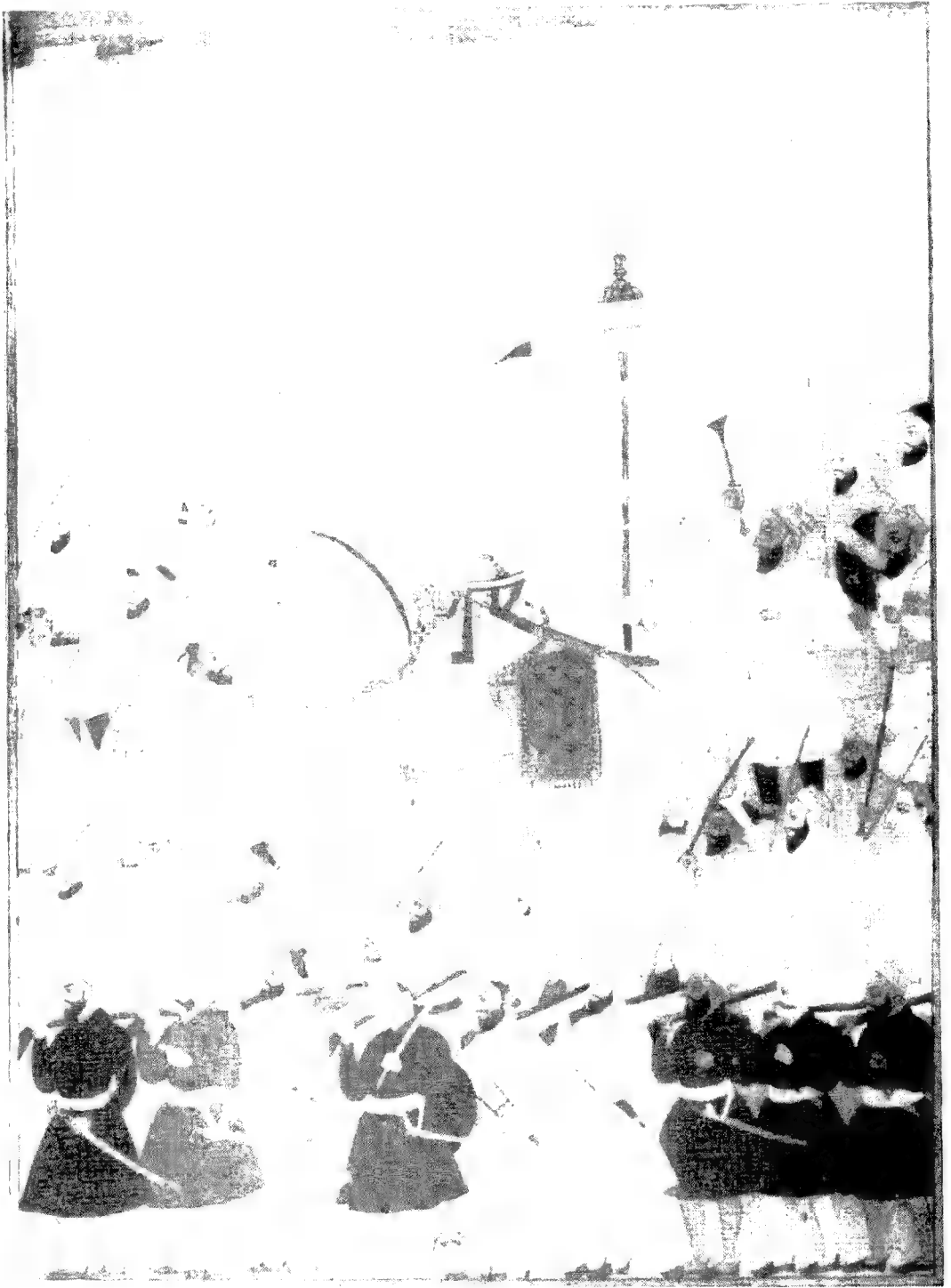
(9) تقدم الحديث عن (قبولة) في 365.1 وسيأتي كذلك 230.11

(10) سلخدار كلمة من الاستعمال الفارسي، تعني هذه حراسة وتتمنع بنفوذ كبير

(11) القصد على ما يبدو إلى رجال الدين الذين كانوا يسمون بـ"شيوخ" في العاصمة



جلوس السلطان للناس عن المكتبة الوطنية بباريس رقم MF 39301



من خيول السلطان المكتبة الوطنية بباريز

الحرير الأبيض المذهب، ولا يركب بذلك غير السلطان، فيوقف النصف من هذه الخيل عن اليمين والنصف عن الشمال، بحيث يراها السلطان ثم يوتى بخمسين فيلاً مزينة بثياب الحرير والذهب مكسوة أنيابها بالحديد إعداداً لقتل أهل الجرايم، وعلى عنق كل فيل فيّالُه وبيده شبه الطبرزين من الحديد، يؤدبه به ويقوّمه لما يراه منه (12).

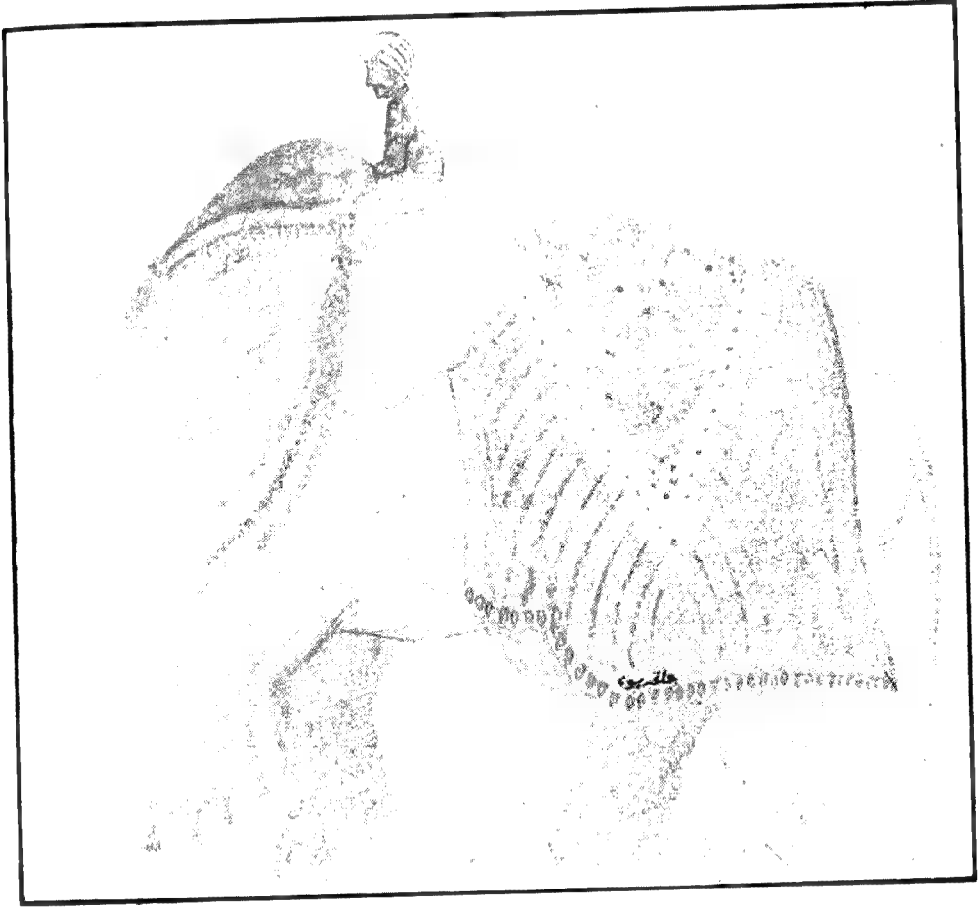
على ظهر كل فيل شبه الصندوق العظيم يسع عشرين من المقاتلة وأكثر من ذلك وبونه، على حسب ضخامة الفيل وعظم جرمه، ويكون في أركان ذلك الصندوق أربعة أعلام مركوزة، وتلك الفيلة معلّمة أن تخدم السلطان وتحط رؤسها فإذا خدمت، قال الحجاب: بسم الله، 224n بأصوات عالية، ويوقف أيضاً نصفها عن اليمين ونصفها عن الشمال خلف الرجال الواقفين وكلُّ من يأتي الناس المعيّنين للوقوف في الميمنة والميسرة يخدم عند موقف الحجاب، ويقول الحجاب، بسم الله، ويكون ارتفاع أصواتهم بقدر ارتفاع صوت الذي يخدم فإذا خدم انصرف إلى موقفه من الميمنة أو الميسرة لا يتعداه أبداً. ومن كان من كفار الهنود يخدم، ويقول له الحجاب والنقباة: هداك الله، ويقف عبيد السلطان من وراء الناس كلهم بأيديهم الترسة والسيوف فلا يمكن أحداً الدخول بينهم إلا بين يدي الحجاب القائمين بين يدي السلطان 225n

ذكر دخول الغريباء وأصحاب الهدايا إليه :

وإن كان بالباب أحد ممن قدم على السلطان بهدية دخل الحجاب إلى السلطان على ترتيبهم يقدمهم أمير حاجب ونائبه خلفه، ثم خاص حاجب ونائبه خلفه، ثم وكيل الدار ونائبه خلفه، ثم سيد الحجاب وشرف الحجاب، ويخدمون في ثلاثة مواضع، ويعلمون السلطان بمن في الباب، فإذا أمرهم أن ياتوا به جعلوا الهدية التي ساقها بأيدي الرجال يقومون بها أمام الناس بحيث يراها السلطان ويستدعي صاحبها فيخدم قبل الوصول إلى السلطان ثلاث مرات، ثم يخدم عند موقف الحجاب، فإن كان رجلاً كبيراً وقف في صف أمير حاجب، وإلا وقف خلفه، ويخاطبه السلطان: بنفسه أطف خطاب، ويرحب به، وإن كان ممن يستحق التعظيم فإنه يصفحه أو يعانقه، ويطلب بعض هديته، فتحضر بين يديه فإن كانت من السلاح أو الثياب قلبها بيده، وأظهر استحسانها جبراً لخطر مهدبها وإيناساً له ورفقا به وخلع عليه وأمر له بمال لغسل رأسه (13) على عادتهم في ذلك بمقدار ما يستحقه المهدي.

(12) يحظى الفيل في هذه الجهات بمكان كبير، وقد ذكر الشريف الإدريسي أن ملوك الهند ترغب في ارتفاع ظهور الفيلة وتزيد في أثمانها الذهب الكثير، وأرفعه تسعة أذرع الأفيلة الاخوار فإنها عشرة أذرع واحد عشر ذراعاً. النزهة 1: 95.

(13) سيااتي الحديث عن هذا الاستعمال الغريب والطريف في نفس الوقت (شرششتي) 1: 381.



الفريل بريشته الرسامة المغربية فاتحه عمر بوسنه

ذكر دخول هدايا عُمَّاله إليه :

وإذا أتى العمال (14) بالهدايا والأموال المجتمعة من مجابي البلاد صنعوا الأواني من الذهب والفضة مثل الطسوت والآباريق وسواها وصنعوا من الذهب والفضة قطعاً شبه الأجر يسمونها الخِشْت، بكسر الخاء المعجبة وسكون الشين المعجم وتاء معلولة، ويقف الفراشون وهم عبيد السلطان صفاً والهدية بأيديهم، كل واحد منهم مُمسك قطعة ثم يقدم الفيلة إن كان في الهدية شيء منها ثم الخيل المسرجة الملجمة ثم البغال ثم الجمال عليها الأموال.

227/3

ولقد رأيت الوزير خواجه جهان قدم هديته ذات يوم حين قدم السلطان من دولة أباد ولقيه بها في ظاهر مدينة بيّانة (15)، فأدخلت الهدية إليه على هذه الترتيب، ورأيت في جملتها صينية مملوءة بأحجار الياقوت وصينية مملوءة بأحجار الزمرد وصينية مملوءة باللؤلؤ الفاخر، وكان حاجي كاؤن (16) ابن عم السلطان أبي سعيد ملك العراق حاضراً عنده حين ذلك فأعطاه حظاً منها، وسيذكر ذلك فيما بعد إن شاء الله تعالى .

228/3

ذكر خروجه للعديد وما يتصل بذلك :

وإذا كانت ليلة العيد بعث السلطان إلى الملوك والخواص وأرباب الدولة والأعرّة والكتاب والحجّاب والنقباء والقواد والعبيد وأهل الأخبار الخلع التي تعممهم جميعاً. فإذا كانت صبيحة العيد زينت الفيلة كلها بالحرير والذهب والجواهر، ويكون منها ستة عشر فيلاً لا يركبها أحد إنما هي مختصة بركوب السلطان ويرفع عليها ستة عشر شطراً من الحرير مرصعة بالجواهر، قائمة كل شطر منها ذهب خالص، وعلى كلّ فيل مرتبة حرير مرصعة بالجواهر، ويركب السلطان فيلاً منها، وترفع أمامه الغاشية، وهي ستارة سرجه (17)، وتكون مرصعة بانفس الجواهر ويمشي بين يديه عبيده ومماليكه وكل واحد منهم تكون على رأسه شاشية ذهب وعلى وسطه منطقة ذهب، وبعضهم يرصعها بالجواهر ويمشي بين يديه

229/3

(14) يُطلق لقب العامل في الغالب على الضباط الإداريين للأقاليم - الفراش : تعبير يستعمل إلى الآن في المشرق للتعبير عن المكلفين بالصيانة - الخشب : كلمة فارسية.

(15) بيّانه (Bayana) تقع في إقليم بُهراثبور (Bharatpur) على بعد 120 ميل جنوب دهلي وسيوزورها ابن بطوطة (5, IV) ونعرف عن مدينة بالاندلس تحمل تقريباً نفس الاسم (BAENA).

(16) سيأتي الحديث عنه ص 237-38.

(17) رفع الغاشية أمام الموكب تقاليد عُرِفَتْ هنا أيام السلاجقة ثم في آسيا ومصر ولم تكن مستعملة آنذاك في بلاد المغرب على ما يظهر من ابن بطوطة...

أيضا النقباء، وهم نحو ثلاثمائة، وعلى رأس كل واحد منهم أقرؤف (١٨) ذهب، وعلى وسطه منطقة ذهب، وفي يده مقرعة نصابها ذهب.

ويركب قاضي القضاة صدر الجهان كمال الدين الغزنوي، وقاضي القضاة صدر الجهان ناصر الدين الخوارزمي (١٩)، وسائر القضاة وكبار الأعزة من الخراسانيين والعراقيين والشاميين والمصريين والمغاربة (٢٠)، كل واحد منهم على فيل، وجميع الغرباء عندهم يسمون الخراسانيين، ويركب المؤذنون أيضا على الفيلة وهم يكبرون، ويخرج السلطان من باب القصر على هذا الترتيب، والعساكر تنتظره، كل أمير بفوجه على حدة، معه طبوله وأعلامه فيقدم السلطان وأمامه من ذكرناه من المشاة، وأمامهم القضاة والمؤذنون يذكرون الله تعالى، وخلف السلطان مراتبه (٢١)، وهي الأعلام والطبول والأبواق والأنفار والصرتيات، وخلفهم جميع أهل دخلته، ثم يتلوهم أخو السلطان مبارك خان (٢٢) بمراتبه وعساكره، ثم يليه ابن أخ السلطان بهرام خان (٢٣) بمراتبه وعساكره، ثم يليه ابن عمه ملك فيروز بمراتبه وعساكره، ثم يليه الوزير بمراتبه وعساكره، ثم يليه الملك مجير بن ذي الرجا (٢٤) بمراتبه وعساكره ثم يليه الملك الكبير قبولة بمراتبه وعساكره.

230/3

وهذا الملك كبير القدر عنده، عظيم الجاه، كثير المال، أخبرني صاحب ديوانه، ثقة الملك علاء الدين على المصري المعروف بابن الشرايشي أن نفقته ونفقة عبيده ومراتبهم ستة وثلاثون لكا في السنة (٢٥).

231/3

(١٨) عبارة أقرؤف (Aqruf) المستعملة هنا تعني قلنسوة عالية على شكل مخروط وتجمع على أقراف واللفظ = يستعمل في المغرب، ويقابله بالفارسية كلاه، انظر 388, II - دوزي

(١٩) هذان القاضيان والأول منهما هو المخبر التاريخي لابن بطوطة، ذكرنا كما نعلم أكثر من مرة بيد أننا لم نتمكن من الوقوف على ترجمتهما ...

(٢٠) يلاحظ الوجود المغربي في بلاط دهلي في ذلك التاريخ ... وهو وجود لا نستغربه مع ما اشتهر به أهل المغرب من الضرب في أراضي الله الشاسعة - تراجع المقدمة - مكان الرحلة من سائر الرحلات.

(٢١) القصد إلى الشعارات التي تعبر عن السيادة.

(٢٢) سياي ذكر هذا الأخير ص 274 ثم 287 لكننا لم نعرف عنه شيئا !

(٢٣) يعرف بهرام هذا بأنه مُتبَيِّ لقياث الدين تغلق وأنه سمي حاكما في شرق البنغال بعد حركة عام 724 = 1324، وقد أدركه أجله في هذه الوظيفة عام 738 = 1338 - 1330 - تراجع ص 281-317 من III

(٢٤) مجير الدين ابن أبي الرجا، هو الذي عهد إليه بقمع الثورة التي شبت في كوشطاشب (Gushatashp) عام 726 = 1326 - مهدي حسين - محمد بن تغلق، مصدر سابق.

(٢٥) يعني 3,600,000 دينار ويفترض أن تكون دنانير فضية من وزن 175 حبة كيب.

ثم يليه الملك نُكْبِيَه (261) بمراتبه وعساكره، ثم يليه الملك بُغْرة بمراتبه وعساكره ثم يليه الملك مخلص بمراتبه وعساكره (271)، ثم يليه الملك قطب الملك بمراتبه وعساكره، وهؤلاء هم الأمراء الكبار الذين لا يفارقون السلطان وهم الذين يركبون معه يوم العيد بالمراتب، ويركب غيرهم من الأمراء نون مراتب.

وجميع من يركب في ذلك اليوم يكون مُدْرَعًا هو وفرسه، وأكثرهم مماليك السلطان فإذا وصل السلطان إلى باب المصلى وقف على بابه وأمر بدخول القضاة وكبار الأمراء وكبار الأعزة، ثم نزل السلطان، ويصلي الإمام ويخطب فإن كان عيد الأضحى أتى السلطان بجمل فنَحَرَه بِرُمَحٍ بِسُمُونَه النَّيْزَة، بكسر النون وفتح الزاي، بعد أن يجعل على ثيابه قوطة حرير توقيا من الدم ثم يركب الفيل يعود إلى قصره.

232/3

ذكر جلوسه يوم العيد وذكر المبخرة العظمى والسريّر الأعظم

ويفرش القصر يوم العيد ويزين بأبدع الزينة وتضرب البارقة (281) على المشور كله، وهي خيمة عظيمة تقوم على أعمدة ضخام كثيرة وتحفها القباب من كل ناحية، ويصنع شبه أشجار من حرير ملون فيها شبه الأزهار، ويجعل منها ثلاثة صفوف بالمشور، ويجعل بين كل شجرتين كرسي ذهب عليه مرتبة مغطاة وينصب السريّر الأعظم في صدر المشور، وهو من الذهب الخالص كله، مرصع القوائم بالجواهر، وطوله ثلاثة وعشرون شبرًا وعرضه نحو النصف من ذلك، وهو منفصل وتجمع قِطْعَه فتتصل، وكل قطعة منه يحملها جملة رجال لتقل الذهب وتجعل فوقه المرتبة ويرفع الشطر المرصع بالجواهر على رأس السلطان.

233/3

وعند ما يصعد على السريّر ينادي الحجاب والنقباء بأصوات عالية : بسم الله، ثم يتقدم الناس للسلام، فأولهم القضاة والخطباء والعلماء والمشائخ وإخوة السلطان وأقاربه وأصهاره، ثم الأعزة، ثم الوزير ثم أمراء العساكر، ثم شيوخ الممالك، ثم كبار الأجناد، يسلم واحد إثر واحد من غير تراحم ولا تدافع.

234/3

ومن عواندهم في يوم العيد أن كل من بيده قرية منعم بها عليه يأتي بدنانير ذهب مصرورة في خرقة مكتوبًا عليها اسمه فيلقبها في طست ذهب هنالك، فيجتمع منها مال عظيم يعطيه السلطان لمن شاء، فإذا فرغ الناس من السلام وضع لهم الطعام على حسب مراتبهم.

(26) القصد إلى الملك نيكباي (Nikpay) رئيس الكتابة، والذي سيكلف بالحركة في قراجيل (Himalaya) - انظر 325, III.

(27) قُطْب اللّاتين هو حاكم مُلْتَان، راجع II، 118.

(28) النَّيْزَة - من أصل فارسي NIZI - البارقة كذلك BARGAH II، 406.

وينصب في ذلك اليوم المبخرة العظمى وهي شبه برج من خالص الذهب منفصلة، فإذا أرادوا اتصالها وصلوها، وتحمل القطعة الواحدة منها جملة من الرجال، وفي داخلها ثلاثة بيوت يدخل فيها المبخرون يوقدون العود القماري، (29) والقافلي (30)، والعنبر الأشهب والجاوي (31)، حتى يعم دخانها المشور كله!!

ويكون بأيدي الفتیان براميل الذهب والفضة مملوءة بماء الورد وماء الزهر بصبونه على الناس صبا، وهذا السرير وهذه المبخرة لا يخرجان إلا في العيدين خاصة، ويجلس السلطان في بقية أيام العيد على سرير ذهب دون ذلك وتنصب باركة بعيدة (32)، لها ثلاثة أبواب يجلس السلطان في داخلها ويقف على الباب الأول منها عماد الملك سرتيز (33)، وعلى الباب الثاني الملك نُكْبِيَّة وعلى الباب الثالث يوسف بُغْرة ويقف عن اليمين أمراء المماليك السلحدارية، وعن اليسار كذلك، ويقف الناس على مراتبهم وشحنة الباركة ملك طُغْتي بيده عصا ذهب ويبد نائبه عصا فضة يرتبان الناس ويسويان الصفوف، ويقف الوزير والكتاب خلفه ويقف الحجاب والنقباء، ثم يأتي أهل الطرب فأولهم بنات ملوك الكفار من الهنود المستليات في تلك السنة فيغنين ويرقصن ويهيهن السلطان للأمراء والأعزة! ثم يأتي بعدهن سائر بنات الكفار فيغنين و161159 161 ويهيهن لإخوانه وأقاربه وأصهاره وأبناء الملوك!

ويكون جلوس السلطان لذلك بعد العصر، ثم يجلس في اليوم الذي بعده بعد العصر أيضا على ذلك الترتيب، ويوتي بالمغنيات فيغنين ويرقصن ويهيهن الأمراء المماليك! وفي اليوم الثالث يزوج أقاربه وينعم عليهم، وفي اليوم الرابع يعتق العبيد، وفي اليوم الخامس يعتق الجواري وفي اليوم السادس يزوج العبيد بالجواري، وفي اليوم السابع يعطي الصدقات ويكثر منها.

(29) القماري نسبة إلى قمار يعني خمير - Khmer (كامبوديا)

(30) القافلي نسبة إلى قافلة في ماليزيا، والمدينتان سيتحدث عنهما (240 IV-242) ومن المهم أن نذكر أن المغاربة يتناولون من البهارات ما يسمونه (قاغ قله) محرّفاً عن قافلة ما يسمى في المشرق حنا الهيل الذي يجعلونه في القهوة أو بعض الطعام Gibb : Selections p. 276

(31) نسبة إلى جاوة أو سمطوره، حول اللبان انظر ج II، ص 214 - ج IV، 228، 240.

(32) يترجم كيب كلمة (بعيدة) بما يؤدي معنى عالية يعني ليتمكن المدعوون من رؤيته 367. IV

(33) اسم ذكر سالفا III، 94 - كحاكم للسند ثم كان بعد ذلك حاكما في إيشبُور - شِخْتة الباركة يعني قائد الخيمة ومتعهدا ويسمى ملك طُغْتي، وينعته مهدي حسن بالدرُبار Durbar



رسوم تقرب صورة السرير الاعظم المكتبة الوطنية بباريز رقم VI 39286

ذكر ترتيبه إذا قدم من سفره

وإذا قدم السلطان من أسفاره زينت الفيلة ورفعت على ستة عشر فيلا منها ستة عشر شطرا، منها مزركش، ومنها مرصع، وحملت أمامه الغاشية وهي الستارة المرصعة بالجوهر النفيس، وتصنع قباب من الخشب مقسومة على طبقات، وتكسى بثياب الحرير، ويكون في كل طبقة الجوارى المغنيات عليهن أجمل لباس وأحسن حلية، ومنهن رواقص ويجعل في وسط كل قبة حوض كبير مصنوع من الجلود مملو بماء الجلاب محلولا بالماء يشرب منه جميع الناس من وارد وصادر وبلدي أو غريب، وكل من يشرب منه يُعطي التنبول والفوفل.

237/3

ويكون ما بين القباب مفروشا بثياب الحرير يطاء عليها مركب السلطان وتزين حيطان الشارع الذي يمر به من باب المدينة إلى باب القصر بثياب الحرير، ويمشي أمامه المشاة من عبيده وهم آلاف، وتكون الأفواج والعساكر خلفه.

238/3

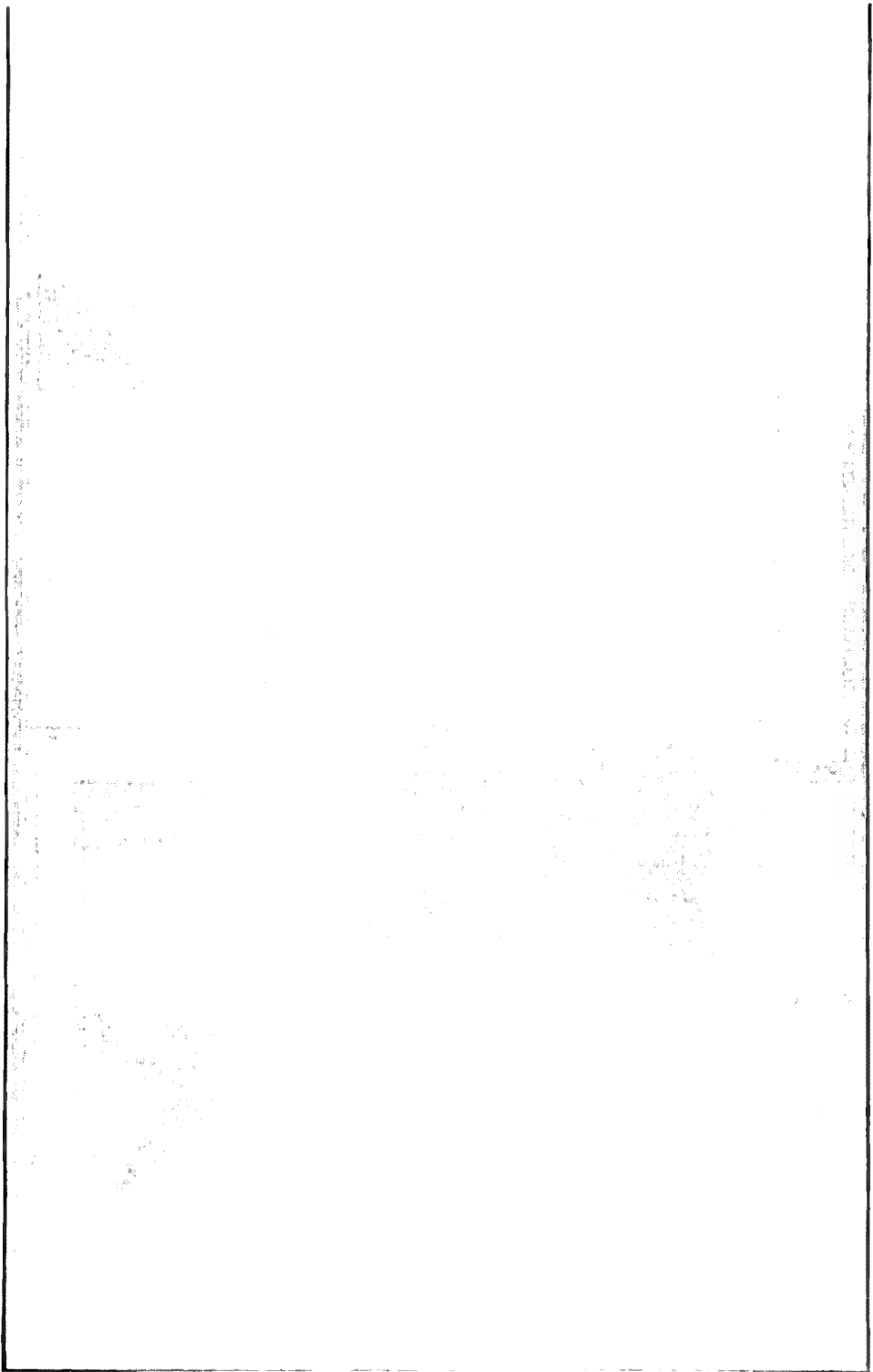
ورأيت في بعض قدماته على الحضرة وقد نصبت ثلاث أو أربع من الرعادات الصغار على الفيلة ترمي بالدنانير والدراهم على الناس فيلتقطونها من حين دخوله إلى المدينة حتى وصل إلى قصره (34).

ذكر ترتيب الطعام الخاص

والطعام بدار السلطان على صنفين : طعام الخاص وطعام العام، فأما الخاص فهو طعام السلطان الذي يأكل منه، وعادته أن يأكل في مجلسه مع الحاضرين، ويحضر لذلك الأمراء الخواص وأمير حاجب ابن عم السلطان، وعماد الملك سرتيز وأمير مجلس، ومن شاء السلطان تشريفه أو تكريمه من الأعزة أو كبار الأمراء دعاه، فأكل معهم، وربما أراد أيضا تشريف أحد من الحاضرين فأخذ إحدى الصحاف بيده وجعل عليها خبزة ويعطيه إياها، فيأخذها المعطى ويجعلها على كفه اليسرى، ويخدم بيده اليمنى إلى الأرض، وربما بعث من ذلك الطعام إلى من هو غائب عن المجلس فيخدم كما يصنع الحاضر ويأكله مع من حضره. وقد حضرت مرات لهذا الطعام الخاص فرأيت جملة الذين يحضرون له نحو عشرين رجلا.

239/3

(34) يُذكر أن مثل هذا المقطع الذي يحكى عن العادة الهندية عند مقدم العاهل من سفره ونثر الدنانير والدراهم على جمهور المستقبلين له هي التي أثارت الشكوك حول مروياته من لدن الذين تناجوا بالإثم والعدوان مما رده ابن خلدون في مقدمته على ما ذكرناه في المقدمة ... فقد هال بعض الناس أن تكون هذه عادة للناس في مكان ما من أرض الله ! وعوض أن يتنبأوا في الأمر إلتجأوا إلى التشكيك، ولولا حكمة الوزير ابن ودرار لذهبت الرحلة إدراج الرياح - تقدم ذكر الرعادات III 148.



• ذكر ترتيب الطعام العام

وأما الطعام العام فيوتى به من المطبخ وأمامه النقباء يصيحون : بسم الله، ونقيب النقباء أمامهم بيده عمود ذهب، وثانيه معه بيده عمود فضة، فإذا دخلوا من الباب الرابع وسمع من بالمشور أصواتهم قاموا قياماً أجمعين ولا يبقى أحد قاعداً إلا السلطان وحده، فإذا وضع الطعام بالأرض اصطف النقباء صفّاً ووقف أميرهم أمامهم وتكلم بكلام يمدح فيه السلطان ويثني عليه، ثم يخدم النقباء لخدمته، ويخدم جميع من بالمشور من كبير وصغير

240/3

وعادتهم أنه من سمع كلام نقيب النقباء حين ذلك وقف إن كان ماشياً ولزم موقفه إن كان واقفاً ولا يتحرك أحد ولا يتزحزح عن مقامه حتى يفرغ ذلك الكلام، ثم يتكلم أيضاً نائبه كلاماً نحو ذلك ويخدم ويخدم النقباء وجميع الناس مرة ثانية، وحينئذ يجلسون ويكتب كُتّاب الباب معرفين بحضور الطعام، وإن كان السلطان قد علم بحضوره ويُعطى المكتوب لصبي من أبناء الملوك موكل بذلك، فيأتي به إلى السلطان، فإذا قرأه عين من شاء من كبار الأمراء لترتيب الناس وإطعامهم.

241/3

وطعامهم الرقاق والشواء والأقراص ذات الجوانب المملوءة بالحلواء، والأرز، والدجاج والسُمُوسك (35).

وقد ذكرنا ذلك وفسرنا ترتيبه وعادتهم أن يكون في صدر سباط الطعام القضاة والخطباء والفقهاء والشرفاء والمشايخ، ثم أقارب السلطان ثم الأمراء الكبار ثم سائر الناس، ولا يقعد أحدٌ إلا في موضع معين له فلا يكون بينهم تراحم ألبنة. فإذا جلسوا أتى الشُرُيدارية، وهم السقاة بأيديهم أواني الذهب والفضة والنحاس والزجاج مملوءة بالنبات المحلول بالماء فيشربون ذلك قبل الطعام، فإذا شربوا، قال الحجاب : بسم الله، ثم يشربون في الأكل ويُجعل أمام كل إنسان من جميع ما يحتوي عليه السباط يأكل منه وحده، ولا يأكل أحد مع أحد في صحفة واحدة، فإذا فرغوا من الأكل أتوا بالفقاع (36) في أكواز القصدير فإذا أخذوه قال الحجاب : بسم الله، ثم يوتى باطباق التنبول والفوفل فيُعطي كل إنسان غرفة من الفوفل المهشوم وخمس عشرة ورقة من التنبول مجموعةً مربوطةً بخيط حرير أحمر، فإذا أخذ الناس التنبول قال الحجاب : بسم الله، فيقومون جميعاً ويخدم الأمير المعين للإطعام.

242/3

(35) السُمُوسك لعل القصد إلى السنبوسة وهي - على ما عرفت في العراق - حلوى مثقلة الشكل تحشى باللوز. وتسمى عندنا في المغرب بالبرويات تصغير براة وقد تقدم هذا اللفظ III، 123.

(36) الفُقَاع في الدارجة المغربية يعني الفطر ويبدو أنه مشروب يشخذ من هذا النبات وليس القصد إلى البيرة) أو ماء الشعير كما عند بعض التراجمة



صورة مأدبة عن مقامة الحريري الثلاثين / المعهد الشرقي لبلنغراد

ويخدمون لخدمته، ثم ينصرفون، وطعامهم مرتان في اليوم إحداها قبل الظهر والآخرى بعد العصر

243/3

ذكر بعض أخباره في الجود والكرم

وإنما أذكر منها ما حضرته وشاهدته وعينته، ويعلم الله تعالى صدق ما أقول، وكفى به شهيدا مع أن الذي أحكيه مستفيض متواتر، والبلاد التي تقرب من أرض الهند كاليمين وخراسان وفارس مملوءة بأخباره يعلمونها حقيقة ولا سيما جوده على الغرباء فإنه يفضلهم على أهل الهند، ويؤثرهم ويجزل لهم الإحسان ويسبغ عليهم الإنعام ويوليهم الخط الرفيعة ويوليهم المواهب العظيمة، ومن إحسانه إليهم أن سماهم الأعزة ومنع من أن يدعون الغرباء وقال : إن الإنسان إذا دعى غريبا انكسر خاطره وتغير حاله وسأذكر بعضا مما يحصى (37) من عطايه الجزيلة ومواهبه إن شاء الله تعالى

244/3

ذكر عطائه لشهاب الدين الكازروني التاجر وحكاية

كان شهاب الدين هذا صديقا لملك التجار الكازروني الملقب ببرويز، وكان السلطان قد اقطع ملك التجار مدينة كنباية، ووعد أنه يوليه الوزارة فبعث إلى صديقه شهاب الدين ليقدم عليه، فأتاه، وأعد هدية للسلطان وهي سراجة من الملف المقطوع المزين بورقة الذهب، وصيوان مما يناسبها، وخباء وتابع، وخبا ١٨١ راحة، كل ذلك من الملف المزين وبغال كثيرة، فلما قدم شهاب الدين بهذه الهدية على صاحبه ملك التجار وجده أخذًا في القدوم على الحضرة بما اجتمع عنده من مجابي بلاده وبهدية للسلطان

245/3

وعلم الوزير خواجه جهان بما وعده به السلطان من ولاية الوزارة فغار من ذلك، وقلق بسببه، وكانت بلاد كنباية والجُزرات قبل تلك المدة في ولاية الوزير، ولأهلها تعلق بجانبه وانقطاع إليه، وتخدم له، وأكثرهم كفار وبعضهم عصاة يمتنعون بالجمال، فدس الوزير إليهم أن يضربوا على ملك التجار إذا خرج إلى الحضرة، فلما خرج بالخزان والاموال ومعه شهاب الدين بهديته نزلوا يوما عند الضحى على عادتهم، ونفرت العساكر، ونام أكثرهم فضرب عليهم الكفار في جمع عظيم، فقتلوا ملك التجار وسلبوا الاموال والخزان وهدية

(37) (أن يدعون) هكذا في سائر النسخ ولا بد من التنبيه على أن كلمة (يخصي) صوابها يخصني وهو ما في الكتاني وديوزي.

(38) معنى (تابع) مكملات الخيمة وتوابعها - راحة يعني يستراح فيها (مرحاض) - حول كازرون ودلائنها في التجارة البحرية الصينية والهندية انظر II ١١٠ ١١١

شهاب الدين ونجا هو بنفسه، وكتب المخبرون إلى السلطان بذلك فأمر أن يعطي شهاب الدين من مجبي بلاد نهرواله (39) ثلاثين ألف دينار ويعود إلى بلاده، فعرض عليه ذلك، فأبى من قبوله، وقال : ما قصدي إلا رؤية السلطان وتقبيل الأرض بين يديه، فكتبوا إلى السلطان بذلك، فأعجبه قوله وأمر بوصوله إلى الحضرة مكرماً.

246/3

وصادف يوم دخوله على السلطان يوم دخولنا نحن عليه، فخلع علينا جميعاً وأمر بإنزالنا وأعطى شهاب الدين عطاءً جزيلاً، فلما كان بعد ذلك أمر بستة آلاف تنكه كما سنذكره، وسأل في ذلك اليوم عن شهاب الدين : أين هو ؟ فقال له بهاء الدين بن الفلكي : ياخوند عالم نميدانم ۞ معناه. ما ندري، ثم قال له : شنيديم، زحمت داره معناه سمعت أن به مرضاً، فقال له السلطان بروهمين زمان، دزخزانه يك لك تنكه، زريكري وبيش أوييري تادل أو خش شيود، معناه : إمش الساعة إلى الخزانة وخذ منها مائة ألف تنكه من الذهب واحملها إليه حتى يبقى خاطره طيباً، ففعل ذلك، فأعطاه إياها، وأمر السلطان أن يشتري بها ما أحب من السلع الهندية ولا يشتري أحد من الناس شيئاً حتى يتجهز هو، وأمر له بثلاثة مراكب مجهزة من آلاتها، ومن مرتب البحرية وزادهم ليسافر فيها، فسافر ونزل بجزيرة هرمز وبني بها داراً عظيمة، رايتها بعد ذلك.

247/3

ورأيت أيضاً شهاب الدين وقد فنى جميع ما كان عنده وهو بشيراز يستجدي سلطانها أبا اسحق ۞ وهكذا مال هذه البلاد الهندية ! قلما يخرج أحد به منها إلا النادر، وإذا خرج به ووصل إلى غيرها من البلاد بعث الله عليه آفة تفني ما بيده كمثل ما اتفق لشهاب الدين هذا فإنه أخذ له في الفتنة التي كانت بين ملك هرمز وابني أخيه جميع ما عنده وخرج سلباً من ماله !!

248/3

(39) نهرواله (Anhilwara) العاصمة القديمة للـججرات Gujarat فتحت من قبل علاء الدين خلجي عام 1297 = 696. وهي حالياً باطآن (Patan) بولاية (بجودا) (23° 57' شمالاً وخط 72° 10' شرقاً) وإلى نهرواله ينتسب قطب الدين صاحب كتاب البرق اليماني في الفتح العثماني الذي يعجبني من شعره :

لاتعجب الدهر في أمر رماك به
إن استردت فقدماً طالمًا وهباً !
حاسب زمانك في حالتي تصرّفه
تجده أعطاك أضعاف الذي سلباً !
ورأس مالك هو الروح قد سلمت
لا تأسفن لشئ بعدها ذهباً !!

وحول شهاب الدين وفتنة هرمز انظر II 236.

ذكر عطائه لشيخ الشيوخ ركن الدين

وكان السلطان قد بعث هدية إلى الخليفة بديار مصر أبي العباس، وطلب له أن يبعث له أمر التقدم على بلاد الهند والسند اعتقاداً منه في الخلافة (40) فبعث إليه الخليفة أبو العباس ما طلبه مع شيخ الشيوخ بديار مصر ركن الدين، فلما قدم عليه بالغ إكرامه وأعطاه عطاءً جزلاً، وكان يقوم له متى دخل عليه ويعظمه، ثم صرفه وأعطاه أموالاً طائلة

249/3

وفي جملة ما أعطاه جملة من صفائح الخيل ومساميرها، كل ذلك من الذهب الخاص، وقال له : إذا نزلت من البحر فأنزل أفراسك بها، فتوجه إلى كباية ليركب البحر منها إلى بلاد اليمن ف وقعت قضية خروج القاضي جلال الدين وأخذ مال ابن الكولي فأخذ أيضاً ما كان لشيخ الشيوخ، وفر بنفسه مع ابن الكولي إلى السلطان، فلما رآه السلطان قال له مما زحاً أمدي كزراً بري بادكري صتم خري زرتيري وسرتيني معناه جئت لتحمل الذهب تاكله مع الصور الحسان، فلا تحمل ذهباً، ورأسك تخليه هاهنا، قال له ذلك على معنى الانبساط، ثم قال له : اجمع خاطرك فيها أنا سائر إلى المخالفين، وأعطيك أضعاف ما أخذوه لك.

250/3

وبلغني بعد انفصالي عن بلاد الهند أنه وفى له بما وعده وأخلف له جميع ما ضاع منه وأنه وصل بذلك إلى ديار مصر

ذكر عطائه للواعظ الترمذي ناصر الدين

وكان هذا الفقيه الواعظ قدم على السلطان وأقام تحت إحسانه مدة عام ثم أحب الرجوع إلى وطنه فأتى له في ذلك، ولم يكن سمع كلامه ووعظه، فلما خرج السلطان يقصد بلاد المعبر (41) أحب سماعه قبل انصرافه فامر أن يُهَيَّأ له منبر من الصندل الأبيض

(40) لما شعر محمد بن تغلق بارتجاج الأرض من حواله بسبب الثورات المتوالية لعماله على الأقاليم، وكذلك بسبب الموقف العدائي الذي اتخذته العلماء إزاءه أخذ يبحث عن طريقة لتقوية سلطانه، وهكذا اتجه نحو مصر ليطالب تنصيبه من قبل الخليفة العباسي الذي أمسى مقيماً في مصر عند دولة المماليك

يلاحظ أن ابن بطوطة كان كسائر الكتاب المغاربة الآخرين من أمثال ابن خلدون يؤمن بأن الخلافة في مصر لا تقوم على أساس ! لذلك كان تعبيره هكذا : اعتقاداً منه !! هذا ويرسم البروفيسور كيب الكلمات الفارسية الواردة في المتن هكذا : Amadi Kazari Bari badigun Sanam KHARI Zama- bari Wasar ntu

حول الشيخ السفيّر، ركن الدين انظر 1- 369 : حول قضية سرّاد جلال الدين، انظر IV- 362-363

(41) كانت الحركة ضد مادورا (madura) عام 735 = 1335 على ما سيأتي III- 328.

251/3

المقاصري (42) وجعلت مساميره وصفائحه من الذهب وألصق بأعلاه حجر ياقوت عظيم، وخلع على ناصر الدين خلعةً عباسية سوداء (43) مذهبة مرصعة بالجواهر وعمامة مثلها ونصب له المنبر بداخل السراجة وهي أفراج، وقعد السلطان على سريريه والخواص عن يمينه ويساره وأخذ القضاة والفقهاء والأمراء مجالسهم، فخطب خطبةً بليغةً ووعظ وذكرًا، ولم يكن فيما فعله طائل ! لكن سعادته ساعدته ! فلما نزل عن المنبر قام السلطان إليه وعانقه وأركبه على فيل وأمر جميع من حضر أن يمشوا بين يديه، وكنت في جملتهم، إلى سراجة ضربت له مقابلة سراجة السلطان، جميعها من الحرير الملون وصيوانها من الحرير، وخبأوها أيضًا كذلك فجلس وجلسنا معه (44).

252/3

وكان بجانب من السراجة أواني الذهب التي أعطاه السلطان إياها، وذلك تتور كبير بحيث يسع في جوفه الرجل القاعد، وقدران اثنان وصحاف لا أنكر عددها، وجملة أكواز وركوة وتيميسيندة، ومائدة لها أربعة أرجل، ومحمل للكتب، كل ذلك من ذهب خالص، ورفع عماد الدين السمنائي (45) وتدين من أوتاد السراجة أحدهما نحاس والآخر مقصدر يوهم بذلك أنهما من ذهب وفضة، ولم يكونا إلا كما ذكرنا ! وقد كان أعطاه حين قدومه مائة ألف دينار دراهم ومئتين من العبيد سرح بعضهم وحمل بعضهم.

ذكر عطائه لعبد العزيز الأردولي.

253/3

وكان عبد العزيز هذا فقيها محدثًا قرأ بدمشق على تقي الدين بن تيمية وبرهان الدين بن البركج وجمال الدين المزي، وشمس الدين الذهبي (46) وغيرهم، ثم قدم على السلطان فأحسن إليه وأكرمه.

واتفق يوما أنه سرد عليه أحاديث في فضل العباس وابنه رضى الله عنهما، وشيئًا من مآثر الخلفاء أولادهما، فأعجب ذلك السلطان لحبه في بني العباس وقبل قدمي الفقيه

(42) المقاصري نسبة إلى ما كاصار (Macassar) في جزيرة (Celebres)

Gibb P. 675 N° 80

(43) السواد هو اللون الذي اتخذته الدولة العباسية شعارًا لها كما نعرف

(44) لمعرفة أكثر حول الموضوع تقدم - III ص 414-415.

(45) سنرى III، 276 نعت السمنائي هذا يملك الملوك.

(46) تقدم لابن بطوطة الحديث عن قصة الأردولي ببعض اختلاف III، 75-76 - حول الدراسة في دمشق انظر I، 215-216 وما يليهما - شمس الدين الذهبي، من عيون المؤرخين... توفي 3 ذي القعدة 748=1348 - الدرر الكامنة 3، 426-427.

وأمر أن يوتي بصينية ذهب فيها ألفا تنكه فصبها عليه بيده، وقال : هي لك مع الصينية، وقد ذكرنا هذه الحكاية فيما تقدم.

ذكر عطائه لشمس الدين الأندكاني

وكان الفقيه شمس الدين الأندكاني حكيماً شاعراً مطبوعاً فمدح السلطان بقصيدة باللسان الفارسي وكان عدد أبياتها سبعة وعشرين بيتاً فأعطاه لكل بيت منها ألف دينار دراهم وهذا أعظم مما يحكى عن المتقدمين الذين كانوا يعطون على بيت شعر ألف درهم وهو عشر عطاء السلطان !

254/

ذكر عطائه لعضد الدين الشونكاري

وكان عضد الدين فقيهاً إماماً فاضلاً كبير القدر عظيم الصيت شهير الذكر ببلاده، فبلغت السلطان أخباره وسمع بمآثره فبعث إليه إلى بلده شونكارة (47) عشرة آلاف دينار دراهم، ولم يره قط ولا وقد عليه.

ذكر عطائه للقاضي مجد الدين

ولما بلغه أيضاً خبر القاضي العالم الصالح ذي الكرامة الشهيرة مجد الدين قاضي شيراز الذي سطرنا أخباره في السفر الأول (48)، وسيمر بعض خبره بعد هذا أيضاً بعث إليه إلى مدينة شيراز صحبة الشيخ زاده الدمشقي عشرة آلاف دينار دراهم.

255/

ذكر عطائه لبرهان الدين الصاغري

وكان برهان الدين أحد الوُعَاضِ الأئمة، كثير الإيثار باذلاً لما يملكه حتى إنه كثيراً ما يأخذ الديون ويؤثر على الناس، فبلغ خبره إلى السلطان فبعث إليه أربعين ألف دينار، وطلب منه أن يصل إلى حضرته فقبل الدنانير وقضى دينه، وتوجه إلى بلاد الخطأ وأبى أن يصل

(47) شُونْكَارَة (Shabankara) منطقة صغيرة جنوب شرق إقليم فارس Fars سمي هكذا اعتباراً لقبيلة كردية تحمل هذا الاسم أقامت فيه في القرن السادس الهجري = الثاني عشر الميلادي.

(48) حول مجد الدين اسماعيل بن خُذَّاد هذا يراجع II 54 - صاغرج تقع على بعد 15 ميلاً شمال غرب سمرقند - حول الخطأ - انظر III 23.



وخصوا رأسه ويعداته إلى سليمان، عن المكتبة الوطنية باريس رقم 81. 97. 21

ذكر عطائه لحاجي كاؤن وحكايته

وكان حاجي كاؤن ابن عم السلطان أبي سعيد ملك العراق وكان أخوه موسى ملكاً ببعض بلاد العراق (50)، فوفد حاجي كاؤن على السلطان فأكرم مثواه وأعطاه العطاء الجزل، ورأيته يوماً وقد أتى الوزير خواجه جُهان بهديته وكان منها ثلاث صينيّات إحداها مملوءة يواقيت، والأخرى مملوءة زمرداً والأخرى مملوءة جوهراً، وكان حاجي كاؤن حاضراً فأعطاه من ذلك حظاً جزيلاً ثم إنه أعطاه أيضاً مالا عريضاً، ومضى يريد العراق فوجد أخاه قد توفي. وولى مكانه سليمان (51) خان، فطلب إرث أخيه وادّعى الملك وبإيعته العساكر وقصد بلاد فارس ونزل بمدينة شُونْكَارَة التي بها الإمام عضد الدين الذي تقدم ذكره آنفاً، فلما نزل بخارجها تأخر شيوخها عن الخروج إليه ساعة ثم خرجوا، فقال لهم : ما منعكم عن تعجيل الخروج إلى مبايعتنا، فاعتذروا له، فلم يقبل منهم، وقال لأهل سلاحه : قَلِج تَخَار معناه جردوا السيوف، فجردوها وضربوا أعناقهم، وكانوا جماعة كبيرة، فسمع من يجاور هذه المدينة من الأمراء بما فعله، فغضبوا لذلك وكتبوا إلى شمس الدين السَّمْنَانِي (52)، وهو من الأمراء الفقهاء الكبار فأعلموه بما جرى على أهل شُونْكَارَة، وطلبوا منه الإعانة على قتاله فتجرد في عساكره واجتمع أهل البلاد طالبين بشأ من قتله حاجي كاؤن من المشايخ، وضربوا على عسكره ليلاً فهزموه وكان هو بقصر المدينة (53)، فأحاطوا به فاخطفوا في بيت الطهارة فعثروا عليه وقطعوا رأسه وبعثوا به إلى سليمان خان وفرقوا أعضائه على البلاد تشفياً منه !

257/3

258/3

(49) يذكر هذا في هذين البيتين

قُلْ لِلْأَمِيرِ نَصِيحَةٌ لِأَتْرَكَنَّ إِلَى فَقِيهِ !
إِنَّ الْفَقِيهَ إِذَا أَتَى أَبْوَابَكُمْ لِأَخِيرِ فِيهِ !!

(50) موسى خان بن علي اعترُف به لمدة قصيرة كخلف للسلطان أبي سعيد، من لدن بعض الرؤساء بشمال العراق بيد أنه لم يلبث أن قتل من لدن الشيخ حسن في ذي الحجة 737 = يولييه 1337 لقب (كاؤن) لقب تشريفِي يعادل لقب (خان) بالتركية - يراجع III، 123.

(51) سليمان خان بن يوسف شاه أحد المنحدرين من أبقا. تزوج بالأميرة ساطي بك واستطاع أن يقاوم ضد الشيخ حسن في أذربيجان من عام 739 = 1339 إلى عام 744 = 1344 - II، 119.

(52) احتل شمس الدين مكانة هامة عند بعض المصادر التاريخية في الأحداث التي جرت بفارس Fars بيد أنها لم تردد صدى لمحاولة انقلاب حاجي كاؤن II، 88.

(53) من المحتمل أن يكون القصد إلى مدينة (IG) التي كانت عاصمة الناحية

ذكر قدوم ابن الخليفة عليه وأخباره

وكان الأمير غياث الدين محمد بن عبد القاهر بن يوسف بن عبد العزيز بن الخليفة المستنصر بالله العباسي البغدادي (54) قد وفد على السلطان علاء الدين طرُمُشِيرين ملك ما وراء النهر فأكرمه، وأعطاه الزاوية التي على قبر قُتْم بن العباس رضي الله عنهما (55)، واستوطن بها أعواماً، ثم لما سمع بمحبة السلطان في بني العباس وقيامه بدعوتهم أحب القدوم عليه، وبعث له برسولين، أحدهما صاحبه القديم محمد بن أبي الشَّرَفِي الحرباوي، والثاني محمد الهمداني الصوفي فقدموا على السلطان، وكان ناصر الدين الترمذي، الذي تقدم ذكره، قد لقي غياث الدين ببغداد وشهد لديه البغداديون بصحة نسبه، فشهد هو عند السلطان بذلك فلما وصل رسوله إلى السلطان أعطاهما خمسة آلاف دينار وبعث معهما ثلاثين ألف دينار إلى غياث الدين ليتزود بها إليه وكتب له كتاباً بخط يده يعظمه فيه ويسأل منه القدوم عليه.

259/3

فلما وصله الكتاب رحل إليه، فلما وصل إلى بلاد السند، وكتب المخبرون بقدومه بعث السلطان من يستقبله على العادة، ثم وصل إلى سُرُسْتِي بعث أيضاً لاستقباله صدر الجهان قاضي القضاة كمال الدين الغزنوي وجماعة من الفقهاء ثم بعث الأمراء لاستقباله فلما نزل بمسعود آباد خارج الحضرة خرج السلطان بنفسه لاستقباله فلما التقيا ترجل غياث الدين فترجل له السلطان وخدم، فخدم له السلطان، وكان قد استصحب هدية في جملتها ثياب، فأخذ السلطان أحد الآثواب وجعله على كتفه، وخدم كما يفعل الناس معه، ثم قدمت الخيل، فأخذ السلطان أحدها بيده وقدمه له، وحلف أن يركب وامسك بركابه حتى ركب ثم ركب السلطان وسايره والشطر يظلهما معاً. وأخذ التنبول بيده وأعطاه إياه، وهذا أعظم ما أكرمه به، فإنه لا يفعله مع واحد، وقال له : لولا أنني بايعت الخليفة أبا العباس (55) لبايعتك

260/3

فقال له غياث الدين وأنا أيضاً على تلك البيعة، وقال له غياث الدين : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليمًا : من أحيى أرضاً مواتاً فهي له، وأنت أحييتنا، فجاوبه السلطان بالطف جواب وأبره.

261/3

(54) كان وصول هذا الأمير إلى الهند - على ما يحتمل - عام 740 = 1340 - 1341 وربما كان ذلك يتزامن مع مصلحة أحمد بن تغلق كانت تقتضي هذه الزيارة ... بالرغم مما نعلمه سلفاً عن مدى قوة هذه «الخلافة» التي استقرت بمصر (تعليق 40) ... K.A. NIZAMI : SAFIR-ENCY.ISLAM. N.E

(55) حول قبر قُتْم بن العباس خارج سمر قند - انظر III 52 - حول الحديث عن مدينة مسعود آباد - انظر III 143 - حول تاريخ هذا الحدث الذي يتصل بالتاريخ الدولي للأمة الإسلامية فإنه يصعب تحديده لأن السلطان محمد ضرب عملة باسم الخليفة في مصر المستنصرية بالله في عام 741 إلى 743 بالرغم من أن هذا كان توفي عام 741 ! ولا يوجد ما يثبت صلة السلطان بالخليفة الحاكم الثاني أبي العباس إلى أن وصل التقليد - الخلعة والمرسوم (1) 363-364 عندما كان السلطان غياث يقيم فعلاً في دلهي - انظر عن المستنصري بالله وخلفه «المستنصري بالله» بدائع الزهور لابن إياس ص 474

ولما وصلا إلى السراجة المعدة لنزول السلطان أنزله فيها، وضربت لسلطان عنقه.
وباتا تلك الليلة بخارج الحضرة، فلما كان بالغد دخلا إلى دار الملك وأمره بالخدمة المعروفة
بسييري، ودار الخلافة أيضا في القصر الذي بناه علاء الدين الخلجي وأبوه قطب الدين.
وأمر السلطان جميع الأمراء أن يمضوا معه إليه وأعد له فيه جميع ما يحتاج إليه من أواني
الذهب والفضة حتى كان من جمعتها متكتسل بكتسل فيه من ذهب، وبعث له أربعمائة ألف
دينار غسل الرأس على العادة، وبعث له جملة من الفتيان والخدم والجواري، وعين له من
نفقته في كل يوم ثلاثمائة دينار، وبعث له زيادة إليها عددا من المواد بالطعام الخاص،
وأعطاه جميع مدينة سييري إقطاعا وجميع ما احتوت عليه من الدور وما يتصل بها من
بساتين المخزن وأرضه وأعطاه مائة قرية وأعطاه حكم البلاد الشرقية المضافة لدهلي وأعطاه
ثلاثين بغلة بالسروج المذهبة ويكون علفها من المخزن، وأمره أن لا ينزل عن دابته إذا أتى دار
السلطان إلا في موضع خاص لا يدخله أحد سواي السلطان وأمر الناس جميعا من
كبير وصغير أن يخدموا له كما يخدمون للسلطان

262/3

وإذا دخل على السلطان ينزل له عن سريره، وبين كان على الكرسي قائما وخدم
كل واحد منهم لصاحبه، ويجلس مع السلطان على بساط واحد، وإذا قام قام السلطان
لقيامه وخدم كل واحد منهما، وإذا انصرف إلى خارج المجلس جعل له بساط يقعد عليه ما
شاء، ثم ينصرف. يفعل هذا مرتين في اليوم

263/3

حكاية من تعظيمه إياه

وفي آثنا، مقامه بدلهى قدم الوزير من بلاد بنجالة فأمير السلطان كبار الأمراء أن
يخرجوا إلى استقباله ثم خرج بنفسه إلى استقباله وعظمه تعظيما كثيرا وصنعت القباب
بالمدينة كما تصنع للسلطان إذا قدم وخرج ابن الخليفة للقائه أيضا والفقيه والقضاة
والأعيان، فلما عاد السلطان لقصره قال للوزير امض إلى دار الخدم زاده، وبذلك
يدعوه، ومعنى ذلك ابن المخدم، فسار الوزير إليه، وأهدى له ألفي تنكة من الذهب وأثوابا
كثيرة وحضر الأمير قبولة وغيره من كبار الأمراء وحضرت أنا لذلك

264/3

حكاية نحوها [عن لطف السلطان وكرمه]

وفد على السلطان ملك غزنة المسمى بهرام (561) وكان بينه وبين ابن الخليفة عداوة

(561) حول سييري كدار خلافة انظر III 116. وحول عادة غسل الرأس تراجع III 116. 117. لم يعرف شيء عن بهرام هذا، نظرا لكون غزنة كانت تابعة لهرات فإن ملكها، على ما يبدو، كان واليا من قبل معز الدين حسين

قديمة فأمر السلطان بإنزاله ببعض دور مدينة سيرري التي لابن الخليفة، وأمر أن تُبنى له بها دار، فبلغ ذلك ابن الخليفة فغضب منه ومضى إلى دار السلطان فجلس على البساط إلى عاداته الجلوس عليه، وبعث عن الوزير فقال له : سلم على خوند عالم، وقل له إن جميع ما أعطانيه هو بمنزلي لم أتصرف في شيء منه بل زاد عندي ونما وأنا أقيم معكم، وقام وانصرف!

265/3

فسأل الوزير بعض أصحابه عن سبب هذا، فأعلمه أن سببه أمر السلطان ببناء الدار لملك غزنة في مدينة سيرري، فدخل الوزير على السلطان فأعلمه بذلك فركب من حينه في عشرة من ناسه وأتى منزل ابن الخليفة فاستأذن عليه ونزل عن فرسه خارج القصر حيث ينزل الناس فلتقاه واعتذر له، فقبل عذره. وقال له السلطان : والله ما أعلم أنك راض عني حتى تضع قدمك على عنقي! فقال له : هذا ما لا أفعله ولو قتلت، فقال له السلطان وحق رأسي لا بد لك من ذلك ! ثم وضع رأسه في الأرض وأخذ الملك الكبير قبولة رجُل ابن الخليفة بيده فوضعتها على عنق السلطان ثم قام وقال : الآن علمت أنك راض عني وطاب قلبي!

266/3

وهذه حكاية غريبة لم يُسمع بمثلها عن ملك، ولقد حضرته يوم عيد وقد جاءه الملك الكبير بثلاث خلع من عند السلطان مفرجة، قد جعل مكان عُقد الحرير التي تغلق بها حبات جوهر في قدر البندق الكبير، وأقام الملك الكبير بيابه حتى نزل من قصره، فكساه إياها والذي أعطاه هو ما لا يحصره العد ولا يحيط به الحد، وابن الخليفة مع ذلك كلّه أبخل خلق الله تعالى ! وله في البخل أخبار عجيبة يعجب منها سامعها وكأنه كان من البخل بمنزلة السلطان من الكرم ولُنذكر بعض أخباره في ذلك .

267/3

حكايات من بخل ابن الخليفة

وكانت بيني وبينه مودة، وكنت كثير التردد إلى منزله، وعنده تركت ولدًا لي سميته أحمد لما سافرت، ولا أدري ما فعل الله به (57)، فقلت له يومًا : لم تأكل وحدك ولا تجمع أصحابك على الطعام ؟ فقال لي : لا أستطيع أن أنظر إليهم على كثرتهم وهم ياكلون طعامي ! فكان يأكل وحده ويعطي صاحبه محمد بن أبي الشرفي من الطعام لمن أحب ويتصرف في باقيه !!

(57) حسب النسخ التي اعتمدها يوجد (به) ويعتمد الناشران الفرنسيان على النسخة رقم 2291 وفيها (بهما) ... وعلى كل فإن هذا الكلام يدل على أن ابن بطوطة ترك ولدًا يحمل اسم أحمد عند هذا الأمير العباسي ... فماذا عن مصير أحمد وعقبه في تلك الجهات؟

وكننت أتردد إليه فأرى دهليز قصره الذي يسكن به مظلمًا لا سراج به. ورأيت مرارًا يجمع الاعواد الصغار من الحطب بداخل بستانه، وقد ملأ منها مخازن، فكلمته في ذلك. فقال لي : يُحتاج إليها.

وكان يُخبر أصحابه ومماليكه وفتيانه في خدمة البستان وبنائه ويقول : لا أرضى أن ياكلوا طعامي وهم لا يخدمون. وكان عليّ مرة دين، فطلبت به فقال لي في بعض الأيام : والله قد هممت أن أؤدى عنك دينك فلم تسمح نفسي بذلك ولا ساعدتني عليه !!

268/3

حكاية [عن شحه]

حدثني مرة قال : خرجت من بغداد وأنا رابع أربعة : أحدهم محمد بن أبي الشرفي - الحنبلية، ونحن على أقدامنا ولا زاد عندنا، فنزلنا على عين ماء ببعض القرى فوجد أحدنا في العين درهما، فقلنا : وما نصنع بدرهم ؟ فاتفقنا على أن نشترى به خبزًا فبعثنا أحدنا لشرائه، فأبى الخبز بتلك القرية أن يبيع الخبز. وحده وإنما يبيع خبزًا بغيرا وبتنا بغيرا، فاشتري منه الخبز والتبن فطرحنا التبن إذ لا دابة لنا تأكله، وقسمنا الخبز لقمة لقمة! وقد انتهى حالي اليوم إلى ما تراه، فقلت له : ينبغي أن تحمد الله على ما أولاك وتؤثر على الفقراء والمساكين وتتصدق، فقال : لا أستطيع ذلك! ولم أره قط يجود بشيء، ولا يفعل معروفًا، ونعوذ بالله من الشح!

269/3

حكاية

كنت يوما ببغداد بعد عودتي من بلاد الهند وأنا قاعد على باب المدرسة المستنصرية التي بناها جده أمير المؤمنين المستنصر (58)، رضي الله عنه، فرأيت شابًا ضعيف الحال يشد خلف رجل خارج عن المدرسة، فقال لي بعض الطلبة : هذا الشاب الذي تراه هو ابن الأمير محمد حفيد الخليفة المستنصر الذي ببلاد الهند، فدعوتُه، فقلت له، إني قدمت من بلاد الهند وأني أعرفك بخير أبيك !!

270/3

فقال : قد جاعني خبره في هذه الأيام، ومضى يشد خلف الرجل، فسالت عن الرجل فقيل لي : هو الناظر في الحبس، وهذا الشاب هو إمام ببعض المساجد، وله على ذلك أجرة درهم واحد في اليوم، وهو يطلب أجرته من الرجل، فطال عجبني منه، والله لو بعث إليه جوهرة من الجواهر التي في الخلع الواصلة إليه من السلطان لأغناها بها، ونعوذ بالله من مثل هذه الحال.

271/3

ذكر ما أعطاه السلطان للأمير سيف الدين غدا بن هبة الله بن مهني أمير عرب الشام.

ولما قدم هذا الأمير (59) على السلطان أكرم مثواه وأنزله بقصر السلطان جلال الدين داخل مدينة دهلي، ويعرف بكشك لعل، ومعناه القصر الأحمر، وهو قصر عظيم فيه مشور كبير جداً ودهليز هائل، على بابه قبة (60) تشرف على هذا المشور، وعلى المشور الثاني الذي يدخل منه إلى القصر، وكان السلطان جلال الدين يقعد بها وتلعب الكرة بين يديه في هذا المشور، وقد دخلت هذا القصر عند نزوله به فرأيت مملوًا أثاثاً وفرشاً وبسطاً وغيرها، وذلك كله متمزق، لا منتفع فيه، فإن عادتهم بالهند أن يتركوا قصر السلطان إذا مات بجميع ما فيه لا يعرضون له ويبني المتولي بعده قصرًا لنفسه، ولما دخلته طفت به وصعدت إلى أعلاه، فكانت لي فيه عيرة نشأت عنها عيرة وكان معي الفقيه الطيب الأديب جمال الدين المغربي الغرناطي الأصل البجاني المولد، مستوطن بلاد الهند قدمها مع أبيه، وله بها أولاد، فانشدني عند ما عايناه،

272/3

سلاطينهم سل الطين عنهم فالرووس العظام صارت عظاماً! (61)

وبهذا القصر كانت وليمة عرسه كما نذكره، وكان السلطان شديد المحبة في العرب مؤثراً لهم معترفاً بفضائلهم فلما وصله الأمير أجزل له العطاء وأحسن إليه إحساناً عظيماً، وأعطاه مرة، وقد قدمت عليه، هدية أعظم ملك الباييزيدي (62) من بلاد مانجكور أحد عشر فرساً من عتاق الخيل وأعطاه مرة أخرى عشرة من الخيل مسرجة بالسروج المذهبة عليها اللجم المذهبة ثم زوجه بعد ذلك بأخته فيروز خونده.

273/3

ذكر تزوج الأمير سيف الدين بأخت السلطان

ولما أمر السلطان بتزويج أخته للأمير غدا عين للقيام بشأن الوليمة ونفقاتها الملك فتح

(59) ورد اسم غدا (I, 361-362) - التعليق 197 كما ورد 155.III وكما قلنا لم نجد أثراً لذكر هذا الأمير العربي في غير رحلة ابن بطوطة ولعل اللفظ غدا اختصار لغوذة التي لها في المشرق دلالتها - د مصطفى الحباري الإمارة الطانية في بلاد الشام، عمان وزارة الشباب 1977 ص 71 - أحمد وصفي زكريا، عشائر الشام - معرض الكتاب بالقاهرة 1995

(60) يراجع الجزء II، 180.

(61) ينبغي أن نقف قليلاً مع هذا البيت بما يحتويه من تلاعب جميل بالكلمات مرتين حيث جمع بين (سلاطين) وهم الملوك وبين (سل الطين) يعني إسالة أي الصلصال، والطفل والوحل، ثم جمع بين (العظام) جمع عظيم وبين (العظام) جمع عظم

(62) سيذكر الباييزيدي (III, 366-367) منعوتاً بمصاهرته للسلطان - مانجكور تقدمت III, 181.

الله المعروف بشنُونُيس، بشين معجم مفتوح وواوين أولهما مسكن والآخر مسكور بينهما نون وأخره سين مهمل، وعيّنني للامزمة الأمير غَدًا والكون معه في تلك الأيام، فاتى الملك فتح الله بالصيوانات فظلل بها المشورين بالقصر الأحمر المذكور، وضرب في كل واحد منهما قبة ضخمة جدا وفرش ذلك بالفرش الحسان، وأتى شمس الدين التبريزي أمير المطربين ومعه الرجال المغنون والنساء المغنيات والرواقص وكلهن ممالك السلطان، وأحضر الطبّاخين والخبازين والشوائين والخلّوانيين والشُرْبدارية والتنبول داران، وزبحت الأنعام والطيور، وأقاموا يطعمون الناس خمسة عشر يوماً ويحضر الأمراء الكبار والأعزة ليلاً ونهاراً.

274/3

فلما كان قبل ليلة الزفاف بليتين جاء الخواتين من دار السلطان ليلاً إلى هذا القصر فزينه وفرّشنه بأحسن الفرش واستحضرن الأمير سيف الدين وكان عريباً غريباً لا قرابة له فحققن به، وأجلسنه على مرتبة معينة له، وكان السلطان قد أمر أن تكون ربيبتة أم أخيه مبارك خان مقام أم الأمير غدا، وأن تكون امرأة أخرى من الخواتين مقام أخته وأخرى مقام عمته وأخرى مقام خالته حتى يكون كأنه بين أهله (63) !!

275/3

ولما أجلسنه على المرتبة جعلن له الحناء في يديه ورجليه (64)، وقام باقيهن على رأسه يغنين ويرقصن، وانصرفن إلى قصر الزفاف وأقام هو مع خواص أصحابه، وعين السلطان جماعة من الأمراء يكونون من جهته وجماعة يكونون من جهة الزوجة، وعادتهم أن تقف الجماعة التي من جهة الزوجة على باب الموضع الذي تكون به جلّوثها على زوجها، ويأتي الزوج بجماعته فلا يدخلون إلا إن غلبوا أصحاب الزوجة أو يعطونهم الآلاف من الدنانير إن لم يقدروا عليهم !!

ولما كان بعد المغرب أتى إليه بخلعة حرير زرقاء مزركشة مرصعة قد غلبت الجواهر عليها فلا يظهر لونها مما عليها من الجواهر، وبشاشية مثل ذلك، ولم أر قط مثل ذلك، ولم

276/3

(63) شنُونُيس - (Shaw - Nawvis) بالفارسية تعني كاتب عقد الزواج، العدل أو المانزون، هذا ونرى أن من أطرف التقاليد التي عرفتها المنطقة على ذلك العهد فيما يتصل بمجاملة (الغريب)، ما نراه هنا نموذجاً لتطبيق الفكرة حيث «يخلق» للأعزة أهل له حتى لا يشعر بالغربة. وقد عشت أثناء ممارستي للعمل الدبلوماسي مع حالات ذكرتني بهذه العادات عندما يطرأ سفير غريب على البلاد المعتمد فيها فنجد نوعاً من هذا «التناخي» للأقارب والأحباب.

(64) ممارسة الحناء معروفة على العموم للنساء أكثر مما هي معروفة عند الرجال ومن المهم أن نلاحظ انتشار هذه العادة في العالم الإسلامي كله حتى لا عبّرت الحناء، الركيزة الأساس في تقاليد الأعراس، وللمغاربة تاريخ طويل مع هذا الثبات، فهم يفرسونه في الأقاليم الجنوبية، ولهم في كل مدينة سوق خاص بها... وهناك مهنة «الحنّائيات» اللاتي ينقشن الحناء على أطراف المحتفى بها... د. التّازي - أعراس فاس، مطبعة فضالة 1961 ص 13-7 - جريدة الشرق الأوسط عدد 9-8 - 11 شتنبر 1994.

أَرَقَطْ خَلْعَةً أَجْمَلَ مِنْ هَذِهِ الْخَلْعَةِ، وَقَدْ رَأَيْتُ مَا خَلَعَهُ السُّلْطَانُ عَلَى سَائِرِ أَصْحَابِهِ مِثْلَ ابْنِ مَلِكِ الْمُلُوكِ عِمَادِ الدِّينِ السَّمْنَانِيِّ، وَابْنِ مَلِكِ الْعُلَمَاءِ وَابْنِ شَيْخِ الْإِسْلَامِ وَابْنَ صَدْرِ جَهَانَ الْبُخَارِيِّ، فَلَمْ يَكُنْ فِيهَا مِثْلَ هَذِهِ.

ثُمَّ رَكِبَ الْأَمِيرُ سَيْفَ الدِّينِ فِي أَصْحَابِهِ وَعَبِيدِهِ، وَفِي يَدِ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ عَصَى قَدْ أَعَدَّهَا، وَصَنَعُوا شَبَهَ إِكْلِيلٍ مِنَ الْيَاسَمِينِ وَالنَّسْرِينِ وَرِيْبُولٍ (65)، وَلَهُ رُقُرُقٌ (66) يَغْطِي وَجْهَ الْمُتَكَلِّلِ بِهِ وَصَدْرَهُ، وَأَتَوْا بِهِ الْأَمِيرَ لِيَجْعَلَهُ عَلَى رَأْسِهِ، فَأَبَى مِنْ ذَلِكَ، وَكَانَ مِنْ عَرَبِ الْبَادِيَةِ، لَا عَهْدَ لَهُ بِأُمُورِ الْمَلِكِ وَالْحَضَرِ! فَحَاوَلَتْهُ وَحَلَفَتْ عَلَيْهِ - حَتَّى جَعَلَهُ عَلَى رَأْسِهِ وَأَتَى بَابَ الصَّرْفِ وَيُسَمُّونَهُ بَابَ الْحَرَمِ (67)، وَعَلَيْهِ جَمَاعَةُ الزَّوْجَةِ فَحَمَلُ عَلَيْهِمْ بِأَصْحَابِهِ حِمْلَةً عَرَبِيَّةً وَصَرَعُوا كُلَّ مَنْ عَارَضَهُمْ فَغَلَبُوا عَلَيْهِمْ، وَلَمْ يَكُنْ لَجَمَاعَةِ الزَّوْجَةِ مِنْ ثَبَاتٍ! وَبَلَغَ ذَلِكَ السُّلْطَانُ فَاعْجَبَهُ فَعَلَهُ، وَدَخَلَ إِلَى الْمَشُورِ وَقَدْ جَعَلَتْ الْعُرُوسُ فَوْقَ مَنْبَرٍ عَالٍ مَزِينٍ بِالْذِيْبَاجِ مَرْصَعٍ بِالْجَوْهَرِ وَالْمَشُورِ مَلَانٍ بِالنِّسَاءِ وَالْمَطْرِبَاتِ قَدْ أَحْضَرْنَ أَنْوَاعَ الْأَلَاتِ الْمَطْرِبَةِ وَكُلْهِنَّ وَقُوفٌ عَلَى قَدَمِ إِجْلَالٍ لَهُ وَتَعْظِيمًا، فَدَخَلَ بِفَرَسِهِ حَتَّى قَرَبَ مِنَ الْمَنْبَرِ فَنَزَلَ وَخَدَّمَ عِنْدَ أَوَّلِ دَرَجَةٍ مِنْهُ، وَقَامَتِ الْعُرُوسُ قَائِمَةً حَتَّى صَعِدَ فَأَعْطَتْهُ التَّنْبُولَ بِيَدِهَا فَأَخَذَهُ وَجَلَسَ تَحْتَ الدَّرَجَةِ الَّتِي وَقَفَتْ بِهَا. وَنُثِرَتْ دَنَانِيرُ الذَّهَبِ عَلَى رُؤُوسِ الْحَاضِرِينَ مِنْ أَصْحَابِهِ، وَلَقَطَتْهَا النِّسَاءُ وَالْمَغْنِيَّاتُ يَغْنِينَ حِينَئِذٍ، وَالْأَطْبَالُ وَالْأَبْوَاقُ وَالْأَنْفَارُ تَضْرِبُ خَارِجَ الْبَابِ.

ثُمَّ قَامَ الْأَمِيرُ وَأَخَذَ بِيَدِ زَوْجَتِهِ وَنَزَلَ وَهِيَ تَتْبَعُهُ، فَرَكِبَ فَرَسَهُ يَطَأُ بِهِ الْفَرَشَ وَالْبَسْطَ، وَنُثِرَتْ (68) الدَّنَانِيرُ عَلَيْهِ وَعَلَى أَصْحَابِهِ، وَجُعِلَتْ الْعُرُوسُ فِي مُحَفَةٍ وَحَمَلَهَا الْعَبِيدُ عَلَى أَعْنَاقِهِمْ إِلَى قَصْرِهِ، وَالْخَوَاتِينَ بَيْنَ يَدَيْهَا رَاكِبَاتٌ وَغَيْرُهُنَّ مِنَ النِّسَاءِ مَاشِيَّاتٍ، وَإِذَا مَرَّوْا بِدَارِ أَمِيرٍ أَوْ كَبِيرٍ خَرَجَ إِلَيْهِمْ وَنُثِرَ عَلَيْهِمُ الدَّنَانِيرُ وَالْدِرَاهِمُ عَلَى قَدَرِ هِمَّتِهِ حَتَّى أَوْصَلُوها إِلَى قَصْرِهَا.

(65) عَنْ السَّمْنَانِيِّ يَرَاجِعُ III. 252. وَعَنْ الْبُخَارِيِّ III. 54. وَعَنْ الرِّيْبُولِ اعْتَقَدَ أَنَّهَا الْفُلُّ - انْظُرُ III. 150.

(66) تَلَاظَحَ قُوَّةُ ذَاكِرَةِ الرِّجَالِ الَّتِي لَمْ يَنْسَ مِثْلَ هَذِهِ الدَّقَائِقِ الَّتِي يَنْسَاهَا الْمَرْءُ عَادَةً ... وَيَنْبَغِي الْوُقُوفُ مَعَ الْمَفْرَدِ الْحَضَارِيِّ الَّتِي ذَكَرَهُ فَعَلَاوَةٌ عَلَى الْإِكْلِيلِ مِنَ الزَّهْوَرِ الْمُتَنَوِّعَةِ هُنَاكَ (الرُّفْرُفُ) أَيْ الْحِجَابِ الشَّفَافِ الَّتِي يَغْطِي بِهَا وَجْهَ الْعُرُوسِ أَوْ الْعَرِيسِ إِمْعَانًا فِي لَفْتِ الْأَنْظَارِ إِلَيْهَا أَوْ إِلَيْهِ! وَتِلْكَ كُلُّهَا كَمَا قَرَأْنَا عَادَاتٍ كَانَتْ سَائِدَةً فِي الْهِنْدِ.

(67) بَابُ الْحَرَمِ يُؤَدِّي إِلَى مَنْطِقَةٍ مَعزُولَةٍ عَنِ بَاقِيِ النَّاسِ خَاصَّةً بِالْحَرِيمِ.

(68) نَثَارَ أَوْ نَثَرَ الدِّرَاهِمُ عَلَى الْعَرِيسِ عَادَةً مَعْرُوفَةٌ، وَتُسَمَّى فِي الْمَغْرِبِ (الْغَرَامَةُ)! يُقَالُ مِثْلًا: أَصْدَقَاءُ الْعَرِيسِ يَغْرَمُونَ عَلَيْهِ: يَنْثَرُونَهُ بِالْذَّنَانِيرِ وَالْأَوْرَاقِ النَّقْدِيَّةِ، وَيَسْتَقْرِئُ الْمَرْءَ لِهَذِهِ الْعَادَاتِ الَّتِي تَتَشَابَهُ مَعَ عَادَاتِ بَعْضِ الْجِهَاتِ الْإِسْلَامِيَّةِ، عَادَاتٍ تَقْصِدُ إِلَى مَسَاعِدَةِ الْعَرِيسِينَ فِي بَدَايَةِ حَيَاتِهِمَا الزَّوْجِيَّةِ.

ولما كان بالغد بعثت العروس إلى جميع أصحاب زوجها الثياب والدنانير والدراهم، وأعطى السلطان لكل واحد منهم فرساً مُسرجاً ملجماً وبُدرة دراهم من ألف دينار إلى مائتي دينار، وأعطى الملك فتح الله للخواتين ثياب الحرير المنوعة والبدر، وكذلك لأهل الطرب، وعادتهم ببلاد الهند أن لا يعطي أحد شئنا لأهل الطرب، إنما يعطيهم صاحب العرس، وأطعم الناس جميعاً ذلك اليوم، وانقضى العرس، وأمر السلطان أن يعطي الأمير غداً بلاد المألوة والجُزرات وكنبائية ونهرؤالة (69)، وجعل فتح الله المذكور نائباً عنه عليها، وعظمه تعظيماً شديداً، وكان عربياً جافياً، فلم يقدّر ذلك وغلب عليه جفاء البادية فآذاه ذلك إلى النكبة بعد عشرين ليلة من زفافه¹

279/3

ذكر سجن الأمير غدا

ولما كان بعد عشرين يوماً من زفافه اتفق أنه وصل إلى دار السلطان فأراد الدخول فمنعه أمير البرد داريّه (70)، وهم الخواص من البوابين، فلم يسمع منه وأراد التقم فامسك البواب بدبوقته، وهي الضفيرة، وردّه، فضربه الأمير بعصى كانت هنالك حتى أدماه

280/3

وكان هذا المضروب من كبار الأمراء يُعرف أبوه بقاضي غزنة، وهو من ذرية السلطان محمود بن سبكتكين، والسلطان يخاطبه بالأب ويخاطب ابنه هذا بالأخ، فدخل على السلطان والدم على ثيابه، فأخبره بما صنع الأمير غداً ففكر السلطان هنيهة، ثم قال له: القاضي يفصل بينكما، وتلك جريمة لا يغفرها السلطان لأحد من ناسه، ولا بد من الموت عليها، وإنما احتملته لغرْبته!!

وكان القاضي كمال الدين بالمشور، فأمر السلطان الملك تترأن (71) يقف معهما عند القاضي، وكان تتر حاجاً مجاوراً يحسن العربية، فحضر معهما، وقال للأمير: أنت ضربته أو قل لا! قصد أن يعلمه الحجة، وكان سيف الدين جاهلاً مغترّاً، فقال: نعم أنا ضربته، وأتى والد المضروب فرام الإصلاح بينهما، فلم يقبل سيف الدين، فأمر القاضي

281/3

(69) حول مألوة انظر III، 245 - حول كنبائية I، 364-367، II، 177-244 III - نهرؤالة III، 246 ..

(70) يبدو أن العبارة فارسية الأصل باردا دار Parda - dar وتعني حارس الأبواب الداخلية. بيد أن هذا التفسير لا يتناسب مع الحال هنا، فإن عبارة (خواص) تعني - كما نعرف - صنفًا خاصًا من الموظفين الكبار ويمكن أن يكون هناك خلط وقع في رسم الكلمة أو التباس في التعبير مع لفظ آخر مقارب وهو بارؤاد (Bardad) بالبدال عوض الرأء يعني الضابط المسموح له وحده بأن يكون صلة الوصل لدى السلطان.

(71) الملك تترخان هو إسم آخر لبهرام خان الذي سُمي خطاً إبراهيم يراجع III ص 230 ثم 317

بسجنه تلك الليلة، فوالله ما بعثت له زوجته فراشاً ينام عليه، ولا سألت عنه خوفاً من السلطان، وخاف أصحابه فودعوا أموالهم !

وأردتُ زيارته بالسجن، فلقيني بعض الأمراء وفهم عني أنني أريد زيارته، فقال لي :
أونسيت^٤ وذكرني بقضية اتفقت لي في زيارة الشيخ شهاب الدين ابن شيخ الجام، وكيف
أراد السلطان قتلي على ذلك حسبما يقع ذكره (72) فرجعت ولم أزوره ! وتخلص الأمير غذا
عند الظهر من سجنه، فأنظر السلطان إهماله، وأضرب عما كان أمر له بولايته وأراد نفيه !

282/3

وكان للسلطان صهر يسمى بمُعِيث ابن ملك الملوك (72)، وكانت أخت السلطان تشكوه
لأخيها إلى أن ماتت، فذكر جواربها أنها ماتت بسبب قهره لها، وكان في نسبه مَعْمَر، فكتب
السلطان بخطه : يُجلى اللقيط، يعني، ثم كتب : ويُجلى موش خوار، معناه : أكل الفئران !
يعني بذلك الأمير غذا، لأن عرب البادية يتكلمون باليربوع وهو شبه الفأر (73) ! وأمر
بإخراجهما، فجاءه النقيب ليُخرجوه، فأراد دخول داره ووداع أهله، فترادف النقيب في
طلبه، فخرج باكياً !

283/3

وتوجهت حين ذلك إلى دار السلطان فبت بها فسألني عن مبيتي بعض الأمراء، فقلت له
جئت لأتكلّم في الأمير سيف الدين حتى يرد ولا ينفي، فقال لا يكون ذلك، فقلت له : والله
لا يبيتُ بدار السلطان ولو بلغ مبيتي مائة ليلة حتى يُرد، فبلغ ذلك السلطان فامر برده وأمره
أن يكون في خدمة الأمير ملك قبولة الأهوري، فاقام أربعة أعوام في خدمته يركب لركوبه
ويسافر لسفره حتى تادّب وتهذب ! ثم أعاده السلطان إلى ما كان عليه أولاً وأقطعه البلاد
وقدمه على العساكر ورفع قدره .

284/3

ذكر تزويج السلطان بنتي وزيره لابني خذأوند زاده، قوام الدين الذي قدم معنا عليه.

ولما قدم خذأوند زاده أعطاه السلطان عطاءً جزلاً وأحسن إليه إحساناً عظيماً وبالح
في إكرامه (74) ثم زوج ولديه من بنتي الوزير خواجه جهان، وكان الوزير إذ ذاك غائباً فأتى

(72) سنعرف عن المأساة الفظيعة التي عاشها شهاب الدين III 293، 394

(73) مثل هذا النوع من الشتيمة، يوجد في الأصول الفارسية «بلغ الأمر بالعربي من شرب لبن الإبل وأكل الضَّبَاب إلى الطموج إلى تاجنا ...» الشاهنامة، نظمها بالفارسية أبو القاسم الفردوسي وترجمها الفتح البنداري، وراجعها د. عبد الوهاب عزام، أعيد طبعها بالأوقست في طهران 1970، ص 89

(74) حول خذأوند زاده يراجع III 48 - ويظهر من خلال الرحلة أن العادة كانت عندهم جارية على أن يقرأ نص عقد الزواج أمام الحاضرين على نحو ما جرى به العرف عند بعض الأسر في المغرب حيث يذكر نسب الزوج والزوجة وتذكر بعض التفاصيل عن المهر الذي يعرض أمام الحاضرين

السلطان إلى داره ليلا وحضر عقد النكاح كأنه نائب عن الوزير، ووقف حتى قرأ القاضي القضاة الصداق، والقضاة والأمراء والمشائخ قعود، وأخذ السلطان بيده الأثواب والبدر فجعلها بين يدي القاضي وولدى خذاوند زاده، وقام الأمراء وأبوه أن يجعل السلطان ذلك بين أيديهم بنفسه فامرهم بالجلوس وأمر بعض كبار الأمراء أن يقوم مقامه وانصرف

285/3

حكاية في تواضع السلطان وإنصافه

ادعى عليه رجل من كبار الهنود أنه قتل أخاه من غير موجب ودعاه إلى القاضي فسلم وخدم، وكان قد أمر القاضي قبل ذلك أنه إذا جاءه إلى مجلسه فلا يقوم ولا يتحرك، فصعد إلى المجلس ووقف بين يدي القاضي فحكم عليه أن يرضى خصمه عن دم أخيه فأرضاه.

حكاية مثلها

وادعى على السلطان مرة رجل من المسلمين أن له قبلة حقا ماليا فتخاصما في ذلك عند القاضي، فتوجه الحكم على السلطان بإعطاء المال فاعطاه .

286/3

حكاية مثلها

وادعى عليه صبي من أبناء الملوك أنه قد ضربه من غير موجب ورفع إلى القاضي فتوجه الحكم عليه بأن يرضيه بالمال إن قبل ذلك وإلا أمكنه من القصاص، فشاهدته يومئذ وقد عاد لمجلسه واستحضر الصبي وأعطاه عصا، وقال له، وحق رأسي لتضربني كما ضربتك ! فأخذ الصبي العصا وضربه بها إحدى وعشرين ضربة حتى رأيت الكلا قد طارت عن رأسه !!

ذكر اشتداده في إقامة الصلاة

وكان السلطان شديداً في إقامة الصلوات أمراً بملازمتها في الجماعات يعاقب على تركها أشد العقاب، ولقد قتل في يوم واحد تسعة نفر على تركها || كان أحدهم مُفنياً، وكان يبعث الرجال الموكلين بذلك إلى الأسواق فمن وجد بها عند إقامة الصلاة عوقب، حتى انتهى إلى عقاب الستائريين (75) الذين يمسون دواب الخدام على باب المشور، إذا ضيعوا

287/3

(75) ربما كانت كلمة الستائريين آتية من (ستارة)، ما يجعل تحت السرج أو فوقه دوزي.

الصلاة، وأمر أن يُطلب الناس بعلم فرائض الوضوء والصلاة وشروط الإسلام، فكانوا يُسألون عن ذلك، فمن لم يحسنه عُوقب، وصار الناس يتدارسون ذلك بالمشور والأسواق ويكتبونه !

ذكر اشتداده في إقامة أحكام الشرع

وكان شديداً في إقامة الشرع، ومما فعل في ذلك أن أمر أخاه مبارك خان (76)، أن يكون قعوده بالمشور مع قاضي القضاة كمال الدين في قبة مرتفعة هناك مفروشة بالبسط وللحاجي بهامرتبة تحف بها المخاد كمرتبة السلطان ويقعد أخو السلطان عن يمينه فمن كان عليه حق من كبار الأمراء وامتنع من أدائه لصاحبه يُحضره رجال أخي السلطان عند القاضي لينصف منه.

288/3

ذكر رفعه للمغارم والمظالم وقعوده لإنصاف المظلومين

ولما كان في سنة إحدى وأربعين (77) أمر السلطان برفع المكوس عن بلاده وأن لا يؤخذ من الناس إلا الزكاة والعشر خاصة وصار يجلس بنفسه للنظر في المظالم في كل يوم اثنين وخميس برحبة أمام المشور (78). ولا يقف بين يديه في ذلك اليوم إلا أمير حاجب (79) وخص حاجب (80) وسيد الحجاب وشرف الحجاب (81) لا غير، ولا يُمنع أحد ممن أراد الشكوى من الوقوف بين يديه.

289/3

وعين أربعة من كبار الأمراء يجلسون في الأبواب الأربعة من المشور لأخذ القصص من المشتكين، والرابع منهم هو ابن عمه ملك فيروز، فإن أخذ صاحب الباب الأول الرفع من

(76) أنظر III، 230.

(77) سنة 741 توافق 27 يونيو 1340 إلى 16 يونيو 1341. يظهر أن هذا الإصلاح الجبائي يرجع لنفس التاريخ الذي طلب فيه السلطان تنصيبه من لدن «ال خليفة العباسي» ... وهو الإصلاح الذي كان يهدف لإرضاء طبقات الشعب المتضررة من توالي الجفاف والتي ظلت تتورط طوال سبع سنوات - المكس (ج. مكوس) : يعرف على أنه ضريبة لا تستند على أساس شرعي - تراجع مادة مكس في دائرة المعارف الإسلامية.

(78) يتعلق الأمر بمحكمة خاصة مكلفة بتصحيح الأخطاء التي ترتكب من قبل الموظفين المدنيين والعسكريين عند تطبيقهم للقرارات الملكية التي قد لا ترجع للأحكام الإسلامية أو اختصاصات القاضي - أنظر III، 117.

(79) رئيس الحجاب كان أنند هو فيروز تغلق ...

(80) القصد إلى حاجب الدار الملكية.

(81) يراجع III، 221.

الشاكى فحسن، وإلا أخذه الثاني أو الثالث أو الرابع، وإن لم يأخذه منه مضى به إلى صدر الجَهان قاضي الممالك (82)، فإن أخذه منه وإلا شكّا إلى السلطان. فإن صح عنده أنه مضى به إلى أحدٍ منهم فلم يأخذه منه أدبه، وكلما يجتمع من القبض من سائر الأيام يطالع به السلطان بعد العشاء الآخرة

290/3

ذكر إطعامه في الغلاء

ولما استولى القحط على بلاد الهند والسند (83) واشتد الغلاء حتى بلغ من القمح إلى ستة دنانير (84)، أمر السلطان أن يعطي لجميع أهل دهلي نفقة ستة أشهر من المخزن بحساب رطل ونصف من أرطال المغرب (85) لكل إنسان في اليوم صغيراً أو كبيراً حراً أو عبداً وخرج الفقهاء والقضاة يكتبون الأزمّة بأهل الحارات، ويحضرون الناس ويعطى لكل واحد عؤلة ستة أشهر يقات بها

ذكر فتكات هذا السلطان وما نجم من أفعاله

وكان على ما قدمنا من تواضعه وإنصافه ورفقه بالمساكين وكرمه الخارق للعادة كثير التجاسر على إراقة الدماء لا يخلو بابه عن مقتول إلا في النادر، وكنت كثيراً ما أرى الناس يقتلون على بابه ويطرحون هنالك، ولقد جئت يوماً فنفر بي الفرس، ونظرت إلى قطعة بيضاء في الأرض فقلت ما هذه ؟ فقال بعض أصحابي هي صدر رجل قطع ثلاث قطع

291/3

وكان يعاقب على الصغيرة والكبيرة ولا يحترم أحداً من أهل العلم والصلاح والشرف، وفي كل يوم يرد على المشور من المسلسلين والمغلولين والمقيدين منون، فمن كان للقتل أو للعذاب عذب أو للضرب ضرب، وعادته أن يؤتى كل يوم بجميع من في سجنه من الناس إلى المشور ماعدا يوم الجمعة فإنهم لا يخرجون فيه وهو يوم راحتهم يتنظفون فيه ويستريحون أعادنا الله من البلاء

292/

(82) لا يظهر أن القصد إلى الشخصية التي كان ابن بطوطة يعتمد عليها في معلوماته III 143.

(83) استمرت المجاعة طوال سبع سنوات ابتداء من عام 736 = 1336، وكانت تصادف إذن مقام الرحالة المغربي في الهند. وإن هذه المجاعة لم تكن ناتجة فقط عن أسباب طبيعية، ولكن كذلك عن الأسباب السياسية والحالة المساوية التي كان يعيش فيها محمد تغلق

(84) المرز ين تقريبا 15.25 كرام

(85) الرطل في دهلي يوازي نصف المرز - الرطل المغربي يساوي تقريبا الباوند الانجليزي. وفي فقرة لاحقة 210. IV - قارن ابن بطوطة رطل دهلي بعشرين رطلا مغربيا - الحارة الحومة من الحومات التي تتألف منها المدينة - العؤلة استعمال مغربي يعني المؤنة الغذائية

ذكر قتله لأخيه

وكان له إخ اسمه مسعود خان وأمه بنت السلطان علاء الدين. وكان من أجمل صورة رأيته في الدنيا، فاتهمه بالقيام عليه (86)، وسأله عن ذلك فأقر خوفاً من العذاب فإنه من أنكر ما يدعيه عليه السلطان من مثل ذلك يعذب ' فيرى الناس أن القتل أهون عليهم من العذاب فأمر به فضربت عنقه، في وسط السوق وبقي مطروحاً هنالك ثلاثة أيام على عادتهم، وكانت أم هذا المقتول قد رجمت في ذلك الموضع قبل ذلك بسنتين لاعترافها بالزنا فرجمها القاضي كمال الدين

293/3

ذكر قتله لثلاثماية وخمسين رجلاً في ساعة واحدة !

وكان مرة عيّن حصّة من العسكر تتوجه مع الملك يوسف بؤرة (87) إلى قتال الكفار ببعض الجبال المتصلة بحوز دهلي فخرج يوسف وخرج معه معظم العسكر وتخلف قوم منهم، فكتب يوسف إلى السلطان يعلمه بذلك، فأمر أن يطاف بالمدينة ويقبض على من وحد من أولئك المتخلفين ففعل ذلك وقبض على ثلاثماية وخمسين منهم فأمر بقتلهم أجمعين فقتلوا

ذكر تعذيبه للشيخ شهاب الدين وقلته

وكان الشيخ شهاب الدين ابن شيخ الجام الخراساني الذي تنسب مدينة الجام بخراسان إلى جده حسبما قصصنا ذلك، من كبار المشايخ الصلحاء الفضلاء (88)، وكان يواصل أربعة عشر يوماً، وكان السلطانان قطب الدين وتغلق يعظمانه ويزوران ويتركان به، فلما ولي السلطان محمد أراد أن يُخدم الشيخ في بعض خدمته، فإن عادته أن يُخدم الفقهاء والصلحاء محتجاً أن الصدر الأول، رضي الله عنهم، لم يكونوا يستعملون إلا أهل العلم والصلاح، فامتنع الشيخ شهاب الدين من الخدمة، وشافهه السلطان بذلك في مجلسه العام

294/3

(86) يُذكرني مثل هذه القضايا فيما نقله ابن الخطيب في (أعمال الإعلام) عن الأمير عبد الله حفيد ابن معاوية الذي - خوفاً على الحكم أن يضيع منه - احتال على أخيه فسمّاه، والتفت إلى ولديه فقتلتهما. واجهز على أخيه القاسم. لقد اشفق ابن الخطيب على القارئ وهو يسمع بهذه المذابح فخنم بهذا التعبير الذي يرم عن الراحة التي يشعر بها وقد ترك السياسة ! قال وسوق الملك لا ينكر فيها أمثال هذه البضائع ومن عوفي فليحمد الله - تحقيق بروفنصال بيروت 1956 ص 26 - د التازي التاريخ الدبلوماسي للمغرب ج 1 ص 241 - حادثة الأمير مسعود استأثر بذكرها ابن بطوطة.

(87) تقدم ذكره III 235.

(88) ينحدر الشيخ شهاب الدين من الشيخ الجامي سالف الذكر وكان كما عرفنا ممن يتمتعون بالاحترام الكبير من لدن سلطان الهند لكن الأمور لم تلبث أن تغيرت إلى المأساة التي نقرأ عنها

فأظهر إلاباية والامتناع ! (89) فغضب السلطان من ذلك، وأمر الشيخ الفقيه المعظم ضياء الدين السمناني أن ينتف لحيته فأبى ضياء الدين من ذلك، وقال : لا أفعل هذا، فأمر السلطان بنتف لحية كل واحد منهما! فنتفت ! ونُفي ضياء الدين إلى بلاد التِّلْيك، ثم ولاه بعد مدة قضاء وَرَنُكل (90) فمات بها.

295/3

ونفى شهاب الدين إلى دولة آباد، فأقام بها سبعة أعوام ثم بعث عنه فأكرمه وعظَّمه وجعله على ديوان المستخرج (91)، وهو ديوان بقايا العُمال يستخرجها منهم بالضرب والتنكيل، ثم زاد في تعظيمه وأمر الأمراء أن يأتوا للسلام عليه ويمتثلوا أقواله، ولم يكن أحد في دار السلطان فوقه، ولما انتقل السلطان إلى السكنى على نهر الكَنك، وبنى هناك القصر المعروف بِسُرُك دُوار، معناه شبّيه الجنة (92)، وأمر الناس بالبناء هناك، طلب منه الشيخ شهاب الدين أن يأذن له في الإقامة بالحضرة، فأذن له إلى أرض موات مسافة ستة أميال من دهلي فحفر بها كهفاً كبيراً صنع في جوفه البيوت والمخازن والفرن والحمام وجلب الماء من نهرجون، وعمر تلك الأرض وجمع مالاً كثيراً من مستغلها لأنها كانت السنون قاحطة، وأقام هناك عامين ونصف عام مدة مغيب السلطان.

296/3

وكان عبيده يخدمون تلك الأرض نهراً ويدخلون الغار ليلاً ويسدونه على أنفسهم وأنعامهم خوف سُرَاق الكفار لأنهم في جبل منيع هناك، ولما عاد السلطان إلى حضرته استقبله الشيخ ولقيه على سبعة أميال منها فعظَّمه السلطان وعانقه عند لقائه، وعاد إلى غاره، ثم بعث عنه بعد أيام فامتنع من إتيانه، فبعث إليه مُخلّص الملك النَّذْرِبَارِي (93)، وكان من كبراء الملوك فتلف له في القول وحذره بطش السلطان فقال له : لا أخدم ظالماً أبداً ! فعاد مخلص الملك إلى السلطان فأخبره بذلك فأمر أن يأتي به، فأتى به فقال له : أنت القاتل، إني ظالم ؟ فقال : نعم أنت ظالم، ومن ظلمك كذا وكذا، وعدّد أموراً، منها تخريبه لمدينة

297/3

(89) نلاحظ تدهور علاقات السلطان محمد بن تغلق مع العلماء الذين كان لهم نفوذ كبير في الهند وكانوا لا يرضون أن يقوموا بخدمة لا تُرضي ضمائرهم أو تمس بكرامتهم أو تنال من سمعتهم...

(90) ورَنُكل (Ouarangal) عاصمة بلاد التِّلْيك III، 208.

(91) القصد إلى الأموال المتحصلة من الابتزاز والنهب.

(92) يذكر أنه أثناء الجفاف القاسي الذي أضرنا إليه فيما سبق قام السلطان بنقل مقر حكمه عام 738 = 1338 إلى مقربة من كانوج (Kanauj) على بعد 200 ميل جنوب شرق دهلي، على نهر (الكَنك)، كان قصره يدعى (سُرُكدُواري) SARGADWARI وهو يعني باب الفردوس.

(93) النَّذْرِبَارِي، نسبة على ما يبدو إلى مدينة نَذْرِبَارِ الآتية الذكر (IV، 51). وسيقول عنها إنها مدينة صغيرة يسكنها الموهته وهم أهل الاتقان في الصنائع والأطباء والمنجمون... ذكرها ابن بطوطة كمحطة من المحطات التي مرت بها السَّفارة الهندية في طريقها إلى الصِّين - عن تخريب دهلي انظر III 314-315 - عن الدويدارية - انظر I 85 - عن نُكْبِيَة انظر III 231-235 وما يأتي ص 325-327.

دهلي وإخراجه أهلها، فآخذ السلطان سيفه ودفعه لصدر الجهان، وقال: يُثبت هذا اني ظالم واقطع عتقي بهذا السيف، فقال له شهاب الدين: ومن يريد أن يشهد بذلك فيقتل، ولكن أنت تعرف ظلم نفسك. وأمر بمسليمة للملك نُكْبِيَة راس الدويذارية، فقيده بأربعة قيود وغل يديه وأقام كذلك أربعة عشر يوماً مواصلاً لا يأكل ولا يشرب. وفي كل يوم منها يؤتى به إلى المشور ويجمع الفقهاء والمشايخ، ويقولون له: أرجع عن قولك، فيقول: لا أرجع عنه وأريد أن أكون في زمرة الشهداء. فلما كان اليوم الرابع عشر بعث إليه السلطان بطعام مع مخلص الملك، فأتى أن يأكل، وقال: قد رُفِعَ رُزْقي من الأرض، أرجع بطعامك إلي. فلما أخبر بذلك السلطان أمر عند ذلك أن يلزم الشيخ خمسة إشتار (94) من العذرة، وهي رطلان ونصف من إرطال المغرب، فآخذ ذلك الموكلون بمثل هذه الأمور، وهم طائفة من كفار الهنود، فمضوه على ظهره وفتحوا فمه بالكبتين وحلوا العذرة بالماء، وسقوه ذلك، وفي اليوم بعده أتى به إلى دار القاضي صدر الجهان وجمع الفقهاء والمشايخ ووجوه الاعزة فوعظوه وطلبوا منه أن يرجع عن قوله فأتى ذلك فضربت عنقه، رحمه الله تعالى.

298/3

299/3

ذكر قتله للفقير المدرس عفيف الدين الكاساني (95) وفقهين معه

وكان السلطان في سنين القحط قد أمر بحفر آبار خارج دار الملك، وأن يُزرع هنالك (96) زرع وأعطى الناس البذر وما يلزم على الزراعة من النفقة وكلفهم زرع ذلك للمخرن، فبلغ ذلك الفقير عفيف الدين، فقال: هذا الزرع لا يحصل المراد منه فوشى به إلى السلطان فسجنه وقال: له لأي شيء تدخل نفسك في أمور الملك؟ ثم إنه سرّحه بعد مدة فذهب إلى داره.

ولقيه في طريق إليها صاحبان له من الفقهاء، فقالا له: الحمد لله على خلاصك، فقال الفقير: الحمد لله الذي نجّانا من القوم الضالين (97)، وتفرقوا فلم يصلوا إلى دورهم حتى بلغ ذلك السلطان، فأمر بهم فآخذهم ثلاثتهم بين يديه، فقال: اذهبوا بهذا، يعني عفيف

300/3

(94) إشتار: الكلمة الهندية سر (Shr)، وتعادل تقريباً أربعمائة كرام، هذا وإن مشاعر المرء لتصاب بالذهول وهو يسمع عن مثل هذه الضمائم التي تعتبر من البضائع الراجحة في سوق السياسة على حد تعبير ابن الخطيب في الإسهال يراجع التعليق 86.

(95) ينتسب إلى كاشان مدينة كبيرة في أول بلاد تركستان وإرا - نهر سيحون، معجم البلدان (96) بلغ الناس من الضعف، سائلة لم يمتكنوا معها من القدرة على حفر الآبار، وبلغوا من الجوع كذلك حالة لم يتمكنوا معها من القدرة على الاحتفاظ بالحبوب فأكلوها، وهو الأمر الذي أدّى إلى موجة جديدة من القمع - كلمة المخرن هنا تعني مدلولها في المغرب: الدولة والحكومة.

(97) القرآن الكريم، السورة 3، الآية 28.

الدين، فاضربوا عنقه خنابل، وهو أن يقطع الرأس مع الذراع وبعض الصدر، واضربوا أعناق الآخرين، فقالا له : أما هو فيستحق العقاب بقوله، وأما نحن فبأي جريمة تقتلنا ؟ فقال لهما : إنكما سمعتما كلامه فلم تنكراه فكأنكما وافقتما عليه ' فقتلوا جميعا رحمهم الله تعالى!

ذكر قتله أيضا للفقهاء من أهل السند كانا في خدمته

وأمر السلطان هذين الفقهاء السنديين أن يمضيا مع أمير عينه إلى بعض البلاد وقال لهما أنما سلّمت احوال البلاد والرعيّة لكما ويكون هذا الأمير معكما يتصرف بما تأمرانه به فقالا له : إنما نكون كالشاهدين عليه ونبين له وجه الحقّ ليتبعه، فقال لهما : إنما قصدكما أن تاكلوا أموالا وتضيّعاهما وتنسبا ذلك إلى هذا التركي الذي لا معرفة له، فقالا له، حاشا لله ياخوند عالم ! ما قصدنا هذا، فقال لهما : لم تقصدا غير هذا! اذهبا بهما إلى الشيخ زاده النّهاونديّ، وهو الموكل بالعذاب، فذهب بهما إليه فقال لهما : السلطان يريد قتلكما، فاقرا بما قولكما آياه ولا تعذّبا أنفسكما ! فقالا : والله ما قصدنا إلا ما ذكرنا، فقال لزيابتيه ذوّقوهما بعض شيء، يعني من العذاب، فبطحا على أبقافهما وجعل على صدر كلّ واحد منهما صفيحة حديد محمأة، ثمّ قلعت بعد هنيهة، فذهبت بلحم صدورهما، ثمّ أخذ البول والرّعاد فجعل على تلك الجراحات، فاقرا على أنفسهما أنّهما لم يقصدا إلا ما قاله السلطان وأنّهما مجرمان مستحقّان للقتل ' فلا حقّ لهما ولا دعوى في دمانهما دنيا ولا أخرى، وكتبّا خطّهما بذلك واعترفا به عند القاضي ' فسجّل على العقد وكتبّ فيه أن اعترافهما كان عن غير اكراه ولا إجبار، ولو قالّا : أكرهنا لعذّبا أشدّ العذاب ' ورأيا أن تعجيل ضرب العنق خير لهما من الموت بالعذاب الأليم فقتلا رحمهما الله تعالى!

ذكر قتله للشيخ هود

وكان الشيخ زاده المسمى بهود حفيد الشيخ الصالح الوليّ ركن الدين بن بهاء الدين بن أبي زكرياء - الملتاني للبنت (98)، وجدّه الشيخ ركن الدين معظم عند السلطان، وكذلك أخوه عماد الدين الذي كان شبيهها بالسلطان، وقتل يوم وقعة كشلو خان وسنذكره (99)، ولما قتل عماد الدين أعطى السلطان لأخيه ركن الدين مائة قرية ليأكل منها ويطعم الصادر

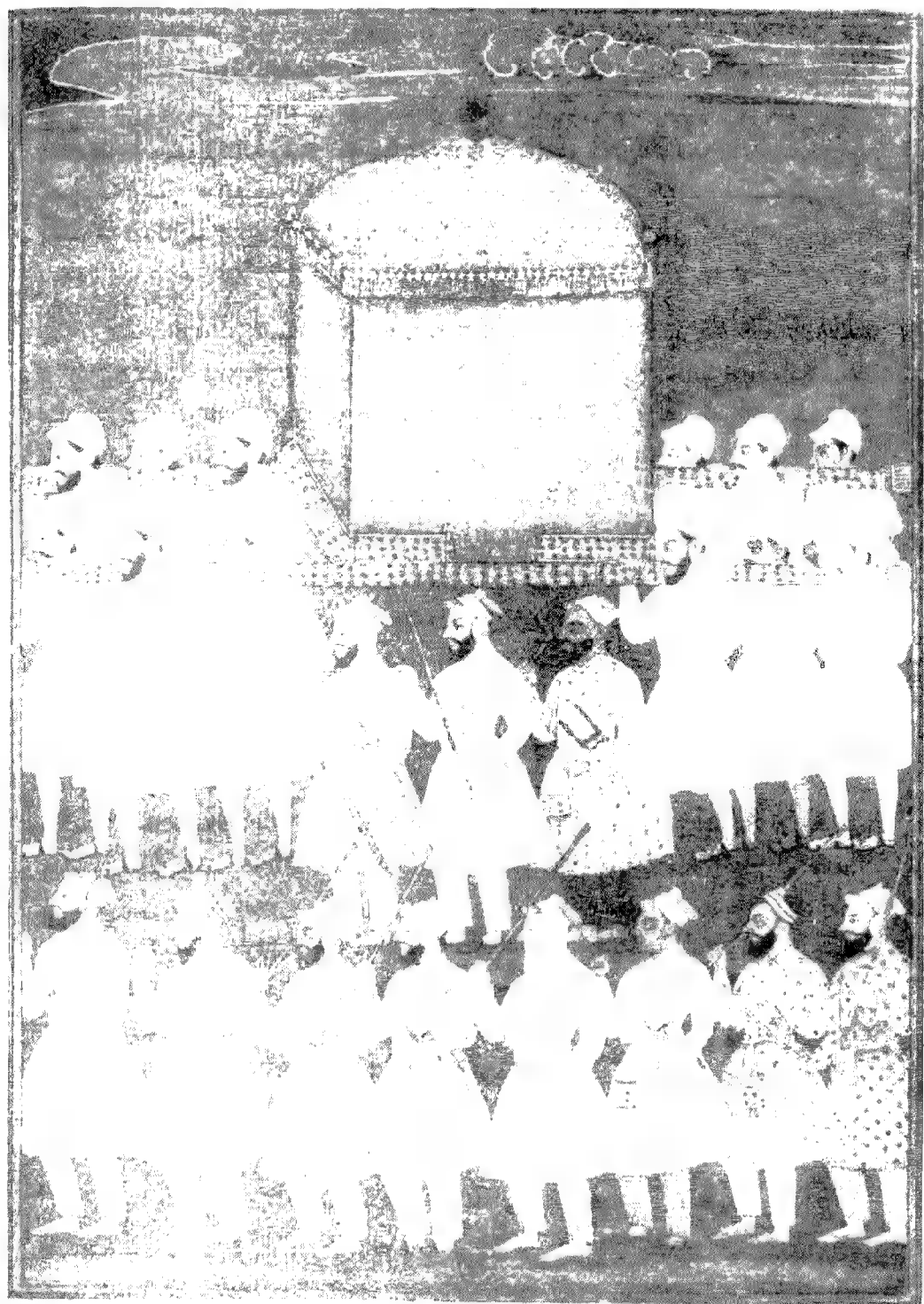
(98) ليس أبا زكرياء ولكن فقط زكريا الملتاني، (III، 102) - كلمة (البنت) محذوفة في بعض النسخ

(99) III، 322 - كلمة الدولة الآتية في صفحة 304 تعني المحفة IV، 73 حول السباط III، 242 - الإجلال على السجادة في الصفحة 305 يشير للخلافة.

والوارد بزاوليته، فتوفى الشيخ ركن الدين وأوصى بمكانه من الزاوية لحفيده الشيخ هود، ونازعه في ذلك ابن أخى الشيخ ركن الدين، وقال: أنا أحق بميراث عمي، فقدمنا على السلطان وهو بدولة أباد، وبينها وبين مَلتان ثمانون يوماً فأعطى السلطان المشيخة لهود حسبما أوصى له الشيخ، وكان كهلاً وكان ابن أخى الشيخ فتى، وأكرمه السلطان وأمر بتضييفه في كل منزل يحله - وأن يخرج إلى لقائه أهل كل بلد يمر به إلى مَلتان وتصنع له فيه دعوة. 304/3

فلما وصل الأمر للحضرة خرج الفقهاء والقضاة والمشائخ والأعيان للقائه، وكنت فيمن خرج إليه، فلقيناه وهو راكب في دولة يحملها الرجال وخيله مجنوبة، فسلمنا عليه وأنكرت أنا ما كان من فعله في ركوبه الدولة، وقلت: إنما كان ينبغي له أن يركب الفرس ويساير من خرج للقائه من القضاة والمشائخ، فبلغه كلامي، فركب الفرس واعتذر بأن فعله أولاً كان بسبب ألم منعه عن ركوب الفرس، ودخل الحضرة وصنعت له بها دعوة أفق فيها من مال السلطان عدد كثير وحضر القضاة والمشائخ والفقهاء والأعزة ومُد السِماط واتوا بالطعام على العادة. ثم أعطيت الدراهم لكل من حضر على قدر استحقاقه فأعطى قاضي القضاة خمسمائة دينار، وأعطيت أنا مائتين وخمسين ديناراً، وهذه عادة لهم في الدعوة لسلطانية ثم انصرف الشيخ هود إلى بلده ومعه الشيخ نور الدين الشيرازي بعثه السلطان لِمجلسه على سجادة جده بزاوليته، ويصنع له الدعوة من مال السلطان هنالك، واستقر بزاوليته وأقام بها أعواماً ثم إن عماد الملك أمير بلاد السند كتب إلى السلطان يذكر أن الشيخ وقرابته يشتغلون بجمع الأموال وإنفاقها في الشهوات ولا يُطعمون أحداً بالزاوية، فنفذ الأمر بمطالبتهم بالأموال، فطلبهم عماد الملك بها، وسجن بعضهم وضرب بعضاً - وصار يأخذ منهم كل يوم عشرين ألف دينار مدة أيام حتى استخلص ما كان عندهم ووُجد لهم كثير من الأموال والذخائر من جملتها نعلان مرصعان بالجواهر والياقوت بيعة بسبعة آلاف دينار قيل إنهما كانا لبنت الشيخ هود، وقيل لسرية له، فلما اشتدت الحال على الشيخ حرب يريد بلاد الأتراك، فقبض عليه، وكتب عماد الملك بذلك إلى السلطان فأمره أن يبعثه. سعت الذي قبض عليه كلاهما في حكم الثَّاقَف، فلما وصلا إليه سرح الذي قبض عليه، وقال شيخ هود: أين أردت أن تفر؟ فاعتذر بعذر، فقال له السلطان إنما أردت أن تذهب لى - نراك فتقول: أنا ابن الشيخ بهاء الدين زكرياء. وقد فعل السلطان معي كذا وتأتي لفلانا، ضربوا عنقه، فضربت

عنقه رحمه الله تعالى



وهو راك في دولة سجاد الراجا من الكلدانيين في القرن الرابع

• ذكر سجنه لابن تاج العارفين وقته لأولاده

وكان الشيخ الصالح شمس الدين ابن تاج العارفين ساكنًا بمدينة كُول (100) منقطعًا للعبادة، كبير القدر، ودخل السلطان إلى مدينة كُول، فبعث عنه فلم يأت، فذهب السلطان إليه، ثم لما قارب منزله انصرف، ولم يره.

واتفق بعد ذلك أن أميرًا من الأمراء خالف على السلطان ببعض الجهات وبايعه الناس فَنُقِلَ للسلطان أنه وقع ذكر هذا الأمير بمجلس الشيخ شمس الدين فأتى عليه وقال : إنه يصلح للملك، فبعث السلطان بعض الأمراء إلى الشيخ فقَّيده وقيده أولاده وقيده قاضي كول ومُحْتَسِبِهَا (101) لأنه ذكر أنهما كانا حاضرين للمجلس الذي وقع فيه ثناء الشيخ على الأمير المخالف، وأمر بهم فسجنوا جميعًا بعد أن سمل عيني القاضي وعيني المحتسب! ومات الشيخ بالسجن !

وكان القاضي والمحتسب يخرجان مع بعض السجناء، فيسلان الناس، ثم يُردان إلى السجن، وكان قد بلغ السلطان أن أولاد الشيخ كانوا يخالطون كفار الهند وعصاتهم ويصحبونهم، فلما مات أبوهم أخرجهم من السجن، وقال لهم : لا تعود إلى ما كنتم تفعلون ! فقالوا له : وما فعلنا ؟ فاغتاظ من ذلك، وأمر بقتلهم جميعًا فقتلوا . ثم استحضر القاضي المذكور، فقال : أخبرني بمن كان يرى رأى هؤلاء الذين قتلوا ويفعل مثل أفعالهم ! فأملى أسماء رجال كثيرين من كبار البلد، فلما عرض ما أملاه على السلطان، قال : هذا يجب أن يخرَّب البلد! اضربوا عنقه ! فضربت عنقه، رحمه الله تعالى (102).

ذكر قتله للشيخ الحيدري

وكان الشيخ علي الحيدري ساكنًا بمدينة كنباية من ساحل الهند، وهو عظيم القدر شهير الذكر، بعيد الصيت، ينذر له التجار بالبحر النذور الكثيرة، وإذا قدموا بدعواً بالسلام عليه، وكان يكشف بأحوالهم، وربما نذر أحدهم النذر وندم عليه، فإذا أتى الشيخ للسلام عليه أعلمه بما نذر له وأمر بالوفاء به، واتفق له ذلك مرات واشتهر به.

(100) كُول couil, coel, couil هي المدينة الحالية (Aligarh)، على بعد 75 ميلاً جنوب شرق دلهي . وقد زرت جامعتها وحضرت مجلس الأساتذة بها في أبريل 1975 .
(101) حول المحتسب - يراجع III، 184 .
(102) يراجع التعليق 86 .

فلما خالف القاضي جلال الأفغاني وقبيلته بتلك الجهات (103)، بلغ السلطان أن الشيخ الحيدري دعا للقاضي جلال وأعطاه شاشيته من رأسه (104)، وذكر أيضا أنه بايعه. فلما خرج السلطان إليهم بنفسه وأنهزم القاضي جلال خلف السلطان شرف الملك أمير بخت أحد الوافدين معنا عليه، بكتباية، وأمره بالبحث عن أهل الخلاف، وجعل معه فقهاء يحكم بقولهم، فأحضر الشيخ علي الحيدري بين يديه وثبت أنه أعطى للقائم شاشيته، ودعا له فحكموا بقتله. فلما ضربه السيف لم يفعل شيئا. وعجب الناس لذلك، وظنوا أنه يعفى عنه بسبب ذلك فأمر سيافا آخر بضرب عنقه فضربها، رحمه الله تعالى!

311/3

ذكر قتله لطوغان وأخيه

وكان طوغان الفرغاني وأخوه من كبار أهل مدينة فرغانة (105)، فوفدا على السلطان فأحسن إليهما وأعطاهما عطاءً جزيلاً، وأقاما عنده مدة، فلما طال مقامهما أراد الرجوع إلى بلادهما وحاولا الفرار، فوشى بهما أحد أصحابهما إلى السلطان فأمر بنو سيظهما فوسطاً وأعطى للذي وشى بهما جميع مالهما، وكذلك عادتهم بتلك البلاد إذا وشى أحد بأحد وثبت ما وشى به فقتل أعطى ماله

312/3

ذكر قلته لابن ملك التجار

وكان ابن التجار شاباً صغيراً لانبأت بعارضيه، فلما وقع خلاف عين الملك وقيامه وقتاله للسلطان، كما سنذكره (106)، غلب على ابن ملك التجار هذا، فكان في جملة مهجورين فلما هزم عين الملك وقبض عليه وعلى أصحابه كان من جملة من جملتهم ابن ملك التجار وصهره ابن قطب الملك فأمر بهما فعلقاً من أيديهما في خشب، وأمر أبناء الملوك فرموهما بالشباب حتى ماتا! ولما ماتا قال الحاجب خواجه أمير علي التبريزي لقاضي القضاة كمال الدين ذلك الشاب لم يجب عليه القتل، فبلغ ذلك السلطان، فقال: هلا قلت هذا قبل موته؟ وأمر به فضرب مانتتي مقرعة أو نحوها! وسجن وأعطى جميع ماله للأمير السيفين، قرأيته في ثاني ذلك اليوم قد لبس ثيابه وجعل قلنسوته على رأسه وركب فرسه فظننت أنه هو!

313/3

وأقام بالسجن شهراً ثم سرحه ورده إلى ما كان عليه ثم غضب عليه ثانية ونفاه إلى خراسان فاستقر بهراة، وكتب إليه يستعطفه فوقع له على ظهر كتابه: أَكْرَبَارُ أَمْدِي بَارُ (أي): معناه إن كنت تُبْت فارجع، فرجع إليه.

(103) تقدم إلى III 362-363

(104) يراجع II 48.

(105) كلمة (فرغانة) التي تردد ذكرها في كتب الفقه والأدب (من غانة (بافريقيا) إلى فرغانة (باسبيا) هذا الموقع الجغرافي يعني مدينة واسعة فيما وراء النهر (LA TRANSOXIANE) متاخمة لبلاد تركستان

(106) تقدم إلى III 340-353

ذكر ضربه لخطيب الخطباء حتى مات

وكان قد وُلِّي خطيب الخطباء بدهلي النظر في خزانة الجواهر في السفر فاتفق أن جاء سراق الكفار ليلاً فضربوا على تلك الخزانة وذهبوا بشيء منها فأمر بضرب الخطيب حتى مات رحمه الله تعالى !.

314/3

ذكر تخريبه لدهلي ونفي أهلها وقتل الأعمى والمقعد

ومن أعظم ما كان يُنقم على السلطان إجلاؤه لأهل دهلي (107) عنها، وسبب ذلك أنهم كانوا يكتبون بطائق فيها شتمه وسبّه ويختمون عليها ويكتبون عليه : وحق رأس خوند عالم ما يقرأها غيره ! ويرمونها بالمشور ليلاً فإذا فضها وجد فيها شتمه وسبه، فعزم على تخريب دهلي، واشترى من أهلها جميعاً دورهم ومنازلهم ودفع لهم ثمنها، وأمرهم بالانتقال عنها إلى دولة آباد، فأتوا ذلك فنادى مناديه أن لا يبقى بها أحد بعد ثلاث، فانتقل معظمهم واختفى بعضهم في الدور، فأمر بالبحث عن بقي بها فوجد عبيدهً بأزقتها رجلين أحدهما مقعد والآخر أعمى، فأتى بهما، فأمر بالمقعد فرمى به في المنجنيق، وأمر أن يجر الأعمى من دهلي إلى دولة آباد مسيرة أربعين يوماً، فتمزق في الطريق ووصل منه رجلاً!

315/3

ولما فعل ذلك خرج أهلها جميعاً وتركوا أثقالهم وأمتعتهم وبقيت المدينة خاوية على عروشها (108)، فحدثني من أثق به، قال : صعد السلطان ليلة إلى سطح قصره فنظر إلى دهلي، وليس بها نار ولا دخان ولا سراج، فقال : الآن طاب قلبي، وتهذّن خاطري! ثم كتب إلى أهل البلاد أن ينتقلوا إلى دهلي ليعمروها فخربت بلادهم ولم تُعمر دهلي لاتساعها وضخامتها، وهي من أعظم مدن الدنيا وكذلك وجدناها لما دخلنا إليها خاليةً ليس بها إلا قليل عمارة.

316/3

وقد ذكرنا كثيراً من مآثر هذا السلطان، ومما نُقم عليه أيضاً فلنذكر جملاً من الوقائع والحوادث الكائنة في أيامه.

(107) محاولة نقل العاصمة من دهلي إلى دولة آباد (Dawlatabad) تكررت مرتين، أول مرة عام 727 = 1327 بعد ثورة كُوشْتَشَب (Cushtashb) عندما فضّل محمد بن تغلق الإقامة في عاصمة تتمتع بموقع أكثر تمرّكاً، أعطى أمره لرجال القصر ولعلية الموظفين وكبار الولاة الإقليميين لكي ينتقلوا إليها أو يُسكنوا أهلهم بها، أما المرة الثانية فقد كانت عام 730 = 1329 عندما أعطى الحاكم - وقد أقلقته شكاوي الناس في دهلي - أمره بالهجرة الجماعية حيث بنى مدينة جديدة : جَهان بُاناه (147, III).

(108) ورد وصف هذه الظروف ومضاعفاتها من لدن مهدي حسين في كتابه عن محمد بن تغلق : The Rise and Fall of Muhammad bin Tughluq - London 1918 p. 108-23.

الفصل الثالث عشر

تاريخ مملكة محمد ابن تغلق

تاريخ مملكة محمد ابن تغلق

- استضافة السلطان محمد شاه ووالدته لابن بطوطة
- وفاة بنت ابن بطوطة
- احسان السلطان في غيابه لابن بطوطة
- عطاءات السلطان لابن بطوطة
- خروج السلطان إلى الصيد وهدايا ابن بطوطة له
- خروج السلطان وأمره لابن بطوطة بالبقاء في دهلي
- خروج ابن بطوطة إلى هزار وأمرها
- رجوع السلطان وإرسال ابن بطوطة للصين.

ذكر ما افتتح به أمره أول ولايته من منه على بهادر بوره

ولما ولي السلطان الملك بعد أبيه ويأبى الناس أحضر السلطان غياث الدين بهادر بوره (1) الذي كان أسره السلطان تغلق، فمنّ عليه وفك قيوده وأجزل له العطاء من الأموال والخيل والفيلة وصرفه إلى مملكته (2)، وبعث معه ابن أخيه بهرام (3) خان، وعاهده على أن تكون تلك المملكة مشاطرةً بينهما، وتكتب أسماؤهما معاً في السكة، ويخطب لهما، وعلى أن يصرف غياث الدين ابنه محمد المعروف برباط يكون رهينة عند السلطان (4) فانصرف غياث الدين إلى مملكته والتزم ما شرط عليه إلا أنه لم يبعث ابنه وادّعى أنه امتنع وأساء الأدب في كلامه فبعث السلطان العساكر إلى ابن أخيه ابراهيم خان، وأميرهم دلجي التتري (5)، فقاتلوا غياث الدين فقتلوه وسلخوا جلده وحشى بالتبن وطيف به على البلاد

317/3

318/3

ذكر ثورة ابن عمته وما اتصل بذلك

وكان للسلطان تغلق ابن اخت يسمى بهاء الدين كُشتُ اسب، بضم الكاف وسكون الشين المعجم وتاء معلولة واسب بالسين المهمل والباء الموحدة مسكّنين، فجعله أميراً ببعض النواحي (6)، فلما مات خاله امتنع من بيعة ابنه وكان شجاعاً بطلاً فبعث السلطان إليه العساكر فيهم الأمراء الكبار مثل الملك مجير والوزير خواجة جهان (7) أمير على الجميع، فالتقى الفرسان واشتد القتال، وصبر كلاً العسكرين، ثم كانت الكرة لعسكر السلطان، ففرّ

(1) للتذكير في غياث الدين بها دور، والحملة العسكرية لعام 724=1324 تراجع ج III 179-210.

(2) سمي غياث الدين بها دور ملكاً على البنغال الشرقية، وعاصمتها صوناركاون (Sonargaon) - أخو غياث الدين ناصر الدين ابراهيم احتفظ بالبنغال الغربية وعاصمتها لاخنوتي (Lakhnawti) إلى عام 726=1326، أما البنغال الجنوبية فقد كانت مُدارة بصفة مباشرة من ساطكاون (Satgaon) من لدن بعض الحكام منذ بداية سلطنة محمد ابن تغلق...

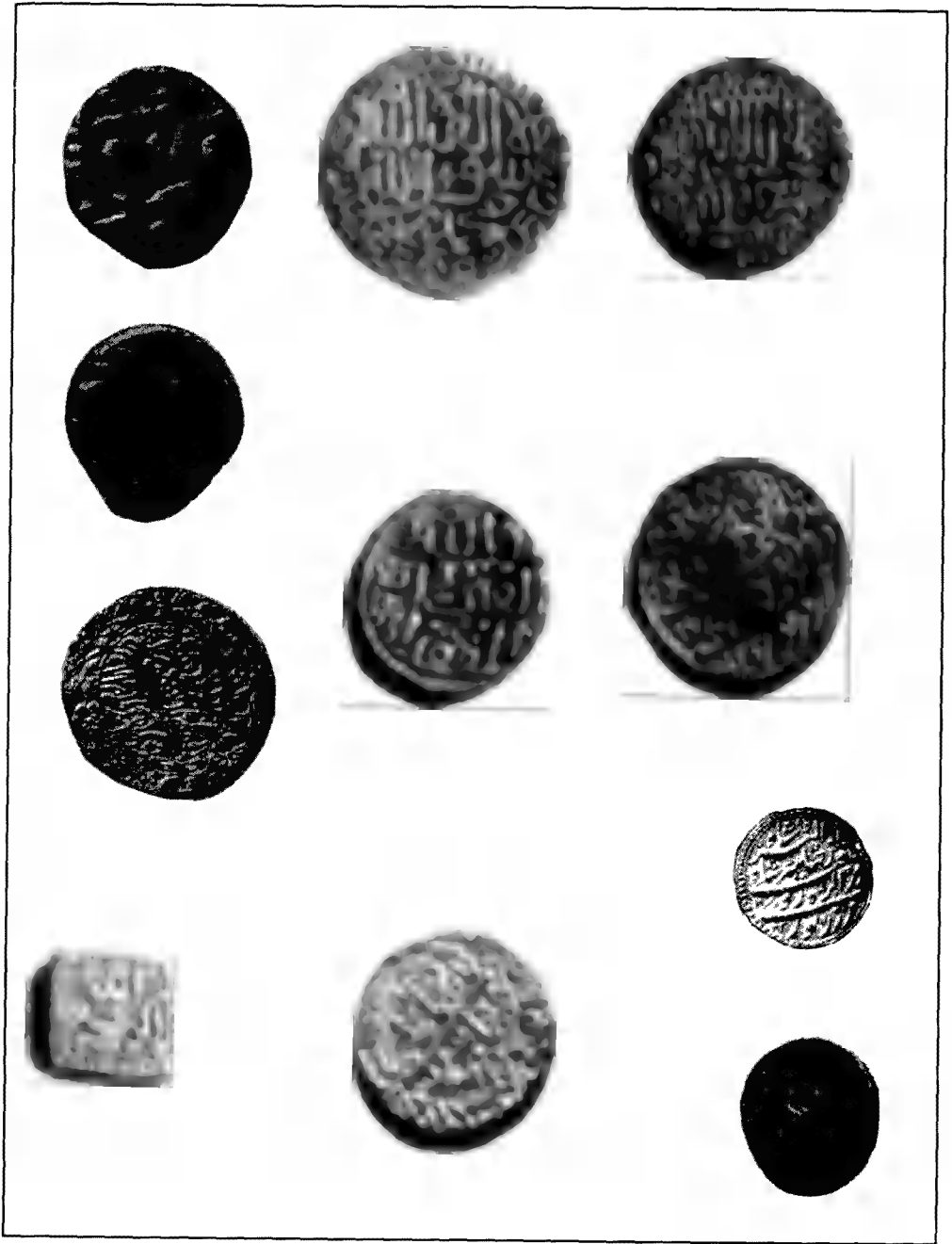
(3) في مطبوع الناشرين الفرنسيين يوجد ابراهيم اعتماداً على مخطوطة خاطئة، وقد اقتفى اثرهما سائر الناشرين اللاحقين! ومن المعلوم أن المخطوطات الأخرى بما فيها المغربية رقم 2399 يوجد فيها بهرام وهو الصحيح - انظر III، 230.

(4) هذا الاسم محمد رباط مما استأثر بذكره ابن بطوطة.

(5) يذكر مهدي حسين أن محمد ابن تغلق يدعو دلجلي تتاري، معروف بها أكثر من (تترخان) ويورد هذه الارشالية العسكرية سنة 730=1330-31.

(6) بهاء الدين كُشتش كان حاكماً لساكار (Sagar) في إقليم كُولبَا ركا (Gulbarga) شمال المنطقة الحالية كارناتاكا (Karnataka).

(7) من أجل الملك مجير بن ذي الرجاء انظر III 230-231، IV 5-6، 188-189 ولأجل خواجه جهان انظر احمد بن اياس I، 426-427، III 45-58، 144-145، 212-214، 227-245، 284.



نقود إسلامية أخرى من بلاد السند والهند

بهاء الدين إلى ملك من ملوك الكفار يعرف بالرأي (8) كنبيلة، والرأي عندهم كمثل ما هو بلسان الروم : عبارة عن السلطان، وكنبيلة اسم الاقليم الذي هو به، بفتح الكاف وسكون النون وكسر الباء الموحدة : وباء ولام مفتوح (9).

319/3

وهذا الرأي له بلاد في جبال منيعة، وهو من أكابر سلاطين الكفار، فلما هرب إليه بهاء الدين أتبعه عساكر السلطان وحصروا تلك البلاد، واشتد الأمر على الكافر، ونفذ ما عنده من الزرع، وخاف أن يؤخذ باليد، فقال لبهاء الدين : إن الحال قد بلغت لما تراه وأنا عازم على هلاك نفسي وعيالي ومن تبعني، فاذهب أنت إلى السلطان فلان، لسلطان من الكفار سمّاه له، فأقم عنده فإنه سيمنعك وبعث معه من أوصله إليه.

وأمر رأي كنبيلة بنار عظيمة فأججت (10) وأحرق فيها أمتعته وقال لنسائه وبناته إنني أريد قتل نفسي، فمن أرادت موافقتي فلتفعل، فكانت المرأة منهن تغتسل وتدّهن بالصندل المفاصري (11) وتقبل الأرض بين يديه وترمي بنفسها في النار حتى هلكن جميعاً، وفعل مثل ذلك نساء امرائه ووزرائه وأرباب دولته، ومن أراد من سائر النساء، ثم اغتسل الرأي وادّهن بالصندل ولبس السلاح ماعدا الدرع، وفعل كفعله من أراد الموت معه من ناسه، وخرجوا إلى عسكر السلطان فقاتلوا حتى قتلوا جميعاً، ودخلت المدينة فأسر أهلها وأسر من أولاد رأي كنبيلة أحد عشر ولداً، فأتي بهم السلطان فاسلموا جميعاً وجعلهم السلطان أمراء وعظّمهم لأصالتهم ولفعل أبيهم، فرأيت عنده منهم نصراً وبخّياراً والمُهرّدار (12)، وهو صاحب الخاتم الذي يختم به على الماء الذي يشرب السلطان منه، وكنيته أبو مسلم، وكانت بيني وبينه صحبة ومودة.

320/3

321/3

ولما قُتل رأي كنبيلة توجهت عساكر السلطان إلى بلد الكافر الذي لجأ إليه بهاء الدين وأحاطوا به (13)، فقال ذلك السلطان : أنا لا أقدر على أن أفعل ما فعله رأي كنبيلة فقبض

(8) يلاحظ استعمال كلمة (رأي) (Rey) في أقصى الشرق لهذا رأينا ابن بطوطة يذكر أن أصل الكلمة من بلاد الروم يعني إسبانيا ويلاحظ مع هذا استعمال القُرّة... بمعنى الحرب ج IV، ص 351.

(9) كنبيلة : (Campil) مملكة هندية صغيرة تابعة في السابق لبادافاس ديوجير (Yadavas de Deogir) وتقع حول الاقليم الحالي رايشور (Raichur) في منطقة كارناتاكا (Karnataka) مباشرة جنوب ساكار (Sagar). السلطان يسمى كامبيليديفا (Kampilideva) في مصادر التاريخ الاسلامي

(10) يتعلق الأمر بانتحار طقسي يسمى جُوهار (Jauhar) على نحو ما سمعه الناس اليوم في آسيا وأوروبا (11) يراجع III، 250.

(12) المهر دار - حارس الاختام - أخوان من هؤلاء النبلاء الهنود معتقلان في كامبيلي (Kampil). وهاريهارا (Harihara) وبوكّا (Bukka) سرجمان نحو الجنوب لأجل أن يؤسسوا ابتداء من عام 746 = 1346 الامبراطورية الهندية العظمى لفيجاياناكا (Vijayanagara) - وانظر III، 96.

(13) يتعلق الأمر بدون شك بسلطنة حوصله (Hoysala)، آخر السلطنات الهندية الكبرى في الجنوب التي احتفظت بنوع نسبي من الاستقلال، عاصمتها نَفَراسامُودرا (Dvarasamudra) توجد في الاقليم الحالي حسان (Hassan) جنوب منطقة كارناتاكا (Karnataka). والملك المشار اليه هنا هو (فيرا بلاله) (Vira Ballala) الثالث 691-741 = 1292-1342.

على بهاء الدين وأسلمه إلى عسكر السلطان، فقيّوده وغلّوده وأتوا به إليه، فلما أتى به إليه أمر بادخاله إلى قرابته من النساء فشتمته وبصقن في وجهه، وأمر بسلخه وهو بقيد الحياة، فسليخ وطبخ لحمه مع الأرز، وبعث لأولاده وأهله وجعل باقيه في صحفة وطرح للفيلة لتأكله، فأبت أكله¹⁴ وأمر بجلده فحشى بالتبن وقُرّن بجلد بهادور بوره (14) وطيف بهما على البلاد.

فلما وصلا إلى بلاد السند وأمير أمرانها يومئذ كشلُو خان (15) صاحب السلطان تغلق ومُعينه على أخذ الملك، وكان السلطان يعظّمه ويخاطبه بالعم ويخرج لاستقباله إذا وفد من بلاده أمر كشلُو خان بدفن الجلدين، فبلغ ذلك السلطان فشوق عليه فعله وأراد الفتك به.

322/3

• ذكر ثورة كشلُو خان وقتله

ولما اتّصل بالسلطان ما كان من فعله في دفن الجلدين بعث عنه وعلم كشلُو خان أنّه يريد عقابه فامتنع وخالف وأعطى الأموال وجمع العساكر وبعث إلى الترك والأفغان وأهل خراسان، فاتاه منهم العدد الجَمّ حتّى كافأ عسكره عسكر السلطان أو أربى عليه كثرة وخرج السلطان بنفسه لقتاله، فكان اللقاء على مسيرة يومين من ملتان بصحراء أبوهر (16)، وأخذ السلطان بالحزم عند لقائه فجعل تحت الشطر عوضاً منه الشيخ عماد الدين شقيق الشيخ ركن الدين الملتاني (17)، وهو حدثي هذا وكان شبيهاً به، فلما حمى القتال انفرد السلطان في أربعة آلاف من عسكره، وقصد عسكر كشلُو خان قصد الشطر معتقدين أنّ السلطان تحته فقتلوا عماد الدين، وشاع في العسكر أنّ السلطان قتل فاشتغلت عساكر كشلُو خان بالنهب وتفرقوا عنه ولم يبق معه إلا القليل، فقصد السلطان بمن معه فقتله وجرّ راسه، وعلم بذلك جيشه ففروا، ودخل السلطان مدينة ملتان وقبض على قاضيها كريم الدين وأمر بسليخه فسليخ، وأمر برأس كشلُو خان فعُلّق على بابها، وقد رأيته معلّقاً لما وصلت إلى ملتان، وأعطى السلطان للشيخ ركن الدين أخى عماد الدين ولابنه وصدر الدين مائة قرية إنعاماً عليهم ليأكلوا منها ويضعموا بزوايتهم المنسوبة لجدهم بهاء الدين زكرياء (18) وأمر

323/3

324/3

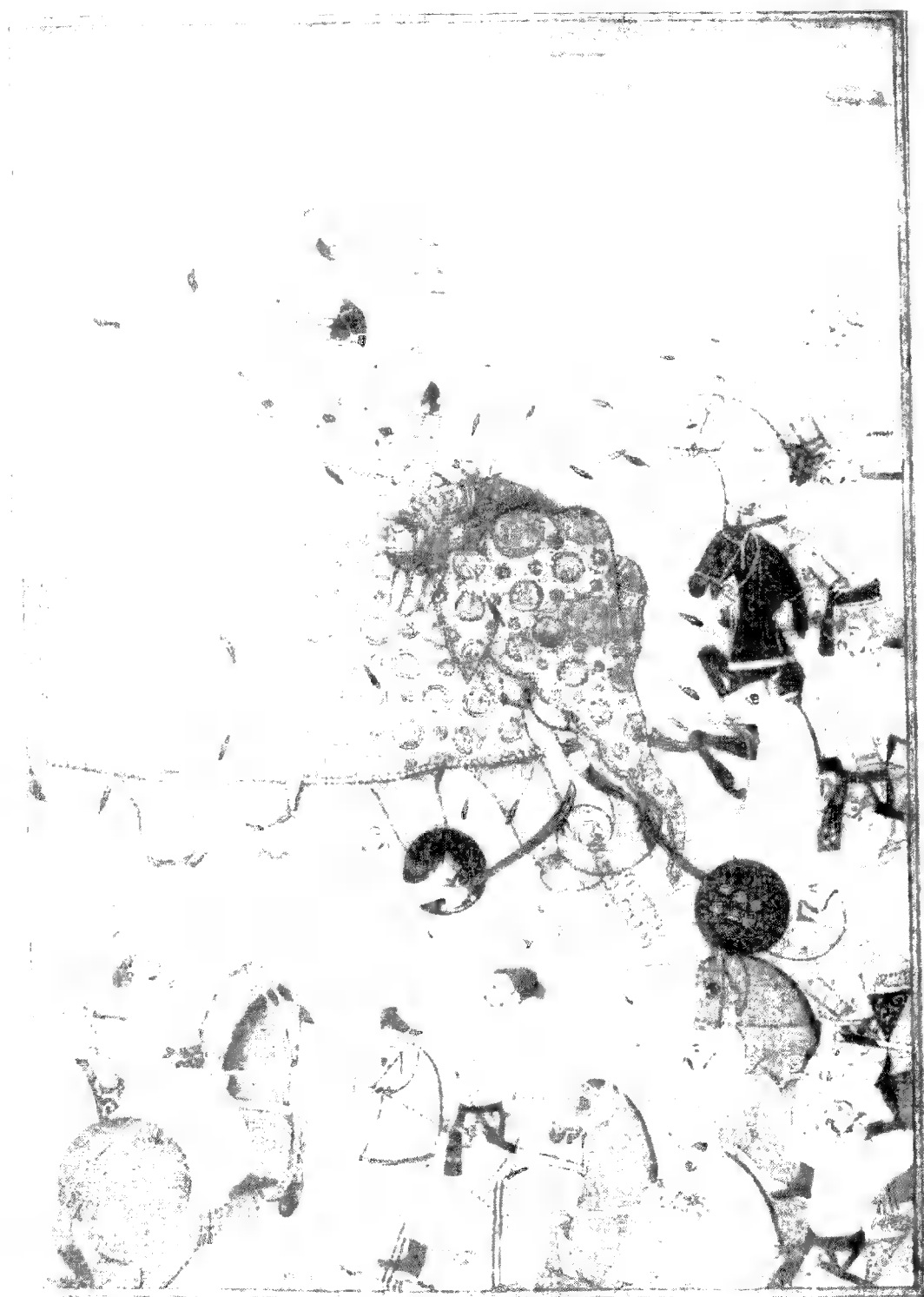
(14) يتعلق الأمر هنا بمصادقة تاريخية : غياث الدين بها دور لقي نفس المصير ثلاث سنوات فيما بعد

(15) حول هذا السلطان - انظر 1424-435، III، 115-203 هذه الثورة التي تؤرخ بعام 728=1328، هي أيضاً تنسب إلى الإدارة السبئية التي أهداها كشلُو خان لارسال عائلته إلى ديوجير Déogir (دولة أباد) العاصمة الجديدة

(16) حول مدينة أبوهر انظر 125-133-134، III

(17) حول الشيخ ركن الدين انظر 38، 102-120، 201-213، 302-303-306، III

(18) السفر الأول II، 23



احدى المعارك عن المكتبة الوطنية بباريس رقم ٧١٠٥٨٨

السلطان وزيره خواجة جهان أن يذهب إلى مدينة كمال بور (19) وهي مدينة كبيرة على ساحل البحر، وكان أهلها قد خالفوا فأخبرني بعض الفقهاء أنه حضر دخول الوزير إياها قال : وأحضر بين يديه القاضي بها والخطيب فأمر بسلخ جلودهما، فقالا له : أقتلنا بغير ذلك، فقال لهما : بما استوجبتما القتل ؟ فقالا : بمخالفتنا أمر السلطان، فقال لهما : فكيف أخالف أنا أمره وقد أمرني أن اقتلكما بهذه القتلة، وقال ۞ للمتولين لسلخهما : احفروا لهما حفراً تحت وجوههما يتنفسان فيها فأنهم اذا سلخوا، والعياذ بالله، يطرحون على وجوههم، ولما فعل ذلك تمهدت بلاد السند وعاد السلطان إلى حضرته.

325

ذكر الواقعة بجبل قراجيل (20) على جيش السلطان

وأول اسمه قاف وجيم معقودة، وجبل قراجيل هذا جبل كبير يتصل مسيرة ثلاثة أشهر، وبينه وبين دهلي مسيرة عشر، وسلطانه من أكبر سلاطين الكفار، وكان السلطان بعث ملك نكبة (21) رأس الدويدارية إلى حرب هذا الجبل، ومعه مائة الف فارس، ورجاله سواهم كثيرا فملك مدينة جدية (22)، وضبطها بكسر الجيم وسكون الدال المهمل وفتح الياء آخر الحروف، وهي أسفل الجبل، وملك ما ۞ يليها وسبى وخرب وأحرق وفر الكفار إلى أعلى الجبل وتركوا بلادهم واموالهم وخزائن ملكهم.

326

وللجبل طريق واحد، وعن أسفل منه واد وفوقه الجبل فلا يجوز فيه إلا فارس منفرد خلفه آخر، فصعدت عساكر المسلمين على ذلك الطريق وتملكوا مدينة ورثكل (23) التي بأعلى الجبل، وضبطها بفتح الواو والراء وسكون النون وفتح الكاف، واحتلوا على ما فيها وكتبوا إلى السلطان بالفتح فبعث اليهم قاضياً وخطيباً، وأمرهم بالإقامة.

فلما كان وقت نزول المطر غلب المرض على العسكر وضعفوا وماتت الخيل وانحلت القسي، فكتب الأمراء إلى السلطان واستأذنوه في الخروج عن الجبل والنزول إلى أسفله بخلال ما ينصرم فصل نزول ۞ المطر فيعودون فاذن لهم في ذلك، فأخذ الأمير نكبة الأموال

327

(19) كمال بور، هناك مدينة بهذا الاسم توجد على مقربة كراتشي الحالية بيد أن التعريف بها يظل مجهولاً عند المؤلفين من غير ابن بطوطة.

(20) هذه الكلمة : (قراجيل) تغطي مجموع الهيمالايا Himalaya لكن الأمر يتعلق هنا على ما يبدو جداً بالسهل الذي يقع شمال دهلي في المنطقة الحالية : هيماشال براديش (PRADESH) هذا وإن تاريخ الحركة لم يعرف وينبغي أن يكون فيما بين 730-733=1330-1333.

(21) (Malik Nikpay) ذكرت في بداية السفر الثاني في الفصل المعنون بالجميل والقبيح في محمد ابن تغلق...

(22) جدية علم جغرافي لم نقف على تحديده.

(23) ورثكل : مدينة أعطيت اسم رئيسها في تلينگانا Telingana.

التي استولى عليها من الخزائن والمعادن وفرّقها على الناس ليرفعوها ويوصلوها إلى أسفل الجبل، فعندما علم الكفار بخروجهم قعدوا لهم بتلك المهاوي وأخذوا عليهم المضيق وصاروا يقطعون الأشجار العادية قطعاً ويطرحونها من أعلى الجبل فلا تمرّ بأحدٍ إلاّ اهلكته فهلك الكثير من الناس وأسر الباقون منهم وأخذ الكفار الأموال والأمتعة والخيل والسلاح، ولم يفلت من العسكر إلاّ ثلاثة من الأمراء : كبيرهم نُكبية، وبدر الدين الملك دولة شاه، وثالث لهما لا اذكره، وهذه الواقعة أثّرت في جيش الهند أثراً كبيراً وأضعفته ضعفاً بيناً، وصالح السلطان بعدها 328/3 أهل الجبل على مال يؤدونه إليه لأن لهم البلاد أسفل الجبل ولا قدرة لهم على عمارتها إلاّ بأذنه.

نكر ثورة الشريف جلال الدين ببلاد المعبر وما اتّصل بذلك من قتل ابن اخت الوزير

وكان السلطان قد أمر على بلاد المعبر، وبينها وبين دهلي مسيرة ستة أشهر، الشريف جلال الدين أحسن شاه (24)، فخالف وادّعى الملك لنفسه، وقتل نواب السلطان وعمّاله وضرب الدنانير والدراهم باسمه، وكان يكتب في إحدى صفحتي الدينار : (سلالة طه ويس أبو الفقراء والمساكين، جلال الدنيا والدين) وفي الصفحة الأخرى الوائق (بتأييد الرحمان أحسن شاه السلطان). 329/3

وخرج السلطان لما سمع بثورته يريد قتاله، فنزل بموضع يقال له كُشك زَر (25)، معناه قصر الذهب، وأقام به ثمانية أيّام لقضاء حوائج الناس، وفي تلك الأيّام أتى بابن اخت الوزير خواجه جهان وأربعة من الأمراء أو ثلاثة وهم مقيدون مغلولون وكان السلطان قد بعث وزيره المذكور في مقدّمته فوصل إلى مدينة ظَهَار (26)، وهي على مسيرة أربع وعشرين

(24) جلال الدين أحسن الذي ثار عام 734=1334، نجح في تأسيس أول دولة إسلامية مستقلة عن دهلي، في مائورّا (Madura) في أقصى الجنوب الشرقي للهند. أنظر الخريطة، بيد أن هذه الدولة كانت قصيرة العمر فسقطت تحت ضربات المملكة الهندية الموجودة في فيجاياناكارا (Vijayanagara) عام 779=1378. هذا والي بلاد المعبر ينتسب عدد في العلماء نذكر منهم الشيخ أحمد زين الدين المعبري الملباري المتوفى بعد سنة 991 هـ صاحب كتاب تحفة المجاهدين في احوال البرتغاليين ...

(25) كُشك زَر (Kushk i Zar) بمعنى قصر الذهب، المكان المعروف باسم كوشك زرد Kushik i Zard بمعنى القصر الأصفر فيقع على الخريطة الإيرانية لكنه صنّف هكذا Kiski é-Zar في كازيط ايران المنشور من لدن وزارة الدفاع، مصلحة الخرائط، واشنطن 1984. ترقب مايتي عند عودة ابن بطوطة ووصله إلى بلاد فارس.

(26) القصد إلى مدينة (DHAR) وتقع في إقليم يحمل نفس الاسم جنوب غربي المنطقة الحالية مادياڤراديش (Madhya Pradesh). تاريخ ابن أخي الوزير لا يعرف فهو من المعلومات التي استأثر بها ابن بطوطة بيد أن نزول محمد ابن تغلق نحو الجنوب أعطى الإشارة لعدد من الثورات. كان من بينها ثورة لاهور...

من دهلي، وأقام بها أياماً، وكان ابن اخته شجاعاً بطلاً فاتق مع الأمراء الذين أتى بهم على قتل خاله والهروب بما عنده من الخزائن والأموال إلى الشريف القائم ببلاد المغبر، وعزموا على الفتك بالوزير عند خروجه إلى صلاة الجمعة فوشى بهم أحد من ادخلوه في أمرهم إلى الوزير، وكان يسمى الملك نصرة الحاجب وأخبر الوزير أن آية ما يرومونه لبسهم الدروع تحت ثيابهم، فبعث الوزير عنهم فوجدهم كذلك فبعث بهم إلى السلطان.

330/3

وكنيت بين يدي السلطان حين وصولهم (27)، فرأيت أحدهم وكان طوالاً ألقى، وهو يُرعد ويتلو سورة يس (28)، فأمر بهم فطرحوا للفيلة المعلمة لقتل الناس، وأمر بابتين اخت الوزير فرداً إلى خاله ليقتله، وسنذكر ذلك

وتلك الفيلة التي تقتل الناس تُكسى أثيابها حدائد مسنونة شبّه سكك الحرث، لها أطراف كالسكاكين، ويركب الفيل على الفيل، فإذا رمى بالرجل بين يديه لفّ عليه خرطومته ورمى به إلى الهواء، ثم يتلقفه بناييه ويطرحه بعد ذلك بين يديه، ويجعل يده على صدره ويفعل به ما يأمره الفيل على حسب ما أمره السلطان، فإن أمره بتقطيعه قطع الفيل قطعاً بتلك الحدائد وإن أمره بتركه تركه مطروحاً فسلخ، وكذلك فعل بهؤلاء.

331/3

وخرجت من دار السلطان بعد المغرب فرأيت الكلاب تأكل لحومهم وقد ملئت جلودهم بالتبن، والعياذ بالله، ولما تجهّز السلطان لهذه الحركة أمرني بالإقامة بالحضرة، كما سنذكره ومضى في سفره إلى أن بلغ دولة أباد فثار الأمير هلاجون ببلاده (29)، ذلك وكان الوزير خواجة جهان قد بقي أيضاً بالحضرة لحشد الحشود وجمع العساكر.

332/3

ذكر ثورة هلاجون

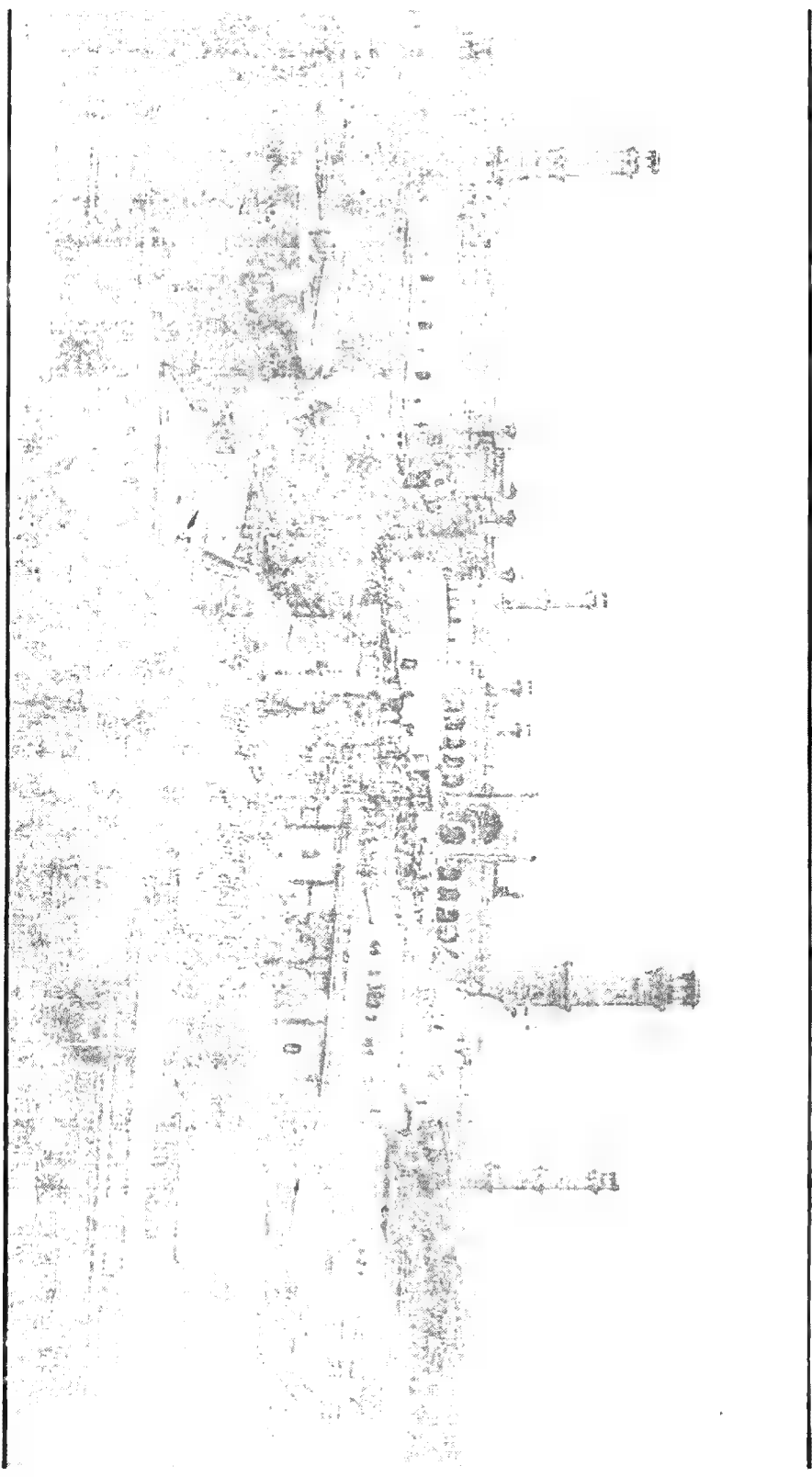
ولما بلغ السلطان إلى دولة أباد وبعد عن بلاده ثار الأمير هلاجون بمدينة لأهور وأدعى الملك وساعده الأمير قلجند (30) على ذلك وصيّره وزيراً له، واتصل ذلك بالوزير خواجة جهان

(27) ابن بطوطة كان قد وصل إلى دهلي قبل مغادرة السلطان في اتجاه الغارة على ماثورا. اراجع III، 251.

(28) السورة 34، وتلى عادة على الأموات نظراً لما ثبت عنها في كتب الحديث فقد روى أبو داود عن معقل بن يسار قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: اقروا يس على موتاكم، بهذا الاسم عنوان البخاري والترمذي السورة في كتابي التفسير - انظر تفسيرهم لقوله تعالى: في شغل فاكبون.

(29) هلاجون سئى أن الامر ينعلق بأحد الذين كانوا يحكمون في (لاهور) من لدن السلطان. عند ثورته عام 735=1335 كان معزراً من لدن أحد الذين كانوا يحملون اسم كول تشاند (Gul Tchand) من قبيلة خوكارش (Khokars) هنا يلاحظ بياض قبل كلمة (ذلك) ولعله (خرج) أي شاع وتزوج.

(30) قلجند Gulchand (مير هندي (يراجع كتاب مهدي حسين حول محمد ابن تغلق) هذا ومن المحتمل أن يكون القصد بأحد الأدوية إلى سوتلديج (Sutledj) الراغد الشرقي لنهر الهندوس.



وهو بدهلي، فحشد الناس وجمع العساكر وجمع الخراسانيين وكل من كان مقيماً من الخدام بدهلي أخذ أصحابه وأخذ في الجملة أصحابي لأنني كنت بها مقيماً، وأعانه السلطان بأميرين كبيرين أحدهما قنيران ملك صفدار، ومعناه مرتب العساكر، والثاني الملك تمور الشريدان، وهو الساقى، وخرج هلاجون بعساكر فكان اللقاء على ضفة أحد الأودية الكبار (30)، فانهزم هلاجون، وهرب وغرق كثير من عسكره في النهر، ودخل الوزير المدينة فسلخ بعض أهلها وقتل آخرين بغير ذلك من أنواع القتل، وكان الذي تولى قتلهم محمد بن النجيب نائب الوزير، وهو المعروف بأنجر ملك، ويسمى أيضاً صك السلطان، والصك عندهم الكلب وكان ظالماً قاسي القلب ويسميه السلطان أسد الأسواق، وكان ربما عض أرباب الجنائيات بأسنانه شراً وعدواناً، وبعث الوزير من نساء المخالفين نحو ثلاثمائة إلى حصن كالبور (31) فسجن به ورأيت بعضهن هنالك، وكان أحد الفقهاء له فيهن زوجة فكان يدخل إليها حتى ولدت منه في السجن !

333/3

ذكر وقوع الوباء في عسكر السلطان

ولما وصل السلطان إلى بلاد التلنك وهو قاصد إلى قتال الشريف ببلاد المعبر نزل مدينة بذرکوت، وضبط اسمها بفتح الباء الموحدة وسكون الدال وفتح الراء وضم الكاف وواو وتاء معلولة، وهي قاعدة بلاد التلنك، وضبطها بكسر التاء المعلولة واللام وسكون النون وكاف معقودة، وبينها وبين بلاد المعبر مسيرة ثلاثة أشهر، ووقع الوباء (32) إذ ذاك في عسكره فهلك معظمهم ومات العبيد، والمماليك وكبار الأمراء مثل ملك دولة شاه الذي كان السلطان يخاطبه بالعم ومثل أمير عبد الله الهروي، وقد تقدمت حكايته في السفر الأول (33)، وهو الذي أمره السلطان أن يرفع من الخزانة ما استطاع من المال فربط ثلاث عشرة خريطة بأعضاده ورفعها، ولما رأى السلطان ما حل بالعسكر عاد إلى دولة آباد وخالفت البلاد وانتقضت الأطراف، وكاد الملك يخرج عن يده لولا ما سبق به القدر من استحكام سعادته.

334/3

335/3

ذكر الإرجاف بموته وفرار الملك هوشنج

ولما عاد السلطان إلى دولة آباد مرض في طريقه فأرجف الناس بموته وشاع ذلك

(31) حول كالبور (Gwalior) انظر III، 188-194-195 وسياتي IV، 32-33.

(32) الوباء ربما كان ظهر في وارانكل (Warangal) التي هي عاصمة تيلينكانا، محمد بن تغلق - وقد قرر أن يعدل عن متابعة حملته انسحب إلى بيدار (Bidar) التي من الممكن أن تكون هي (بذرکوت) التي ذكرها ابن بطوطة هنا. بيدار تقع في إقليم يحمل نفس الاسم، وتوجد في أقصى الشمال من المنطقة الحالية لكاراتاكا KARNATAKA

(33) انظر II، 75.

فنشأت عنه فتن عربية، وكان الملك هوشنج ابن الملك كمال الدين كرك (336/3) قد ساد وكان بينه وبين السلطان عهد أن لا يبيع غيره أبداً لا في حياته ولا بعد موته، فبسط أوجف بنوت السلطان هرب إلى سلطان كافر يسمى بوزره يسكن بحبل مابعه بين دولة اتان وكوكن فانة (35)، فعلم السلطان بفرار هوشنج وخاف وفتح الخسة فحبس السير في دولة اتان واغتنى إثر هوشنج وحصره بالخي، وراسل الكافر أن يسلمه إليه فبى، وقال لا اسم نجيبى ولو لى الأمر لما آل برأى كنبيلة (36)، وخاف هوشنج على نفسه فراسل السلطان وعاهده على أن يرسل السلطان إلى دولة اباد، ويبقى هنالك قتلوا خان معتم السلطان لاستوثق منه هو شنج ويرسل إليه على الأمان، فرحل السلطان ورسل هوشنج إلى قتلوا خان وعاهده أن لا يغلبه السلطان ولا يحط منزلته، وخرج بماله وعياله وأصحابه فقدم على السلطان فسر بقدمه وأرضاه وخلع عليه.

336/3

وكان قتلوا خان صاحب عهد يستقيم الناس إليه ويعولون في الوفاء عليه ومنزلته عند السلطان علية، وتعظيمه له شديد، ومضى دخل عند قام له إجلا فكل بسبب ذلك لا يدخل عليه حتى يكون هو الذي يدعو لنلا يتبعه بالقيام له وهو محب في الصدقات كثير الإيثار مولع بالإحسان للفقراء والمساكين

337/3

ذكر ما هم به الشريف إبراهيم من الثورة ومآل حاله.

وكان الشريف إبراهيم المعروف بالخريطة دار، هو صاحب الكاعد والأقلام بدار السلطان والياً على بلاد حاشبي وسرسني لما حرك السلطان إلى بلاد المعبر (37)، وابوه هو القائم ببلاد المعبر الشريف أحسن شاه، فلما أوجف بميت السلطان صنع إبراهيم في السلطنة وكان شجاعاً كريماً حسن الصورة، وكنى متزوجاً بأخته خورسب، وكانت صالحة تتهجّد بالليل ولها أوراد من ذكر الله عز وجل، وولدت مئي بنتا، ولا أدري ما فعل الله فيهما، وكانت تقرأ لا كنها لا تكتب، فلما هم إبراهيم بالثورة اجترأ به أمير من امراء السند

338/

(34) كمال الدين كرك (Karg) كان حراً لا لعلاء الدين التلخي. ولده هوشنج (Hushang) كان ملكاً عند وصول ابن بطوطة إقطاعه فانسى (Hansu) في غرب دهل

(35) الجبال المتحدث عنها هي جبال انغات (Gangas) الغربية الواقعة بين دولة اتان وسانا هذه المدينة الاحيرة تقع على مقربة من بومباي أما عن العاهل الهندي فبنة لم يعرف في مصادر غير مصدر ابن بطوطة

(36) انظر III 319

(37) هذا الشخص سمي حاكماً لمدينة سارسني (Sarsati) بمدينة حاشبي (Hansu) عن هذين المسمين انظر III 142-143-259 عند انجاء محمد بن تغلق نحو ماثورا عطف عن فدا شنج الذي اشيع السلطان إلى دولة اباد

معه الاموال يحملها إلى دهلي، فقال له ابراهيم : إن الطريق مخوف، وفيه القطع، فأقم عندي حتى يصلح الطريق وأوصلك إلى المأمن. وكان قصده أن يتحقق موت السلطان فيستولي على تلك الاموال، فلما تحقق حياته سرّح ذلك الأمير، وكان يسمّى ضياء الملك بن شمس الملك.

ولما وصل السلطان إلى الحضرة بعد غيبته سنتين ونصفاً وصل الشريف ابراهيم إليه فوشى به بعض غلمانه وأعلم السلطان بما كان همّ به، فأراد السلطان أن يعجل بقتله، ثم تأتي لمحبتّه فيه، فاتّفق أن أتى يوماً إلى السلطان بغزالٍ مذبوح فنظر إلى ذبحته فقال ليس بجيد الذكاة، أطرحوه فراه ابراهيم فقال : إن ذكاته جيّدة وأنا أكله، فأخبر السلطان بقوله، فأنكر ذلك وجعله ذريعةً إلى أخذه فأمر به فقيّد وغلّل ثم قرّره على ما رُمى به من أنّه أراد أخذ الاموال التي مرّ بها ضياء الملك.

339/3

وعلم ابراهيم أنّه إنّما يريد قتله بسبب أبيه، وأنّه لا تنفعه معذرة، وخاف أن يعذب فرأى الموت خيراً له، فأقرّ بذلك فأمر به فوسّط، وترك هناك، وعادتهم أنّه متى قتل السلطان أحداً أقام مطروحاً بموضع قتله ثلاثاً فإذا كان بعد الثلاث أخذه طائفة من الكفار موكلون بذلك فحملوه إلى خندق خارج المدينة يطرحونه به، وهم يسكنون حول الخندق لئلا يأتي أهل المقتول فيرفعونه، وربما أعطى بعضهم لهؤلاء الكفار مالاً فتجافوا له عن قتيله حتى يدفنه، وكذلك فعل بالشريف ابراهيم، رحمه الله تعالى.

340/3

ذكر خلاف نائب السلطان ببلاد التلّك

ولما عاد السلطان من التلّك وشاع خبر موته، وكان ترك تاج الملك نُصرة خان (38) نائباً عنه ببلاد التلّك، وهو من قدماء خواصّه بلغه ذلك فعمل عزاء السلطان ودعا لنفسه وبايعة الناس بحضرة بدركوت، فبلغ خبره إلى السلطان فبعث معلّمه قطلوخان في عساكر عظيمة فحصره بعد قتالٍ شديد هلك فيه أمم من الناس واشتدّ الحصار على أهل بدركوت وهي منيعة، وأخذ قطلوخان في نقيبها فخرج إليه نُصرة خان على الأمان في نفسه فأمنته وبعث به إلى السلطان وأمن أهل المدينة والعسكر.

341/3

(38) عند انسحابه من وارثاكال (Warnagal) نحو بيدار Bidar عام 735 = 1335 أكرى السلطان حُكم محافظة هذه المدينة الأخيرة لخدمته شهاب الدين نصرت خان بمبلغ عشرة ملايين تنكه وعندما وجد نصرت نفسه غير قادر حتى على أداء ربع هذا المبلغ ثار على الحكم - بيراموس

ذكر انتقال السلطان لنهر الكُنْكَ وقيام عين الملك

ولما استولى القحط (39) على البلاد انتقل السلطان بعساكره إلى نهر الكُنْكَ الذي تحجّ إليه الهنود، على مسيرة عشر من دهلي، وأمر الناس بالبناء، وكانوا قبل ذلك صنعوا خياماً من حشيش الأرض، فكانت النار كثيراً ما تقع فيها وتؤدي الناس حتى كانوا يصنعون كهوفاً تحت الأرض فإذا وقعت النار رموا أمتعتهم بها وسدّوا عليها بالتراب.

342/3

ووصلت أنا في تلك الأيام لمحلة السلطان وكانت البلاد التي بغربيّ النهر، حيث السلطان، شديدة القحط والبلاد التي بشرقيّه خصبة، وأميرها عين الملك بن ماهر (40) ومنها مدينة عَوْض (41) ومدينة ظَفَر آباد (42) ومدينة الكُنْكَ (43) وغيرها، وكان الأمير عين الملك يحضر كلّ يوم خمسين ألف من، منها قمح وأرز وحمص لعلف الدواب فأمر السلطان أن تُحمل الفيلة ومعظم الخيل والبغال إلى الجهة الشرقيّة المخصبة لترعى هناك، وأوصى عين الملك بحفظها.

وكان لعين الملك أربعة إخوة وهم شهر الله ونصّر الله وفضل الله ولا أذكر اسم الآخر، فاتفقوا مع أخيه عين الملك على أن يأخذوا فيلة السلطان ودوابّه ويباعوا عين الملك، ويقوموا على السلطان وهرب إليهم عين الملك بالليل وكاد الأمر يتم لهم (44).

343/3

ومن عادة ملك الهند أنه يجعل مع كلّ أمير كبير أو صغير مملوكاً له يكون عيناً عليه ويعرفه بجميع حاله، ويجعل أيضاً جوارى في الدُورِكن عيوناً على أمرائه، ونسوة يسميهنّ الكُنّاسات يدخلن الدُور بدون استئذان ويخبرهنّ الجوارى بما عندهنّ فيُخبرنّ الكُنّاسات بذلك ملك المُخبرين، فيخبر بذلك السلطان! ويذكرون أن بعض الأمراء كان في فراشه مع زوجته

(39) هذه المجاعة الأكثر أهمية في التواريخ الهندية وقعت أثناء غياب السلطان في الجنوب، ودامت سبع سنوات. ولما علم السلطان محمد ابن تغلق بهذه الكارثة لم يرجع لدهلي، لكنه استقرّ ابتداء من عام 1336=736 على مقربة من كانوج (Cannaudj) في عاصمة موقتة ساركانواري (Sargadwari) - الملاصقة لإقليم أود (Oudh) الذي لم تمسه المجاعة. انظر III-295.

(40) ابن ماهر هذا من أبرز الشخصيات المهمة في السلطنة، وهو فاتح إقليم مالوه (Malwa) تحت حكم علاء الدين الخلجي عام 705=1305 وهو صديق ورفيق سلاح لغيث الدين تغلق.

(41) عَوْض هي أجوديا (Ajodya) الحالية في إقليم فايرآباد (Faizabad) على نهر غَنَغرَا (Ghanghara).

(42) ظَفَر آباد : تقع في جنوب جونپور (Junpur) على نهر گوماتي (Gomati) : رافد من روافد الكانج.

(43) الكُنْكَ (Lucknou) تقع بين الكانج وبين غاغرا (Chaghra).

(44) السلطان - وقد غار من قوة عين الملك في المنطقة الخصيبة أود (Oudh)، قرّر على ما يبدو أن ينقل عين الملك إلى دكان (Deccan) إقليم مشهور بأنه غير محكوم، وذلك ليتسبّب له في الخسارة! وإن هذا المخطط هو الذي كان وراء الثورة التي نادى بها عين الملك !! هذه الثورة التي ينبغي أن تؤدّخ في النصف الأول من عام 737=1337.

فأراد مماستها فحلفته برأس السلطان أن لا يفعل، فلم يسمع منها فبعث عنه السلطان صباحاً وأخبره بذلك وكان سبب هلاكه

وكان للسلطان مملوك يعرف بابن ملك شاه هو عين على عين الملك المذكور فأخبر السلطان بفراره وجوارده النهر فسقط في يده وظن أنها القاضية عليه لأن الخيل والفيلة والزرع كل ذلك عند عين الملك وعساكر السلطان مفترقة، فأراد أن يقصد حضرته ويجمع العساكر، وحينئذ يأتي لقتاله، وشاور أرباب الدولة في ذلك وكان امراء خراسان والغرباء أشد الناس خوفاً من هذا القائم لأنه هندي، وأهل الهند مبغضون في الغرباء لاظهار السلطان لهم فكرهوا ما ظهر له، وقالوا: ياخوند عالم! إن فعلت ذلك بلغه الخبر، فاشتد أمره ورثب العساكر، وانتال عليه طلاب الشر ودعاة الفتن والأولى معالجته قبل استحكام قوته. 344/3

وكان أول من تكلم بهذا ناصر الدين مطهر الأوهري ووافقه جميعهم فعمل السلطان بإشارتهم وكتب تلك الليلة إلى من قرب منه من الأمراء والعساكر فاتوا من حينهم وأدار في ذلك حيلة حسنة، فكان إذا قدم على محلته مثلاً مائة فارس بعث الآلاف من عنده للقائهم ليلاً، ودخلوا معهم إلى المحلة كأن جميعهم مدد له.

وتحرك السلطان مع ساحل النهر ليجعل مدينة قنوج (45) وراء ظهره، ويتحصن بها لمنعتها وحصانتها وبينها وبين الموضع الذي كان به ثلاثة أيام فرحل أول مرحلة وقد عبا جيشه للحرب وجعلهم صفاً واحداً عند نزولهم كل واحد منهم بين يديه سلاحه وفرسه إلى جانبه، ومعه خباء صغير يأكل به ويتوضأ ويعود إلى مجلسه، والمحلة الكبرى على بعد منهم ولم يدخل السلطان في تلك الأيام الثلاثة خباء، ولا استظل بظل 346/3

وكنت في يوم منها بخباني فصاح بي فتى من فتىاني اسمه سنبل واستعجلني وكان معي الجواري، فخرجت إليه، فقال: إن السلطان أمر الساعة أن يقتل كل من معه امرأته أو جاريته، فشفع عنده الامراء، فأمر أن لا تبقى الساعة بالمحلة امرأة وأن يحملن إلى حصن هنالك على ثلاثة أميال يقال له كنبيل (46)، فلم تبق امرأة بالمحلة ولا مع السلطان.

وبتنا تلك الليلة على تعبئة فلما كان في اليوم الثاني رثب السلطان عسكره أفواجاً وجعل مع كل فوج الفيلة المدرعة، عليها الأبراج فوقها المقاتلة وتدرع العسكر وتهينوا للحرب، 347/3

(45) قنوج (Kanauj) تقع في إقليم فاتيهاكار Fatchgarh على بعد 180 ميلاً جنوب الشرقي لدهلي
(46) كنبيل (Kanbil) يقع على بعد 28 ميلاً شمال فاتيهاكاره (Fatchgarh) حيث بني غياث الدين حصناً له هناك وكان محمد ابن تغلق انسحب من الشرق نحو قنوج هذا. وبلاحظ أن كنبيل لا يمكن أن تكون على بعد ثلاثة أميال

وباتوا تلك الليلة على أهبة ولما كان اليوم الثالث بلغ الخبر بأن عين الملك الثائر أجاز النهر فخاف السلطان من ذلك وتوقع أنه لم يفعله إلا بعد مراسلة الأمراء الباقين مع السلطان، فأمر في الحين بقسم الخيل العتاق على خواصه وبعث لي حظاً منها، وكان لي صاحب يسمى أمير أميران الكرمانني من الشجعان، فأعطيته فرساً منها اشبه اللون فلما حركه جمع به، فلم يستطع إمساكه ورماه عن ظهره فمات رحمه الله تعالى

وجد السلطان ذلك اليوم في مسيره، فوصل بعد العصر إلى مدينة قنوج وكان يخاف أن يسبقه القائم إليها وبات ليلته تلك يترتب الناس بنفسه ووقف علينا ونحن في المقدمة مع ابن عمه ملك فيروز ومعنا الأمير غدا ابن مهنئي⁽⁴⁷⁾ والسيد ناصر الدين مطهر وامراء خراسان، فأضافنا إلى خواصه وقال : أنتم أعزّة علي ما ينبغي أن تفارقوني، وكان في عاقبة ذلك الخير فإن القائم ضرب في آخر الليل على المقدمة، وفيها الوزير خواجه فقامت ضجة في الناس كبيرة فحينئذ أمر السلطان أن لا يبرح أحد عن مكانه ولا يقاتل الناس إلا بالسيوف فاستلّ العسكر سيوفهم ونهضوا إلى اصحابهم وحملوا القتال، وأمر السلطان أن يكون شعار جيشه دهلي وغزنة، فإذا لقي أحدهم فارساً قال له : دهلي، فإن أجابه بغرزة علم أنه من أصحابه والأقاتله.

348/3

وكان القائم إنما قصد أن يضرب على موضع السلطان فأخطأ به الدليل فقصده موضع الوزير فضرب عنق الدليل

349/3

وكان في عسكر الوزير الأعاجم والترك والخراسانيون، وهم أعداء الهند فصدقوا القتال وكان جيش القائم نحو الخمسين ألفاً فانهزموا عند طلوع الفجر وكان الملك إبراهيم المعروف بالبثجي، بفتح الباء الموحدة وسكون النون وجيم، التتري قد اقطعه السلطان بلاد سندية وهي قرية من بلاد عين الملك فاتفق معه على الخلاف وجعله نائبه وكان داود بن قطب الملك وابن ملك التجار على فيلة السلطان وخيله فوافقاه أيضاً وجعل داود حاجبه.

وكان داود هذا لما ضربوا على محلة الوزير يجهر بسب السلطان ويشتمه أقبح شتم، والسلطان يسمع ذلك ويعرف كلامه، فلما وقعت الهزيمة قال عين الملك لنائبه إبراهيم التتري : ماذا ترى يا ملك إبراهيم؟ قد فر أكثر العسكر ونو النجدة منهم، فهل لك أن تنجو بأنفسنا؟ فقال إبراهيم لأصحابه بلسانهم، إذا أراد عين الملك أن يفر فأنني ساقبض على بدوقته، فإذا فعلت ذلك فاضربوا انتم فرسه ليسقط إلى الأرض فنقبض عليه ونأتي به السلطان ليكون ذلك كفارة لذنبني في الخلاف معه وسبباً لخلاصي، فلما أراد عين الملك الفرار قال له إبراهيم : إلى أين يا سلطان علاء الدين؟ وكان يسمى بذلك، وامسك بدوقته وضرب

350/3

(47) حول سيف الدين غدا ابن مهنئي - انظر III: 361-155-154-271-270-283

اصحابه فرسه فسقط إلى الأرض ورمى إبراهيم بنفسه عليه فقبضه وجاء أصحاب الوزير ليأخذه فمتعهم وقال : لا أتركه حتى أوصله للوزير أو أموت دون ذلك، فتركوه فأوصله إلى الوزير

351/3

وكنت أنظر عند الصبح إلى الفيلة والاعلام يوتى بها إلى السلطان ثم جاعني بعض العراقيين فقال قد قبض على عين الملك، وأوتي به الوزير، فلم أصدقته فلم يمر إلا يسير وجاعني الملك ثمور الشربدار فأخذ بيدي وقال : أبشر فقد قبض على عين الملك وهو عند الوزير فتحرك السلطان عند ذلك ونحن معه إلى محلة عين الملك على نهر الكنك فنهبت العساكر ما فيها، واقتحم كثير من عسكر عين الملك النهر فغرقوا، وأخذ داود بن قطب الملك وابن ملك التجار وخلق كثير معهم، ونهبت الأموال والخيول والأمتعة.

ونزل السلطان على المجاز وجاء الوزير بعين الملك، وقد أركب على ثور وهو عريان (48) مستور العورة بخرقه مربوطة بحبل وباقيه في عنقه، فوقف على باب السراجة، ودخل الوزير إلى السلطان فأعطاه الثرية عناية به، وجاء أبناء الملوك إلى عين الملك فجعلوا يسبونهم ويصفقون في وجهه ويصفعون أصحابه، وبعث إليه السلطان الملك الكبير فقال له : ما هذا الذي فعلت ؟ فلم يجد جواباً، فأمر به السلطان أن يكسى ثوباً من ثياب الرمالة ! وقيد بأربعة كبول، وغلت يده إلى عنقه وسلم للوزير ليحفظه، وجاز إخوته النهر هاربين ووصلوا مدينة عوض، فأخذوا أهلهم وأولادهم وما قدروا عليه من المال وقالوا لزوجته أخيه عين الملك اخلصي بنفسك وبنيك معنا ! فقالت : أفلا أكون كنساء الكفار اللاتي يحرقن أنفسهن مع أزواجهن ؟ فانا أيضاً أموت لموت زوجي وأعيش لعيشه فتركوها.

352/3

353/3

وبلغ ذلك السلطان فكان سبب خيرها وأدركته لها رقة، وأدرك الفتى سهيل نصر الله من أولئك الأخوة فقتله، وأتى السلطان برأسه وأتى بأم عين الملك وأخته وامرأته فسلمن إلى الوزير وجعلن في خباء بقرب خباء عين الملك، فكان يدخل إليهن ويجلس معهن ويعود إلى محبسه!

ولما كان بعد العصر من يوم الهزيمة أمر السلطان بسراح لفيف الناس الذين مع عين الملك من الرمالة والسوقة والعبيد ومن لا يعبأ به، وأتى بملك إبراهيم البنجي الذي ذكرناه فقال ملك العسكر الملك نوا : ياخوندا عالم اقتل هذا، فإنه من المخالفين، فقال الوزير إنه قد فدا نفسه بالقائم فعفى عنه السلطان وسرّحه إلى بلاده.

354/3

(48) يذكرني هذا في قول المتنبي : من قصيدة أجاب بها سيف الدولة في ميفارقين بذي الحجة 353 هـ
ومن ركب الثور بعد الجوا
د أنكر اظلاله والغيب

ولما كان بعد المغرب جلس السلطان ببرج الخشب وأتى باثنين وستين رجلاً من كبار أصحاب القائم وأتى بالفيلة فطرحوا بين أيديها فجعلت تقطعهم بالحدائد الموضوعة على أنيابها وترمى ببعضهم إلى الهواء وتتلقفه، والأبواق والأنفار والطبول تضرب عند ذلك، وعين الملك واقف يعاين مقتلهم ويطرح منهم عليه، ثم أعيد إلى محبسه وأقام السلطان على جواز النهر أياماً لكثرة الناس وقلة القوارب، وأجاز امتعته وخزائنه على الفيلة، وفرق الفيلة على خواصه ليجيزوا امتعتهم. وبعث إليّ بفيلٍ منها أجزت عليه رحلي.

355/3

وقصد السلطان ونحن معه، إلى مدينة بهرايج (49)، وضبط اسمها بفتح الباء الموحدة وهاء مسكّن وراءه والفاء آخر الحروف مكسورة وجيم، وهي مدينة حسنة في عدوة نهر السرو، وهو وادٍ كبير شديد الانحدار وأجازه السلطان برسم زيارة قبر الشيخ الصالح البطل سالار غود (50) الذي فتح أكثر تلك البلاد، وله أخبار عجيبة وغزوات شهيرة وتكاثر الناس للجواز وتزاحموا حتى غرق مركب كبير كان فيه نحو ثلاثماية نفس لم ينج منهم إلا عربي من أصحاب الأمير غدا، وكنا ركبنا نحن في مركب صغير فسلمنا لله تعالى.

وكان العربي الذي سلم من الغرق يسمى بسالم، وذلك اتفاق عجيب، وكان أراد أن يصعد معنا في مركبنا فوجدنا قد ركبنا النهر، فركب في المركب الذي غرق فلما خرج ظنّ الناس أنّه كان معنا فقامت ضجة في أصحابنا وفي سائر الناس وتوهموا أننا غرقنا، ثم لما رأونا بعد استبشروا بسلامتنا.

356/3

وزرنا قبر الصالح المذكور وهو في قبة لم نجد سبيلاً إلى دخولها لكثرة الزحام وفي تلك الوجهة دخلنا غيضة قصب فخرج علينا منها الكرّكدن، فقتل، وأتى الناس برأسه، وهو دون الفيل، ورأسه أكبر من رأس الفيل بأضعاف وقد ذكرناه.

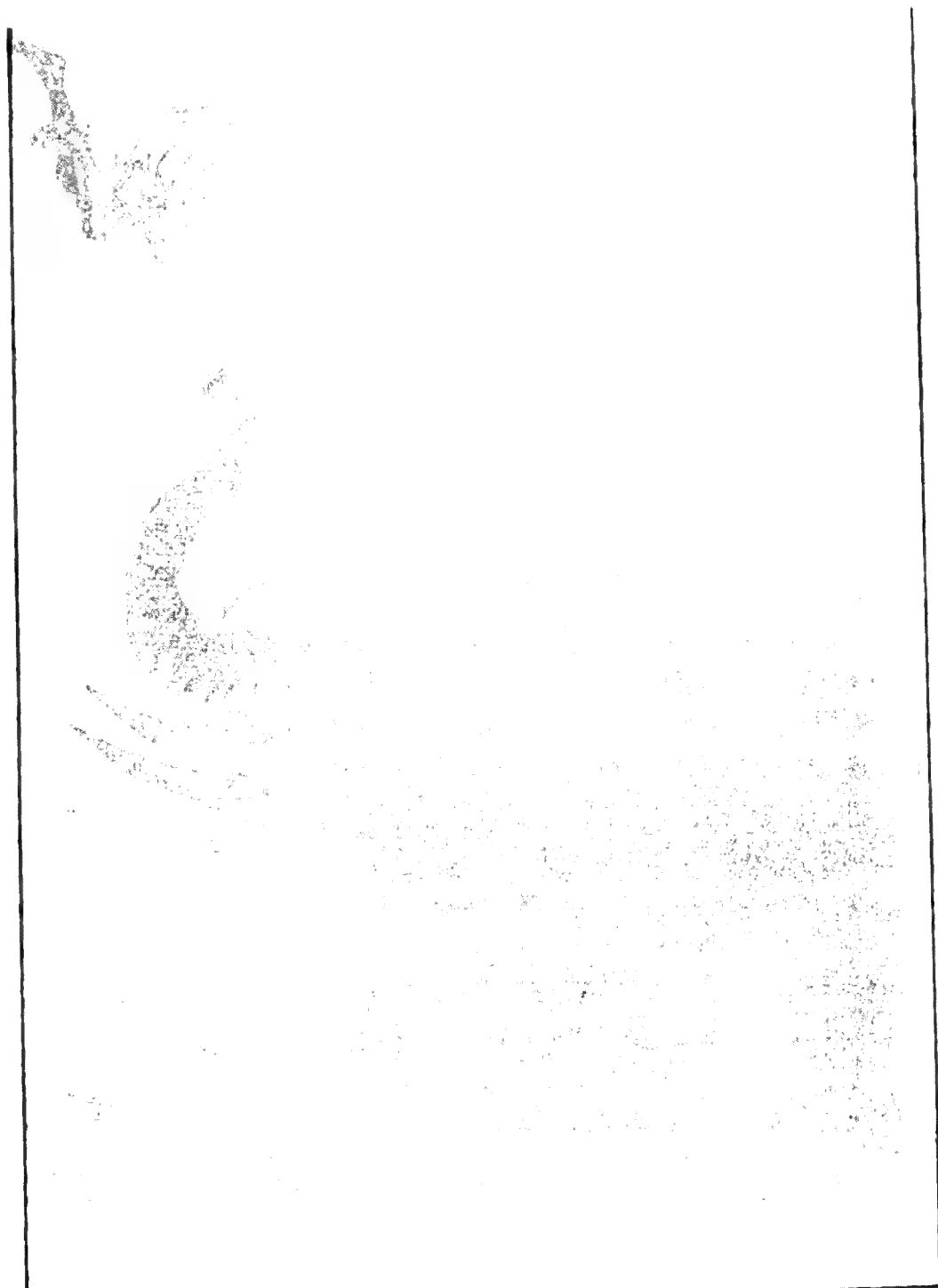
ذكر عودة السلطان لحضرته ومخالفة علي شاه كَر.

ولما ظفر السلطان بعين الملك كما ذكرنا عاد إلى حضرته بعد مغيب عامين

357/2

(49) بهرايج (Bahraich) : تقع في إقليم يحمل نفس الاسم جنوب الحدود مع النيبال، في أطار بُرايش (Uttar Pradesh). هذا ويلاحظ أن المدينة تقع في الشمال وليس على ساحل نهر غاغره (Ghaghra) المسمى هنا - على ما يظهر - السرو Saru (بمعنى الأصفر) بيد أن هذا الاسم يبدو أنه يُعَيّن في النّص نهر الكانج أكثر مما يُعَيّن روافده الكبيرة.

(50) سالار مسعود ربما كان ابناً لأخي محمد الغزنوي، وقد قُتل في هذا المكان عام 424=1033 وسيصبح قبره مزاراً مقصودة في القرن التاسع الهجري الخامس عشر الميلادي وسيُسمى اسمه ابتداءً من هذا التاريخ معروفاً باسم الغازي ميان (Myan).



استعمل الفار كرسلة للفك داخل الحراب III 35.4

ونصف (51)، وعفى عن عيّن الملك وعفى أيضاً عن نصرة خان القائم ببلاد التلّك وجعلهما معاً على عمل واحد، وهو النظر على بساتين السلطان وكساهما وأركبهما، وعيّن لهما نفقة من الدقيق واللحم في كلّ يوم!

وبلغ الخبر بعد ذلك أن أحد أصحاب قطلوخان وهو عليّ شاه كر (52)، ومعنى كر الأطرش خالف على السلطان وكان شجاعاً حسن الصورة والسيرة فغلب على بذركوت وجعلها مدينة ملكه وخرجت العساكر إليه وأمر السلطان معلّمه أن يخرج إلى قتاله فخرج في عساكر عظيمة وحصره ببذرگوت ونقبت أبراجها واشتدّت به الحال فطلب الأمان فأتمّه قطلوخان، وبعث به إلى السلطان مقيداً فعفا عنه^{358/3} ونفاه إلى مدينة غزنة من طرف خراسان، فأقام بها مدة ثمّ اشتاق إلى وطنه فأرّاد العودة اليه لما قضاه الله من حينه، فقبض عليه ببلاد السند وأوتى به السلطان، فقال له: إنّما جئت لتثير الفساد ثانية وأمر به فضربت عنقه.

▪ ذكر فرار أمير بخت وأخذه

وكان السلطان قد وجد على أمير بخت (53) الملقّب بشرف الملك أحد الذين وفدوا معنا على السلطان فحطّ مرتبته من أربعين ألفاً إلى ألف واحد، وبعثه في خدمة الوزير إلى دهلي، واتفق أن مات أمير عبد الله الهرويّ في الوفاء بالتلّك، وكان ماله عند أصحابه بدلهي، فاتفقوا مع أمير بخت على الهروب فلمّا خرج الوزير من دهلي إلى لقاء السلطان هربوا مع أمير بخت وأصحابه ووصلوا إلى أرض السند في سبعة أيّام، وهي مسيرة أربعين يوماً.

وكانت معهم الخيل مجتوبة وعزموا على أن يقطعوا نهر السند عوماً، ويركب أمير بخت وولده ومن لا يحسن العوم في مَعْدِيّة قصب يصنعونها، وكانوا قد اعدّوا حبلاً من الحرير يرسم ذلك فلمّا وصلوا إلى النهر خافوا من عبوره بالعوام فبعثوا رجلين منهم إلى جلال الدّين صاحب مدينة أوجة (54)، فقالا له: إنّ هاهنا تجاراً أرادوا أن يعبروا النهر، وقد

(51) إذن حوالي أواسط سنة 737=1337.

(52) عليّ كَر (Ali KAR) هذا، كان مبعوثاً من قبل قوطلوغ خان (Qutlugh Khan) حاكم دولة أباد، في الجنوب لجمع الضرائب في كول باركا (Gulbarga)، القوة القليلة التي توجد آنئذ في الإقليم حملت كَر (KAR) هذا على إلغاء وظيفة الحاكم الهندي من المكان وتكوين جيش بما توفّر عليه من مداخيل الاقليم واحتلال بيدار (BIDAR) ونسف حاكمه - بقية هذه المعلومات توجد عند ابن بطوطة... وهي المعلومات التي تؤكدها المصادر الموثوقة عن الهند.

(53) هذه الشخصية خليفة لأسرة آل خُداَوَندزَاد (KHUDAWANDZADE) في ترمذ على ما سنرى... 367-368, III

(54) حول أوجة (OUTCH) انظر I, 422-428, III, 115-116.

بعثوا اليك بهذا السرج لتبيح لهم الجواز فانكر الأمير أن يُعطي التجار مثل ذلك السرج وأمر بالقبض على الرجلين، ففرَّ أحدهما ولحق بشرف الملك واصحابه وهم نيام لما لحقهم من الإعياء ومواصلة السهر، فاخبرهم الخبر فركبوا مذعورين وفروا.

360/3

وأمر جلال الدين بضرب الرجل الذي قبض عليه، فاعترف بقضية شرف الملك، فأمر جلال الدين نائبه فركب في العسكر وقصدوا نحوهم فوجدوهم قد ركبوا فاقتفوا أثرهم فأدركوهم فرموا العسكر بالنشاب، ورمى طاهر بن شرف الملك نائب الأمير جلال الدين بسهم فأنشبه في ذراعه وغلب عليهم فأتى بهم إلى جلال الدين فقيدهم وغلَّ أيديهم وكتب إلى الوزير في شأنهم فأمره الوزير أن يبعثهم إلى الحضرة فبعثهم إليها، وسجنوا بها فمات طاهر في السجن، وأمر السلطان أن يضرب شرف الملك مائة مقرعة في كل يوم فبقى على ذلك مدة، ثم عفا عنه وبعثه مع الأمير نظام الدين أمير نجلة إلى بلاد جنديري (55)، فانتهت حاله إلى أن كان يركب البقر، ولم يكن له فرس يركبه¹

361/3

وأقام على ذلك مدة، ثم وفد ذلك الأمير على السلطان وهو معه فجعله السلطان شاشنكير وهو الذي يقطع اللحم بين يدي السلطان ويمشي مع الطعام، ثم إنَّه بعد ذلك نوه به ورفع مقداره وانتهت حاله إلى أن مرض فزاره السلطان وأمر بوزنه بالذهب وأعطاه ذلك، وقد قدَّمتنا هذه الحكاية في السفر الأول (56)، وبعد ذلك رُوجه بأخته وأعطاه بلاد جنديري التي كان يركب بها البقر في خدمة الأمير نظام الدين، فسبحان مقلب القلوب ومحيل الأحوال .

362/3

ذكر خلاف شاه أفغان (57) بأرض السند

وكان شاه أفغان خالف على السلطان بأرض ملتان من بلاد السند وقتل الأمير بها، وكان يسمى به زاد، وادَّعى السلطنة لنفسه وتجهَّز السلطان لقتاله فعلم أنَّه لا يقاومه فهرب ولحق بقومه الأفغان، وهم ساكنون بجبال منيعة لا يقدر عليها، فاغتاظ السلطان ممَّا فعله وكتب إلى عماله أن يقبضوا على من وجدوه من الأفغان ببلاده فكان ذلك سبباً لخلاف القاضي جلال.

(55) تقع جنديري في إقليم كونا Guna كما سيأتي IV، 41-42، انظر III، 196

(56) انظر II، 75

(57) يتعلَّق الأمر بملك شامو لودي Mamuk Shahulodi، وهو رئيس أفغاني حرم من امتياز هامَّ كان يتمتع به في قبيلته، وتوزَّع ثورته عام 741=1340-1341

ذكر خلاف القاضي جلال

وكان القاضي جلال وجماعة من الأفغانيين قاطنين بمقربة من مدينة كنباية ومدينة بلويزة (58)، فلما كتب السلطان إلى عماله بالقبض على الأفغانيين كتب إلى ملك مقبل (59) نائب الوزير ببلاد الجزرات، ونهروالة (60) أن يحتال في القبض على القاضي جلال ومن معه، وكانت بلاد بلويزة إقطاعاً لملك الحكماء، وكان ملك الحكماء متزوجاً بربيبه السلطان زوجة أبيه تغلق، ولها بنت من تغلق هي التي تزوجها الأمير غداً، وملك الحكماء إذ ذاك في صحبة مقبل، لأن بلاده تحت نظرة فلماً وصلوا إلى بلاد الجزرات أمر مقبل ملك الحكماء أن يأتي بالقاضي جلال وأصحابه، فلماً وصل ملك الحكماء إلى بلاده حذرهم في خفية لأنهم كانوا من أهل بلاده، وقال: إن مقبلاً طلبكم ليقبض عليكم، فلا تدخلوا عليه إلا بالسلاح فركبوا في نحو ثلاثماية مدرع وأتوه، وقالوا: لا ندخل إلا جملة فظهر له أنه لا يمكن القبض عليهم، وهم مجتمعون وخاف منهم فامرهم بالرجوع وأظهر تأمينهم فخالفوا عليه، ودخلوا مدينة كنباية ونهبوا خزانة السلطان بها وأموال الناس ونهبوا مال ابن الكولي التاجر وهو الذي عمر المدرسة الحسنة باسكندرية، وسنذكره إثر هذا.

363/3

364/3

وجاء ملك مقبل لقتالهم فهزموه هزيمة شنيعة، وجاء الملك عزيز الخمار (61) والملك جهان بنبُل ؟ لقتالهم في سبعة آلاف من الفرسان فهزموهم أيضاً (62) وتسامع بهم أهل

(58) بلويزة هي بروشا (Broach) الحالية على مصب وادي نارمادا (Narmada) في خليج كامبي (Cambay) وقد سميت عند الإديسي بروش.

(59) ملك مقبول، هندي من فرقة البراهمة في تيلينگانا (Tilingana) اعتنق الاسلام، شارك في قمع ثورات الجزرات وأمسى من أهم الشخصيات الرئيسية للسلطنة في نهاية دولة محمد بن تغلق. سمي وزيراً أول ووصياً على السلطنة من لدن الحاكم الذي خلف محمد، توفي 774=1372-1373. وقد عوضه ولده في مهامه.

(60) نهروالة (Anhilwara) العاصمة القديمة للجزرات فتحت من لدن علاء الدين خليجي عام 1297 م وهي باطن الحالية، إليها ينتسب قطب الدين النهروالي 900 = 1582 - III 246-279. د. التازي: ابن ماجد والبرتغال مجلة أرابيكا Arabica - مجلد 35-1988 ص 104-105.

(61) الخمار (المتجر في الخمر) المعروف أكثر تحت لقب الخمار بسبب سمعته، كان مشهوراً بابتزازة ونهبه. أرسله السلطان ليكوّن قواد المانة، وهو إطار يعني إعداد طائفة من الذين يعملون على جمع الزكوات وتجعل تحت اشراف كل واحد منهم مائة قرية. الأمر الذي سبب الثورة حوالي سنة 714==1344. هذه الحركات كانت بعد انصراف ابن بطوطة من دهلي وقد عرفها وسمعها عندما كان في الجنوب الهندي ثورة جلال الدين حكيت بتفصيل من قبل المؤرخ عصامي في كتابه آفتوح السلاطين. ثورات الجزرات المرتبطة بثورات (Deccan) شغلت محمد بن تغلق طوال بقية حياته إلى أن أدركه أجله عام 752=1351.

(62) توفي عزيز الخمار في هذه المعركة التي جرت في شعبان 745 = دجنبر 1344.

الفساد والجرائم فانتالوا عليهم. وادعى القاضي جلال السلطنة، وبايعه اصحابه وبعث السلطان اليه العساكر فهزمها وكان بدولة اباد جماعة من الأفغان فخالفوا ايضا

365/3

■ ذكر خلاف ابن الملك ملّ.

وكان ابن الملك ملّ ساكناً بدولة اباد في جماعة من الأفغان فكتب السلطان إلى نائبه بها وهو نظام الدين (63) أخو معلمه قطلوخان أن يقبض عليهم. وبعث اليه باحمال كثيرة من القيود والسلاسل، وبعث بخلع الشتاء.

وعادة ملك الهند أن يبعث لكل أمير على مدينة. ولوجود عسكره خلعتين في السنة خلعة الشتاء وخلعة الصيف، وإذا جاءت الخلع يخرج الأمير والعسكر للقائها فإذا وصلوا إلى الأتي بها نزلوا عن دوابهم وأخذ كل واحد خلعتة وحملها على كتفه وخدّم لجهة السلطان. وكتب السلطان لنظام الدين إذا خرج الأفغان ونزلوا عن دوابهم لأخذ الخلع فاقبض عليهم عند ذلك.

366/3

وأتى أحد الفرسان الذين اوصلوا الخلع إلى الأفغان فأنخبرهم بما يراد بهم فكان نظام الدين ممّن احتال فانعكست عليه فركب وركب الأفغان معه حتّى إذا لقوا الخلع، ونزل نظام الدين عن فرسه حملوا عليه وعلى أصحابه فقبضوا عليه وقتلوا كثيراً من أصحابه ودخلوا المدينة فآخذوا الخزان وقدموا على أنفسهم ناصر الدين (64) بن ملك ملّ وانتال عليهم المفسدون فقويت شوكتهم.

ذكر خروج السلطان بنفسه إلى كنباية

ولما بلغ السلطان ما فعله الأفغان بكنباية ودولة اباد خرج بنفسه (65) وعزم على أن يبدأ بكنباية ثم يعود إلى دولة اباد، وبعث أعظم ملك الباييزيدي صهره في أربعة آلاف مقدّمة فاستقبلته عساكر القاضي جلال فهزموده وحصلروه ببلوثرّة وقاتلوه بها، وكان في

367/3

(63) قُطْلُوغ خان حاكم دولة اباد عوض في شعبان 715 716 دجنبر 1344 من قبل أخيه نظام الدين الذي كان غير كفّ. لإداره مختلفة كبيرة بقدر ما هي صعبة المراس كثيرة الهيجان. وقد انضد هذا إلى رجاء عزيز الخمار وقد ثارت دكان (Deccan) بدورها، وكان أغلب قواد المائة أفغاناً. ولأجل هذا تحدث ابن بطوطة عن ثورات الأفغان.

(64) اسماعيل مَحْ (Mukhl) أفغاني تودي به في دولة اباد ملكاً لدكان (Deccan) تحت اسم ناصر الدين شاه عام 1346=746 وقد تخلّى في السنة الموالية لصالح أحد قواد المائة يحمل اسم حسن الذي سيَنُوج تحت اسم علاء الدين بهمان بتأسيس الدولة بهمانية في دكان.

(65) غادر السلطان دلهي حوالي أحر رمضان 745 أحر شهر يناير 1345 في اتجاه الجزرات حيث انفجرت الثورة الزولى، وسببوت هناك بعد ست سنوات فضا في الحملة من غير أن يستطيع العودة إلى دلهي.

عسكر القاضي جلال شيخ يسمّى جلّول (66)، وهو أحد الشجعان فلا يزال يفتك في العساكر ويقتل ويطلب المبارزة فلا يتجاسر أحد على مبارزته، واتّفق يوماً أنّه دفع فرسه فكبا به في حفرة فسقط عنه وقتل ووجدوا عليه درعين فبعثوا برأسه إلى السلطان وصلبوا جسده بسور بلوذرّة وبعثوا يديه ورجليه إلى البلاد

ثمّ وصل السلطان بعساكره فلم يكن للقاضي جلال من ثبات ففرّ في أصحابه وتركوا أموالهم وأولادهم فذهب ذلك كلّ، ودخلت المدينة (67)، وأقام بها السلطان أياماً ثمّ رحل عنها وترك بها صهره شرف الملك امير بخت الذي قدّمنا ذكره وقضية فراره، وأخذه بالسند وسجنه وما جرى عليه من الذلّ، ثمّ من العزّ، وأمر بالبحث عمّن كان في طاعة جلال الدين، وترك معه الفقهاء ليحكم بأقوالهم فادّى ذلك إلى قتل الشيخ عليّ الحيدري (68) حسيماً قدّمناه.

368/3

ولما هرب القاضي جلال لحق بناصري الذين بن ملك ملّ بدولة آباد ودخل في جملته (69) فاتى السلطان بنفسه إليهم واجتمعوا في نحو أربعين ألفاً من الأفغان والترك والهنود والعبيد وتحالفوا على أن لا يفرّوا وأن يقاتلوا السلطان، وأتى السلطان لقتالهم، ولم يُرفع الشطر الذي هو علامة عليه، فلما استحرّ القتال رُفع الشطر فلما عاينوه دهشوا وانهزموا أقيح هزيمة ولجأ ابن ملك ملّ والقاضي جلال في نحو أربعمئة من خواصهما إلى قلعة الدؤيقير، وسنذكرها (70)، وهي من أمنع قلعة في الدنيا، واستقرّ السلطان بمدينة دولة آباد، والدؤيقير هي قلعتها، وبعث لهم أن ينزلوا على حكمه فابوا أن ينزلوا إلا على الأمان فأنى السلطان أن يؤمنهم وبعث لهم الأطعمة تهاوناً بهم وأقام هنالك، وعلى ذلك آخر عهدي بهم (71).

369/3

(66) يسمّى جاه أفغان عند عصامي. ولعلّ من المفيد أن نشير هنا إلى أن اسم (جلّول) أخذ بعض أتباع الطريقة الجبلانية يطلقونه على بعض المتتسبين للشيخ عبد القادر الجبلاني أو الجبلالي وربما انحرف الدجلون.

(67) قتل جاه اثنا. طلعة لفرقة عسكرية مخلصه لباروش (BARUCH) وقد شتت جيوشه في جمادى الأولى 746 = شتنبر 1345 قبل وصول محمد ابن تغلق الذي دخل إلى كنباية (Cambay) في نونبر

(68) الحديث عن تاريخ عليّ الحيدري تقدم في III، 309-311 وقد جرى هذا اثن عام 746=1345

(69) من المعلوم بأن قواد المائة المنهزمين من طرف محمد بن تغلق في الجزرات فروا إلى دولة آباد وأسهموا في إعادة الثورة من هذا المكان. محمد بن تغلق غادر باروش (BARUCH) في محرم 747 = مايو 1346 للوصول أمام دولة آباد في أكتوبر

(70) سيتم وصف مدينة دولة آباد... في IV، 46-51.

(71) كان على محمد بن تغلق أن يعود إلى الجزرات حتى يُخمد ثورة جديدة، أمّا عن قواد المائة التابعين له والذين بقوا في المكان فقد قضى عليهم من قبل حسن الذي أعلن عن نفسه ملكاً يوم 24 ربيع الثاني 748 = 3 غشت 1347 (انظر التعليق السابق 64) ذهب السلطان يورخ بشهر مارس 1347 ذي الحجة 747 هذا ويلاحظ أن اخبار ابن بطوطة الذي سبّوذج قابسقوط أخيراً في اتجاه الجزيرة العربية في نهاية نفس الشهر تقف قتل هذا بقليل

ذكر قتال مُقبل وابن الكُولمي

وكان ذلك قبل خروج القاضي جلال وخلافه، وكان تاج الدين بن الكُولمي (721) من كبار التجار فوفد على السلطان من أرض التُّرك بهدايا جليلة منها الممالك والجمال والمتاع والسلاح والثياب، فأعجب السلطان فعله وأعطاه اثني عشر لكا، ويذكر أنه لم تكن قيمة هديته إلا لكا واحداً، وولاه مدينة كُنْباية، وكانت لنظر الملك مقبل نائب الوزير، فوصل إليها وبعث المراكب إلى بلاد المليبار وجزيرة سيلان وغيرها، وجاعته التحف والهدايا في المراكب وضخمت حاله، ولما عزم على أن يبعث أموال تلك الجهات إلى الحضرة بعث الملك مُقبل إلى ابن الكُولمي أن يبعث ما عنده من الهدايا والأموال مع هدايا تلك الجهات على العادة، فامتنع ابن الكُولمي من ذلك، وقال أنا أحملها بنفسي أو أبعثها مع خدّامي ولا حكم لنائب الوزير علي ولا للوزير، واغترَب بما أولاه السلطان من الكرامة والعطية فكتب مقبل إلى الوزير بذلك فوقع له الوزير على ظهر كتابه : إن كنت عاجزاً عن بلادنا فاتركها وارجع إلينا، فلمّا بلغه الجواب تجهّز في عسكره ومماليكه والتقيا بظاهر كُنْباية فانهزم ابن الكُولمي، وقُتل جماعة من الفريقين واستخفى ابن الكُولمي في دار الناخوذة إلياس أحد كبراء التجار.

370/8

371/8

372/8

ودخل مُقبل المدينة فضرب رقاب أمراء عسكر ابن الكُولمي وبعث له الأمان على أن يأخذ ماله المختص به ويترك مال السلطان وهديته ومجبي البلد، وبعث مقبل بذلك كله مع خدّامه إلى السلطان وكتب شاكياً من ابن الكُولمي، وكتب ابن الكُولمي شاكياً منه، فبعث السلطان ملك الحكماء ليتنصّف بينهما، وبإثر ذلك كان خروج القاضي جلال الدين فنهب مال ابن الكُولمي، وفرّ ابن الكُولمي في بعض مماليكه ولحق بالسلطان.

ذكر الغلاء الواقع بأرض الهند

وفي مدة مغيب السلطان عن حضرته إذْ خَرَج بقصد بلاد المعبر، وقع الغلاء واشتدّ الأمر (731) وانتهى المنّ إلى ستّين درهماً، ثم زاد على ذلك، وضاعقت الأحوال وعظم الخطب ولقد خرجتُ مرةً إلى لقاء الوزير فرأيت ثلاث نسوة يقطعن قطعاً من جلد فرسٍ مات منذ أشهر وياكلنه وكانت الجلود تطبخ وتباع في الأسواق، وكان الناس إذا ذُبحت البقر أخذوا دماها فاكلوها !

721) الحديث عن هذه الشخصية وعن تاريخها مما استأثر به الرحالة ابن بطوطة - 369, III

731) يراجع التعليق رقم 39 حول المجاعة التي أصابت البلاد.

وحدثني بعض طلبية خراسان أنهم دخلوا بلدة تسمى أكرهه (74) بين حاشسي وسرستني فوجدوها خالية فقصدوا بعض المنازل ليبيتوا به فوجدوا في بعض بيوته رجلاً قد أضرم ناراً وبيده رجلٌ ادمي وهو يشويها في النار ويأكل منها والعيان بالله

ولما اشتدت الحال أمر السلطان أن يعطى لجميع أهل دهلي نفقة ستة أشهر فكانت القضاة والكتاب والأمرء يطوفون بالأزقة والحارات، ويكتبون الناس ويعطون لكل أحد نفقة ستة أشهر بحساب رطل ونصف من أرطال المغرب في اليوم لكل واحد، وكنت في تلك المدة أطعم الناس من الطعام الذي أصنعه بمقبرة السلطان قطب الدين (75)، حسبما يذكر، فكان الناس ينتعشون بذلك، والله تعالى ينفع بالقصد فيه.

وإذ قد ذكرنا من أخبار السلطان وما كان في أيامه من الحوادث ما فيه الكفاية فلنعد إلى ما يخصنا من ذلك ونذكر كيفية وصولنا أولاً إلى حضرته (76) وتنقل الحال إلى خروجنا عن الخدمة، ثم خروجنا عن السلطان في الرسالة إلى الصين وعودنا منها إلى بلادنا إن شاء الله تعالى.

ذكر وصولنا إلى دار السلطان عند قدومنا وهو غائب

ولما دخلنا حضرة دهلي قصدنا باب السلطان ودخلنا الباب الأول ثم الثاني ثم الثالث ووجدنا عليه النقباء وقد تقدم ذكرهم فلما وصلنا إليهم تقدم بنا نقيبهم إلى مشور عظيم متسع فوجدنا به الوزير خواجه جهان ينتظرنا، فتقدم ضياء الدين خذأوند زاده، ثم تلاه أخوه قوام الدين ثم أخوهما عماد الدين (77) ثم تلوتهم ثم تلاني أخوهم برهان الدين، ثم

(74) أكرهه (Aqrha) تسمى اليوم (Hisar) - ورأيت ضبطها بضم الهمزة - أكرهه بوزن أعجوبة
(75) قطب الدين مبارك 1316-1320=716-720 شخصية جد محترمة من طرف محمد بن تغلق وقد طلب إلى ابن بطوطة أن ينعهه ضريحه ويقوم بصيانته.
(76) هنا نرى ابن بطوطة يستأنف الحديث من جديد عن خط سيره الذي تركه عند بداية الحديث عن سلطنة دهلي III، 146. ليقوم بهذا الاستطراد الطويل حول أخبار السلطنة وملكها محمد ابن تغلق.
(77) كان ابن بطوطة قد لقي قبل هذا قوام الدين وإخوانه في ترمذ حيث كان قوام الدين قاضياً عائلة هذا كانت تمارس السلطة تحت سيادة المغول - III، 56-58.
لقد قام الرحالة المغربي بزيارة الهند في نفس الوقت الذي قام فيه أولئك بالزيارة. وكذلك لقبهم في ملتان وستذكر مهماتهم التشريفية

الأمير مبارك السمرقندي، ثم أُرِن بُغَا التركي (78) ثم ملك زادة، ابن اخت خُداوند زادة (79)، ثم بدر الدين الفصّال.

ولمّا دخلنا من الباب الثالث ظهر لنا المشور الكبير المسمّى هُزار أُسطُون ومعنى ذلك ألف سارية (80)، وبه يجلس السلطان الجلوس العام، فخدم الوزير عند ذلك حتّى قرب رأسه من الأرض وخَدَمْنَا نحن بالركوع، وأوصلنا أصابعنا إلى الأرض وخدمْنَا لناحية سرير السلطان، وخدم جميع من معنا، فلمّا فرغنا من الخدمة صاح النقباء بأصوات عالية : بسم الله، وخرجنا .

376/

ذكر وصولنا لدار أم السلطان وذكر فضائلها

وأم السلطان تُدعى المخدمة جهان، وهي من أفضل النساء، كثيرة الصدقات عمّرت زوايا كثيرة، وجعلت فيها الطّعام للوارد والصادر وهي مكفوفة البصر، وسبب ذلك أنّه لمّا ملك ابنها جاء إليها جميع الخواتين وبنات الملوك والأمراء في أحسن زيّ وهي على سرير الذهب المرصّع بالجواهر فخدمن بين يديها جميعاً، فذهب بصرها للحين، وعولجت بأنواع العلاج فلم ينفع.

وولدها أشدّ الناس بروراً بها، ومن بروره أنّها سافرت معه مرّة، فقدم السلطان قبلها بمدة فلمّا قدمت خرج لاستقبالها وترجّل عن فرسه وقبّل رجلها وهي في الحفّة بمراى من الناس أجمعين.

ولنعدّ لما قصدناه فنقول : ولمّا انصرفنا عن دار السلطان خرج الوزير ونحن معه إلى باب الصّرف وهم يسمّونه باب الحرم، وهناك سكنى المخدمة جهان، فلمّا وصلنا بابها نزلنا عن الدوابّ وكلّ واحد منّا قد أتى بهديّة على قدر حاله، ودخل معنا قاضي قضاة الممالك كمال الدّين بن البرهان، فخدم الوزير والقاضي عند بابها، وخدمنا كخدمتهم، وكتب كاتب بابها هدايانا، ثمّ خرج من الفتیان جماعة وتقدّم كبارهم إلى الوزير فكلموه سرّاً ثمّ

377/

(78) هاتان الشخصيتان كذلك تم الحديث عنهما في ملتان III، 120-121-122.

(79) يتعلق الأمر، على ما يظهر، بشخصيتين مختلفتين الأولى التي قد سبق ذكرها في ملتان الخ (III، 121)، وستتعت فيما بعد بالتّرْمِذِي نسبة إلى أصله ترمذ كسائر الخُداوُنْدَرَاذِيّة، بينما ابن أخي خُداوُنْد زاده هو المنعوت بأمير بخت الذي سيلقب بشريف الملك، وقد ذكر عدة مرات بعد نكبة غابرة أصبح ملازماً وصهرًا للسلطان، وقد سمي في حنديري ثم كلف بتهدئة كنباية أثناء الثورة الأولى للجزرات - II 72-74 III 310-358-361-368-394-398.

(80) يعتبر هذا القصر من المعالم القليلة التي صمدت آثارها من التي شيدها محمد بن تغلق في مكان المدينة الرابعة القديمة المسماة (Djahanpenah) (III، 217).

عادوا إلى القصر ثم رجعوا إلى الوزير ثم عادوا إلى القصر ونحن وقوف ثم امرنا بالحلوس في سقيف هنالك، ثم أتوا بالطعام وأتوا بقلال من الذهب يسمونها السنين، بضم السين والياء آخر الحروف، وهي مثل القدور، ولها مرافع من الذهب تجلس عليها، يسمونها السنبك، بضم السين وبضم الباء الموحدة، وأتوا بأقداح وطسوت و أباريق كلها ذهب، وجعلوا الطعام سماطين، وعلى كل سماط صفان، ويكون في رأس الصف كبير القيم الواردين

378/3

ولما تقدمنا للطعام خدّم الحجاب والنقباء، وخدمنا لخدمتهم، ثم أتوا بالشربة فشربنا، وقال الحجاب : بسم الله، ثم أكلنا وأتوا بالفقاع ثم بالتنبول، ثم قال الحجاب : بسم الله، فخدمنا جميعاً، ثم دُعينا إلى موضع هنالك فخلع علينا خلع الحرير المذهبة، ثم أتوا بنا إلى باب القصر فخدمنا عنده، وقال الحجاب : بسم الله، ووقف الوزير ووقفنا معه، ثم أخرج من داخل القصر تخت ثياب غير مخيطة من حرير وكتان وقطن، فأعطى كل واحد منا نصيبه منها، ثم أتوا بطيفور ذهب فيه الفاكهة اليابسة، وبطيفور مثله فيه الجلاب وطيفور ثالث فيه التنبول.

379/3

ومن عاداتهم أن الذي يُخرج له ذلك يأخذ الطيفور بيده ويجعله على كاهله ثم يخدم بيده الأخرى إلى الأرض، فأخذ الوزير الطيفور بيده قصد أن يعلمني كيف أفعل إيتاسا منه وتواضعاً ومبرة، جزاه الله خيراً، ففعلت كفعله، ثم انصرفنا إلى الدار المعدة لنزولنا بمدينة دهلي، وبمقربة من دروازة بالم منها (81)، وبعثت لنا الضيافة.

ذكر الضيافة

ولما وصلت إلى الدار التي أعدت لنزولي وجدت فيها ما يحتلج إليه من غرش وبسط وحصر واوان وسرير الرقاد، وأسرتهم بالهند خفيفة الحمل، يحمل السرير منها الرجل الواحد، ولا بد لكل أحد أن يستصحب السرير في السفر يحمله غلامه على رأسه وهو أربع قوائم مخروطة، يعرض عليها أربعة أعواد، وتنسج عليها صفان من الحرير أو القطن، فإذا نام الانسان عليه لم يحتاج إلى ما يرطبه به لأنه يعطي الرطوبة من ذاته

380/3

وجاءوا مع السرير بمضربتين ومخدتين ولحاف، كل ذلك من الحرير وعاداتهم أن يجعلوا للمضربات واللحوف وجوهاً تغشيها من كتان أو قطن بيضا، فمتى توسخت غسلوا الوجوه المذكورة وبقي ما في داخلها مصوناً

(81) تقع هذه الدار جنوب غربي المدينة - III، 149.

وأتوا تلك الليلة برجلين أحدهما الطاحوني وسمونه الخراص والآخر الجزار ويسمونه القصاب، فقالوا لنا : خذوا من هذا كذا وكذا من الدقيق. ومن هذا كذا وكذا من اللحم، لأوزان لا أذكرها الآن.

381/3

وعادتهم أن يكون اللحم الذي يعطون بقدر وزن الدقيق، وهذا الذي ذكرناه ضيافة أم السلطان، وبعد ذلك وصلتنا ضيافة السلطان، وسنذكرها، ولما كان من غد ذلك اليوم ركبنا إلى دار السلطان وسلمنا على الوزير فأعطاني بذرتين كل بذرة من ألف دينار دراهم، وقال لي هذه سرشششتي (82) ومعناه لغسل رأسك وأعطاني خلعة من المرعر، وكتب جميع أصحابي وخدامي وغلماي فجعلوا أربعة أصناف، فالصنف الأول منها أعطى كل واحد منهم مائتي دينار، والصنف الثاني أعطى كل واحد منهم مائة وخمسين ديناراً، والصنف الثالث أعطى كل واحد مائة دينار، والصنف الرابع أعطى كل واحد خمسة وسبعين ديناراً، وكانوا نحو أربعين، وكان جملة ما أعطوه أربعة آلاف دينار ونيفاً.

382/3

وبعد ذلك عيّنت ضيافة السلطان، وهي ألف رطل هندية من الدقيق، ثلثها من الميرا، وهو الدرمك، وثلثها من الخشكار وهو المدهون، وألف رطل من اللحم، ومن السكر والسمن والسليف (83) والفوفل أرطال كثيرة لا أذكر عددها، وألف من ورق التنبول، والرطل الهندي عشرون رطلاً من أرطال المغرب، وخمسة وعشرون من أرطال مصر. وكانت ضيافة خذا وتزادة أربعة آلاف رطل من الدقيق ومثلها من اللحم مع ما يناسبها مما ذكرناه.

ذكر وفاة بنتي وما فعلوا في ذلك.

ولما كان بعد شهر ونصف من مقدمنا توفيت بنت لي سنّها دون السنة (84)، فاتصل خبر وفاتها بالوزير فأمر أن تدفن في زاوية بناها خارج دروازة بالم بقرب مقبرة هناك لشيخنا ابراهيم القونوي، فدفناها بها، وكتب بخبرها إلى السلطان فاتاه الجواب في عشى اليوم الثاني، وكان بين متصيد السلطان وبين الحضرة مسيرة عشرة أيام.

383/3

وعادتهم أن يخرجوا إلى قبر الميت صبيحة الثالث من دفنه ويفرشون جوانب القبر بالبسط وثياب الحرير ويجعلون على القبر الأزهير، وهي لا تنقطع هناك في فصل من

(82) يعني لأجل الوضوء والقصد في المصطلح إلى الاكرامية. راجع III 226.

(83) سائر النسخ التي بين أيدينا تكتب السليف بالفاء وربما كان هناك تحريف عن كلمة السليف (بالباء) (باللغة الهندية) وهو نوع من الشراب السخن الخاثر مصنوع من سواد نباتة غنية بالمواد الغذائية.

(84) يتعلق الامر بالبنت التي ولدت في اليوم الذي وصل فيه إلى معسكر مرثشيرين في منتصف مارس 1333 = رجب 733 الذي يجعل وصوله إلى دهلي في شهر يناير 1334.

الفصول كالياسمين وثُلَّ شُبُه ٨٦٠، وهي زمر اصفر، وزيبول وهو ابيض، والنسرين وهو على صنفين ابيض واصفر، ويجعلون أغصان التاريخ والليدون بثمارها، وان لم يكن فيها ثمار علقوا منها حبات بالخيوطة، ويصبون على القبر الفواكه اليابسة، وجوز الفارجيل، ويجتمع الناس ويؤتى بالمصاحف سفروين القرآن فإذا خُسر أحدُ ماء الجلاب فسقوه الناس، ثم يصب عليهم ماء الورد صلبا ويعطون التنبول وينصرفون 384/3

ولما كان صبيحه، التقات من بين البنت خرجت عند المسبح على العادة واعدت ما تيسر من ذلك كله، فوجدت الزين قد مر بمرتيب ذلك وامر به راجحة فحُضرت على القبر، وجاء الحاجب شمس الدين المُرشدجي الذي ملقأنا بالسيد، والقاضي نظام الدين الكرواني، وجملة من كبار اهل المدينة ولم تزل الا والقوم المذكورون قد اخذوا مجالسهم والحاجب بين أيديهم وهم يقرأون القرآن، فقعدت مع اصحابي بمقربة من القبر فلما فرغوا من القراءة، قرأ القراء بأصوات حسنة ثم قام القاضي فقرأ رثاء هي البنت المتوفاة وثناء على السلطان، وعند ذكر اسمه قام الناس جميعا قداما فخدموا ثم جلسوا ودعا القاضي دعاء حسنا 385/3

ثم اخذ الحاجب واصحابه براميل ماء الورد فصبوه على الناس ثم داروا عليهم باقداح شربة الثبات ثم فرقوا عليهم التنبول، ثم أتى بإحدى عشرة خلعة لي واصحابي، ثم ركب الحاجب وركبنا معه إلى دار السلطان فخدمنا للسريز على العادة وانصرف إلى منزلي، فما وصلت الا وقد جاء الطعام من دار المخدمية جهان ماملا الدار ودور اصحابي وأكلوا جميعا وأكل المساكين وفصات الأقرام والحلواء والنبات فاقامت بقاياها إياما، وكان فعل ذلك كله بامر السلطان. 386/3

وبعد أيام جاء العتيان من دار المخدمية جهان بالدولة (86) وهي المحفة التي يحمل فيها النساء ويركبها الرجال أيضا وهي شبه السريز سطحها من ضفائر الحرير أو القطن وعليها عود شبه الذي على البوجات عندنا معوج من القصب الهندي المغلوق، ويحملها ثمانية رجال في نوبتين يستريح أربعة ويحمل أربعة، وهذه الدول بالهند كالحمير بديار مصر، عليها يتصرف أكثر الناس. فمن كان له عبيد حملوه ومن لم يكن له عبيد اكترى رجالاً يحملونه، وبالبلد منهم جماعة يسيرة يقفون في الأسواق، وعند باب السلطان وعند ابواب الناس للكراء وتكون دول النساء مغطاة بغشاء منير، وكذلك كانت هذه الدولة التي أتى الفتيان بها من دار أم السلطان فحملوا فيها جارييتي التي هي أم البنت المتوفاة، وبعثت أنا معها عن هدية جارية تركية، فاقامت الجارية أم البنت عندهم ليلة وجاءت في اليوم الثاني وقد 387/3

(85) انظر (III، 150 - 86) انظر (III، 304)

اعطوها الف دينار دراهم واساور ذهب مرفوعة وبها من الذهب مرفوعة أيضا وقميص كتان مزرقة بالذهب وخضعة خبز مذهب وخبز مشاي، وبذلك كله اعطيتهم لأصحابي، وللتجار الذين لهم على الدين محافظة على نفسي وصدا اعرضي لأن المخبرين يكتبون إلى السلطان بجمع احوالي

ذكر إحسان السلطان والوزير إلى في أيام غيبة السلطان عن الحضرة

وفي أثناء مقامي امر السلطان من تعيين لي من القرى ما يكون فائدة خمسة آلاف دينار في السنة، فعينها لي الوزير واهل الديوان وخرجوا إليها ففتحت قرية سمي بدلي، بفتح الباء الموحدة وفتح الدال المهملة وكسر اللام، وقرية سمي سبي، بفتح الباء الموحدة والسين المهملة وكسر الهاء، ونصف قرية تسمى نرد، بفتح الباء الموحدة واللام والراء، وهذه القرى على مسافة ستة عشر كروها وهو الميل بصري، يعرف بصري هذبت، والصادي عندهم مجموع مائة قرية، واحواز المدينة مقسمة اصدا، كل صبي من جوارقي ١٠٠ وهو شيخ من كفار تلك البلاد، ومتصرف، وهو الذي يضم مجابها

وكان قد وصل في ذلك الوقت سبي من الكفار فبعث الوزير الي عشرين جوار منه فاعطيت الذي جاء بين واحدة منهم، فما رضي بذلك واحدا اصحابي ثلاثا صغارا منهم، وباقيهم لا اعرف ما اتفق لهم، والسبي هناك رخيص لأنهم قدرات لا يعرفون مصالح الخضر والمعلمات رخيصات الاثمان، فلا يفتقر احد إلى شراء السبي

والكفار ببلاد الهند في بن متصل ببلاد منصلة مع المسلمين، والمسلمون غالبون عليهم، وإنما يمتنع الكفار بالجيل والاورغار، ولهم غيصات من القصب، وقصبهم غير مجوف، ويعظم، والتف بعضه على بعضه على بعض ولا تؤثر فيه النار، وله قوة عظيمة فيسكنون تلك الغياض، وهي لهم مثل السور وبداخلها تكون مواشهم وزروعهم، ولهم فيها المياه مما يجتمع من ماء المطر فلا يُقدر عليهم إلا بالعساكر القوية من الرجال الذين يدخلون تلك الغياض ويقطعون تلك القصب بالات معدة لذلك

(١٨٦) (التعليق) في الاصطلاح المغربي ظرف صغير يكون من خشب أو من سعف تجعل فيه الاغراض الثمينة كالصحف أو نحوها، وكان مما يهوى من العرب إلى رؤساء الدول في العصور القديمة التاريخ الدبلوماسي للمغرب تأليف د. الطازي ج ١ ص ١١٠

(١٨٨) هذه القرى توجد دائما في الشمال والشمال الشرقي للمدينة ولكن جميع الضواحي الكبرى لاهلي الجديدة - صدي نعي مائة

(١٨٩) جيومري (Géoméri) حسب ما يستفاد من رأي (D'ARAND) فانه شخصيه تمثل أهل البادية متكلفة بالخدمات الادارة لمشروعاتهم المختلفة

ذكر العيد الذي شهدته أيام غيبة السلطان

وأظن عيد الفطر ١٩٠٠ والسلطان لم يعد بعد إلى الحضرة فلما كان يوم العيد ركب الخياط على الفيل وقد مُنِد له على ظهره شبه السريز وركبت أربعة أعلام في أركانها الأربعة ولبس الخياط ثياب السواد وركب المؤذنون على الغيلة مكبرون أصابعهم وركب فقهاء المدينة وقضاةها وكل واحد منهم يستصحب صدقة يتصدق بها حين الخروج إلى المصلى، ونصب على المصلى صيوان قطن وقُرش بسيط واجتمع الناس ذاكرين لله، تعالى، ثم صلى بهم الخياط وخطب وانصرف الناس إلى منازلهم وانصرفنا إلى دار السلطان، وجعل الضعاف، فحضره الملوك والأمراء والأعراف وهم الغرباء واكفوا وانصرفوا

391/3

ذكر قدوم السلطان ولقائنا له

ولما كان في رابع شوال نزل السلطان في قصر يسمى قلعة التاج، بكسر التاء، المعلّوة الأولى وسكون اللام وفتح الهمزة، الموحدة ثم تـ كالاولى، وهي على مسافة سبعة أميال من الحضرة، فامرنا الوزير بالحروج إليه فخرجنا، ومع كل إنسان هدية من الخيل والجمال والفواكه الخراسانية والسيوف المصرية والمماليك، والغنم الجلوبة من بلاد الأتراك، فوصلنا إلى باب القصر وقد اجتمع جميع القادمين فكانوا يدخلون إلى السلطان على قدر مراتبهم ويخلع عليهم ثياب الكتان المزركشة بالذهب

392/3

ولما وصلت النوبة إلي دخلت فوجدت السلطان قاعداً على كرسي فظننته أحد الحجاب حتى رأيت معه ملك الندماء ناصر الدين الكافي الهروي، وكنت عرفته أيام غيبة السلطان، فخدم الحجاب فخدمت، واستقبلني أمير حجاب وهو ابن عم السلطان المسمى بفيروز، وخدمت ثانية لخدمته، ثم قال لي ملك الندماء بسم الله، مولانا بدر الدين، وكانوا يدعونني بأرض الهند بدر الدين وكل من كان من أهل الطلب إنما يقال له مولانا، فقربت من السلطان حتى أخذ بيدي وصافحتني وامسك يدي وجعل يخاطبني بأحسن خطاب، ويقول لي باللسان

(90) يوافق 4 يونيو 1334.

(91) رابع شوال يوافق 8 يونيو 1334 - تزايد الضرائب في دواب (DOAB) تسبب في قيام ثورة بدون شك حوالي سنة 733=1333 محمد بن تغلق الذي كان في تلك الفترة أنشأ عاصمته في دولة آباد وقام هناك بحملة تأديبية أدت إلى دمار الاقائيم التي سقى في الجنوب الشرقي لدلهي عن بولاند شهر (Bulandshahr) إلى كامنودج (Kamoudj)

(92) تليّت ذكر هذا العلم الجغرافي كذلك من قبل المصادر كملك مدعاء للصيد لعلنا الدين الخلجي حيث كان الأخير على وشك أن تغسل فيه من لبن ابن أخيه (III, 125) وهو يقع شرق دلهي بيد أن قدر المسافة بخلاف من مصدر إلى آخر.

الفارسي : حلت البركة، قدومك مبارك أجمع خاطرك، أعمل معك من المراحم وأعطيك من الإنعام ما يسمع به أهل بلادك فيأتون إليك. ثم سألتني عن بلادي فقلت له : بلاد المغرب، فقال لي : بلاد عبد المؤمن (93) ؟ فقلت له : نعم. وكان كلما قال لي كلاماً جيداً قبلت يده حتى قبلتها سبع مرّات، وخلع عليّ وأنصرفت.

393/3

واجتمع الواردون فمدّ لهم سماط ووقف على رؤوسهم قاضي القضاة صدر الجهان ناصر الدين الخوارزمي، وكان من كبار الفقهاء، وقاضي قضاة الماليك صدر الجهان كمال الدين الغزنوي، وعماد الملك عرض الماليك، والملك جلال الدين الكيجي (94)، وجماعة من الحجاب والأمراء، وحضر لذلك خذاوندزادة غياث الدين ابن عم خذاوندزادة قوام الدين قاضي الترمذ الذي قدم معنا، وكان السلطان يعظمه ويخاطبه بالأخ وتردّد إليه مراراً من بلاده .

394/3

والواردون الذين خلّع عليهم في ذلك هم خذاوندزادة قوام الدين وإخوته ضياء الدين، وعماد الدين، وبرهان الدين وابن اخته أمير بخت ابن السيد تاج الدين، وكان جدّه وجيه الدين وزير خراسان، وكان خاله علاء الدين أمير الهند ووزيراً أيضاً، والأمير هبة الله بن الفلكي التبريزي، وكان أبوه نائب الوزير بالعراق، وهو الذي بنى المدرسة الفلكية بتبريز (95)، وملك كراي من أولاد بهرام جور (96) صاحب كسرى، وهو من أهل جبل بدخشان (97) الذي منه يجلب الياقوت البلخش واللازورد، والأمير مبارك شاه السمرقندي وأرون بغا البخاري وملك زادة الترمذي وشهاب الدين الكازروني (98) التاجر الذي قدم من تبريز بالهدية إلى السلطان فسلب في طريقه.

395/3

(93) عبد المؤمن بن علي الكومي : أبو محمد أمير المؤمنين مؤسس دولة الموحدين المؤمنية حج والتقّى بابن تومرت ... وانتهى الأمر - بعد وفاة ابن تومرت - إلى مبايعته البيعة العامة عام 524=1129 وجاعته بيعة أهل الاندلس فخضعت له المغرب، وأنشأ الأساطيل وضرب الخراج على قبائل المغرب، أدركه أجله في رباط سلا عام 558=1163 ونقل إلى تينمل جنوب المغرب فدفن فيها إلى جانب قبر ابن تومرت ابن صاحب الصلاة تاريخ المن بالإمامة... HOPKINS : IBN SAHIB AL SALAT. ENCY. N.E.

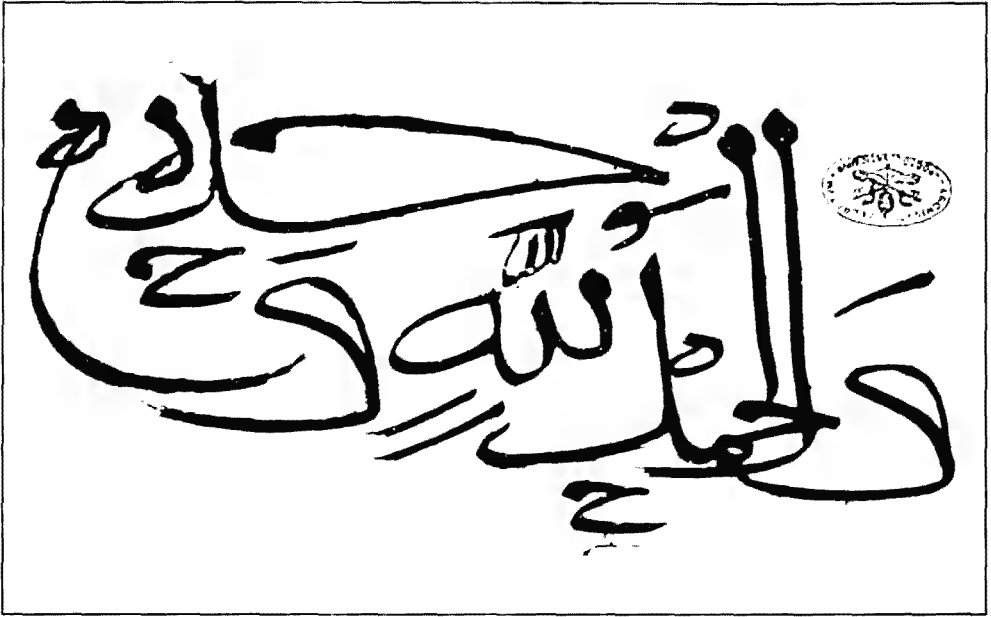
(94) جلال الدين حاكم أوجه كما تقدم III 115-116-1359.

(95) المدرسة الفلكية توجد في الحقيقة بمراغة التي لاتبعد عن مدينة تبريز سوى بنحو 150 كم على ما أخبرنا به رفاقنا ونحن في تبريز يوم 1996/6/5

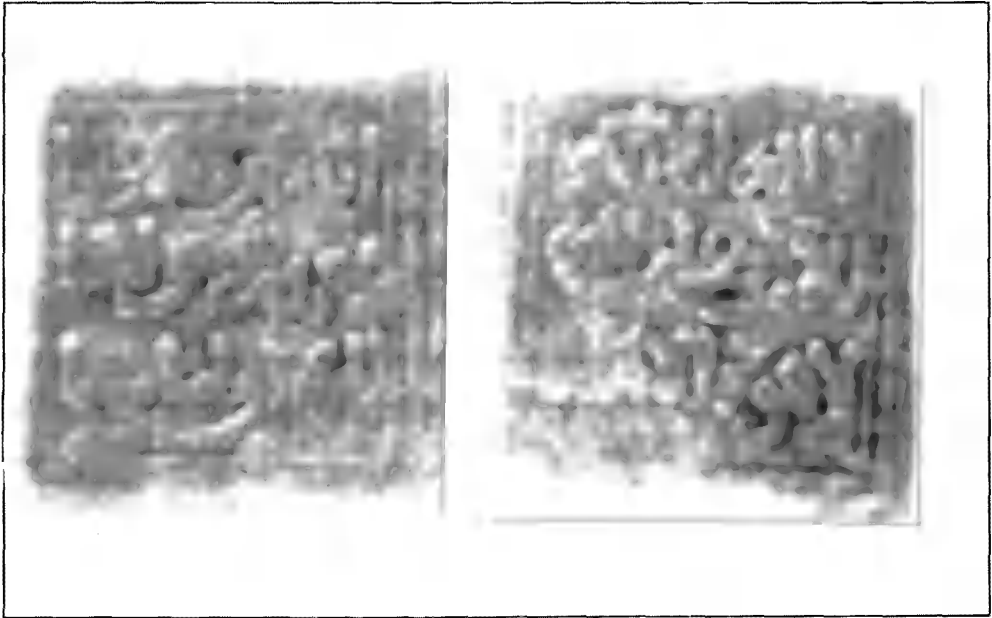
(96) بهرام جور الساساني بطل الشاهنامه الملحمة الفارسية نظم أبي القاسم الفردوسي ترجمة الفتح البنداري، تصحيح وتعليق د. عبد الوهاب عزّام - مكتبة الأسد - طهران 1970.

(97) حول بدخشان انظر III 59-86.

(98) حول تاريخ هذه الشخصية، انظر III 244-248.



علامة الخليفة عبد المؤمن



قبراط مومني ضرب بسببة عثرت عليه في مدينة (مافرا) جنوب البرتغال

ذكر دخول السلطان إلى حضرته وما أمر لنا به من المراكب

وفي الغد من يوم خروجنا إلى السلطان أعطى كل واحد منّا فرساً من مراكب السلطان عليه سرج ولجام مُحليّان، وركب السلطان لدخول حضرته وركبنا في مقدّمته مع صدر الجهان وزيّت الفيلة أمام السلطان وجعلت عليها الأعلام ورفعت عليها ستّة عشر شطراً، منها مزركشة ومنها مرصّعة ورفع فوق رأس السلطان شطر منها وحملت أمامه العاشية، وهي ستارة مرصّعة، وجعل على بعض الفيلة رِغادات صفار، فلمّا وصل السلطان إلى قرب المدينة رُمي في تلك الرِغادات بالذّنانير والدراهم مختلطة، والمشاة بين يدي السلطان وسواهم ممّن حضر يلتقطون ذلك، ولم يزالوا ينثرونها إلى أن وصلوا إلى القصر (٩٩)، وكان بين يديه ألف من المشاة على الأقدام وصنعت قباب الخشب المكسوة بشباب الحرير وفيها المغنّيات حسبما ذكرنا ذلك.

396/3

ذكر دخولنا إليه وما أنعم به من الإحسان والولاية

ولما كان يوم الجمعة ثاني يوم دخول السلطان أتينّا باب المشور فجلسنا في سقائف الباب الثالث، ولم يكن الإذن حصل لنا بالدخول وخرج الحاجب شمس الدين الفوشنجي فأمر الكتاب أن يكتبوا اسماعنا وأذن لهم في دخولنا ودخول بعض أصحابنا وعيّن للدخول معي ثمانية، فدخلنا ودخلوا معنا ثمّ جاؤا بالبدر والقَبّان، وهو الميزان، وقعد قاضي القضاة والكتاب ودعوا من بالباب من الأعزّة، وهم الغرياء، فعينوا لكلّ إنسان نصيبه من تلك البدر فحصل لي منها خمسة آلاف دينار، وكان مبلغ المال مائة ألف دينار تصدّقتُ به أمّ السلطان لما قدّم ابنها، وانصرفنا ذلك اليوم.

397/3

وكان السلطان بعد ذلك يستدعينا للطعام بين يديه ويسأل عن أحوالنا ويخاطبنا بأجمل كلام، ولقد قال لنا في بعض الأيام: انتم شرفتمونا بقدومكم فما نقدر على مكافأتكم، فالكبير منكم مقام والدي والكهل مقام أخي والصغير مقام ولدي، وما في ملكي أعظم من مدينتي هذه أعطيتكم إياها فشكرناه، ودعونا له، ثمّ بعد ذلك أمر لنا بالمرتبات فعين لي اثني عشر ألف دينار في السنة وزادني قريتين على الثلاث التي أمر لي بها قبل، إحداهما قرية جَوْزَة والثانية قرية ملك بُور.

398/3

وفي بعض الأيام بعث لنا خذاً وندزاده غياث الدين وقطب الملك صاحب السند فقالا لنا: إن خوند عالم يقول لكم: من كان منكم يصلح للوزارة أو الكتابة أو الامارة أو القضاء

(٩٩) كان مثل هذه المعلومات الطريقة مما لم تتسع له صدور خصوم الرحالة المغربي !!

أو التدريس أو المشيخة أعطيته ذلك ! فسكت الجميع لأنهم كانوا يريدون تحصيل الأموال والانصراف إلى بلادهم ! وتكلم أمير بخت ابن السيد تاج الدين الذي تقدم ذكره، فقال : أما الوزارة فميراثي، وأما الكتابة فشغلي، وغير ذلك لا أعرفه، وتكلم هبة الله ابن الفلكي فقال مثل ذلك، وقال لي خذاً ونذرأدة بالعربي : ما تقول أنت ياسيدي^٩ وأهل تلك البلاد لا يدعون العربي إلا بالتسويد، وبذلك يخاطبه السلطان تعظيماً للعرب، فقلت له : أما الوزارة والكتابة فليست شغلي، وأما القضاء والمشیخة فشغلي وشغل آبائي، وأما الامارة فتعلمون أن الأعاجم ما أسلمت إلا بأسيايف العرب ! فلما بلغ ذلك إلى السلطان أعجبه كلامي. وكان السلطان بهزار أسطون يأكل الطعام فبعث عنا فاكلنا بين يديه وهو يأكل، ثم انصرفنا إلى خارج هزار اسطون وقعد أصحابي، وانصرفت بسبب دمل كان يمنعني الجلوس فاستدعانا السلطان ثانية فحضر أصحابي واعتذروا عني، وجئت بعد صلاة العصر فصليت بالمشور المغرب والعشاء الآخرة.

399/3

400/3

ثم خرج الحاجب فاستدعانا فدخل خذاًوند زادة ضياء الدين، وهو أكبر الإخوة المذكورين فجعله السلطان أمير داد (100)، وهو من الأمراء الكبار فجلس بمجلس القاضي، فمن كان له حق على أمير أو كبير أحضره بين يديه، وجعل مرتبه على هذه الخطة خمسين ألف دينار في السنة، عيّن له مجاشر (101) فأندها ذلك المقدار، فأمر له بخمسين ألفاً عن يد، وخلع عليه خلعة حرير مزركشة تسمى صورة الشير، ومعناه صورة السبع لأنه يكون في صدرها وظهرها صورة سبع، وقد خيط في باطن الخلعة بطاقة بمقدار مارزكيش فيها من الذهب، وأمر له بفرس من الجنس الأول، والخيول عندهم أربعة اجناس، وسروجهم كسروج أهل مصر، ويكسون أعظمها بالفضة المذهبة.

401/3

ثم دخل أمير بخت فأمره أن يجلس مع الوزير في مسنده، ويقف على محاسبات الدواوين، وعيّن له مرتباً أربعين ألف دينار في السنة، أعطى مجاشر فأندها بمقدار ذلك، وأعطى أربعين ألفاً عن يد، وأعطى فرساً مجهزاً، وخلع عليه كخلعة الذي قبله، ولقب شرف الملك.

ثم دخل هبة الله ابن الفلكي فجعله رسول دار (102)، ومعناه حاجب الأرسال وعيّن له مرتباً أربعة وعشرين ألف دينار في السنة، أعطى مجاشر يكون فأندها بمقدار ذلك، وأعطى

(100) حاكم التحقيق القضائي مكلف كذلك بتطبيق العقوبات.

(101) المجاشر ج مجشر تستعمل في بلاد المغرب بمعنى القرية الصغيرة، وربما اختصر مجشر إلى كلمة دشر ... يقال فلان من دشر قبيلة كذا وقد خفي المصطلح على بعض المعلقين الأجانب...

(102) رسول دار : تعني ما يشبه وزير الخارجية ويعني بالأرسال : السفراء، وقد وردت صيغة هذا الجمع على هذا النحو عند كثير من المؤرخين بمن فيهم ابن خلدون، ويظهر أنه جمع الجمع رسل (جمع رسول) على وزن قفل، ج أرسال كاقفال... وفي بعض المخطوطات (صاحب) عوض حاجب.

402/3 أربعة وعشرين ألفاً عن يد. وأعطى فرساً مجهّزاً، وخلعة، وجعل لقبه بهاء الملك، ثم دخلت فوجدت السلطان على سطح القصر مستنداً إلى السرير والوزير خواجه جهان بين يديه والملك الكبير قبّولة واقفٌ بين يديه فلما سلّمت عليه، قال لي الملك الكبير : اخدم، فقد جعلك خوند عالم قاضي دار الملك : دهلي، وجعل مرتبك اثني عشر ألف دينار في السنة، وعيّن لك مجاشر بمقدارها وأمر لك باثني عشر ألفاً نقداً تأخذها من الخزانة غداً إن شاء الله وأعطاك فرساً بسرجه ولجامه، وأمر لك بخلعة محاريبي وهي التي يكون في صدرها وظهرها شكل محراب، فخدمتُ وأخذ بيدي فتقدّم بي إلى السلطان فقال لي السلطان : لا تحسب قضاء دهلي من أصغر الأشغال، وهو أكبر الأشغال عندنا، وكنت أفهم قوله ولا أحسن الجواب عنه وكان السلطان يفهم العربي ولا يحسن الجواب عنه، فقلت له : يامولانا على مذهب مالك وهؤلاء حنفيّة، وأنا لا أعرف اللسان، فقال لي : قد عيّنت بهاء الدين الملتاني وكمال الدين البجنوريّ ينويان عنك ويشاورانك وتكون أنت تسجل على العقود، وأنت عندنا بمقام الولد، فقلت له : بل عبدكم وخديمكم، فقال لي باللسان العربي : بل أنت سيدنا ومخدمنا، تواضعاً منه وفضلاً وإيناساً، ثم قال لشرف الملك أمير بخت، وإن كان الذي رتبّ له لا يكفيّه لأنّه كثير الانفاق فأنا أعطيه زاوية إن قدر على إقامة حال الفقراء وقال : قل له هذا بالعربي، وكان يظنّ أنّه يحسن العربي، ولم يكن كذلك، وفهم السلطان ذلك، فقال له برزويكجا بخصبي وأنّ حكاية برّأ وبكوي ونفهم كُني تا فردا إنّ شاء الله بيش من بيابي جواب أو بكوي (103)، معناه امشوا الليلة فارقدوا في موضع واحد، وفهمه هذه الحكاية فإذا كان بالغد إن شاء الله تجيء الي وتعلّمني بكلامه.

405/3 فانصرفنا وذلك في ثلث الليل، وقد ضربت النوبة، والعادة عندهم إذا ضربت لا يخرج أحد فانتظرنا الوزير حتّى خرج وخرجنا معه، ووجدنا أبواب دهلي مسدودةً فبتنا عند السيّد أبي الحسن العبّادي العراقي بزقاق يعرف سرابور خان، وكان هذا الشيخ يتجرّ بمال السلطان ويشترى له الأسلحة والأمتعة بالعراق وخراسان.

ولما كان بالغد بعث عنّا فقبضنا الأموال والخيل والخلع وأخذ كلّ واحد منّا البدرة بالمال فجعلها على كاهله، ودخلنا كذلك على السلطان فخدمنا، وأتينا بالأفراس فقبّلنا حوافرها بعد أن جعلت عليها الخرق، وقُدناها بأنفسنا إلى باب دار السلطان فركبناها، وذلك كلّه عادة عندهم ثمّ انصرفنا وأمر السلطان لأصحابي بألفي دينار وعشر خلع ولم يعط

(103) نقبتس من البروفيسور كيب هذه العبارة الفارسية الواردة في النص

BIRAY WA-Yakja bikhushu Wa an hukayah bar u bigu'i Wa-Fathim Kuni ta tarda in sha'allah pish man biya'i jawabi u bigu'i - III P. 748.

لأصحاب أحد سواي شينا، وكان اصحابي لهذا واء وسفر فاعجبا السلطان بمشورة
يديه وشكرهم 406/

ذكر عطاء ثان أمر لي به وتوقفه مدة

وكنيت يوما بالمشور بعد اسم من تولي القضاة والأحكام لي ذات مرة بحث سحره
هناك، وإلى جاني مولانا ناصب الدس الترمذي من العالم الفاضل فاسي بعض الحجاب
فدعا مولانا ناصر الدين فدخل إلى السلطان فخلع عليه وأعطاه مصحفا مكتوبا بالجوف

ثم اتاني بعض الحجاب فقل اعطني شينا وأعطاني خط جريد مكتوب على سبب الفاسد
بها خوند عالم، فلم أصدقته وظننته يريد الحصة علي، وقد سمعت في كلامه ففعل بعض
الأصحاب أنا أعطيه، فأعطاه دينارين أو ثلاثة وأعطاني خط جريد، وأعطاه الدس الترمذي
بتعريف الحاجب، ومعناه: أمر خوند عالم أن يعطي من الميراث ما كان له من حصة
فلان أي بتعريفه، ويكتب المبلغ اسمه ثم يكتب على كل الميراث ثلاثة عشر ألف درهم
الاعظم قطلو خان معلم السلطان، والمريضة دار، وهذا ما كان جريدته المذكورة
والأمير نكبة الدوادار صاحب الدواد، فإذا كتب كل واحد منهم خطه طلبت من
ديوان الوزارة فيسسخها كتاب الديوان عندهم ثم تُكتب في ديوان الأسراف، ثم تُكتب في
ديوان النظر ثم تُكتب البرؤاة، وهي الحكم من الوزير للمدعي، ثم يسلف الحجاب في
ديوانه، ويكتب تخيصا في كل يوم بمبلغ ما أمر به السلطان ذلك المدة في المال بعد
عليه، فمن أراد التعجيل بعطائه أمر بتعجيله، ومن أراد التوقيف وقف له، ولاكن لا بد من
عطاء ذلك، ولو طالت المدة فقد توقفت هذه الآلة عشر الف سنة أشهر، ثم أخذت مع عمره
حسبما يأتي

وعادتهم إذا أمر السلطان بأحد نخط منه العطاء فليس له ما لا يريد ذلك
أعطى تسعين ألفا أو بعشرة آلاف أعطى تسعة آلاف

ذكر طلب الغرماء مألهم قبلي ومدحي للسلطان وأمره بخلاص ديني وتوقف ذلك مدة

وكنيت حسبما ذكرته، قد استندت من التجار مالا انفقته في طريقي وما صعبت به
الهدية للسلطان، وما انفقته في إقامتي فلما أرادوا السفر إلى بلادهم الحواري في صدد
ديونهم فمدحت السلطان بقصيدة طويلة أولها

(104) ورد ذكر هذه الشخصية الذي سيعاد دخلي بحر عماد الدين أوداد، تاريخ (11) 104
الفصل الذي خصصه 259

إليك أمير المؤمنين المبحِلا
فجئت محلاً من علانك زانرا
فلو ان فوق الشمس للمجد رتبة
فانت الإمام الماجدُ الا وحدُ الذي
ولي حاجة من فيض جودك أرتجي
أذكرُها أم قد كفاني حياؤكم
فَعَجَلُ لمن وافى محلَّك زانرا
أتينا نجدَ السير نحوك في الفلا
ومغناك كهفُ للزيارة أهلاً
لكنّ لأعلاها إماماً مؤفلاً
سجاياه حتّماً أن يقول ويفعلاً
قضاها، وقصدي عند مجدك سهلاً
فان حياؤكم ذكره كان أجملأ
قضا دينه، إن الغريم تعجلاً

410/3

فقدّمته بين يديه، وهو قاعد على كرسي، فجعلها على ركبته، وأمسك طرفها بيده
وطرفها الثاني بيدي وكنّت إذا أكملت بيتاً منها أقول لقاضي القضاة كمال الدين الغزنوي
بين معناه لخوند عالم ' فيبينه ويعجب السلطان، وهم يحبّون الشعر العربي، فلما بلغت إلى
قولي فعجل لمن وافى، البيت قال مرّحمة، ومعناه ترحمت عليك، فأخذ الحجاب حينئذ بيدي
ليذهبوا بي إلى موقفهم، وأخدم على العادة، فقال السلطان : اتركوه حتّى يكملها، فأكملتها
وخدمت وهنّاني الناس بذلك واقمت مدةً وكتبْت رُفْعاً، وهم يسمونه عَرْض داشت، فدفعته
إلى قطب الملك صاحب السند، فدفعه للسلطان، فقال له : امض إلى خوجة جهان، فقل له
بُعْطِي دِبه، فمضى إليه وأعلمه، فقال نعم، وأبطأ ذلك أياماً، وأمره السلطان في خلالها
بالسفر إلى دولة آباد، وفي أثناء ذلك خرج السلطان إلى الصيد وسافر الوزير فلم أخذ شيئاً
منها إلا بعد مدة، والسبب الذي توقّف به عطاؤها أذكره مستوفى وهو أنّه لما عزم الذين كان
لهم عليّ الدين على السفر، قلت لهم : إذا أنا آتيت دار السلطان فذرْهُوني على العادة في
تلك البلاد، لعلمي أن السلطان متى يعلم بذلك خلّصهم، وعادتهم أنّه متى كان لأحد دين على
رجل من ذوي العناية وأعوّزه خلاصه وقف له بباب دار السلطان، فإذا أراد الدخول قال له :
ذرْهُني السلطان (105)، وحقّ رأس السلطان، ما تدخل حتّى تخلصني، فلا يمكنه أن يبرح
من مكانه حتّى يخلصه أو يرغب إليه في تأخيرده

411/3

412/3

فاتّفق يوماً أن خرج السلطان إلى زيارة قبر أبيه ونزل بقصر هنالك، فقلت لهم هذا
وقتكم، فلما أردت الدخول وقفوا لي بباب القصر، فقالوا لي : ذرْهُني السلطان، ما تدخل
حتّى تخلصنا ' وكتب كتاب الباب بذلك إلى السلطان فخرج حاجب قصّة، شمس الدين وكان
من كبار الفقهاء فسألهم : لأي شيء ذرْهُمّوه ؟ فقالوا : لنا عليه الدين، فرجع إلى السلطان
فأعلمه بذلك، فقال له : إسألهم كم مبلغ الدين ؟ فسألهم، فقالوا له : خمسة وخمسون ألف

413/3

(105) الكلمة تعني التوسل للسلطان حتّى ينصف المظلوم، دروهای تعني العدل

دينار، فعاد إليه فأعلمه قامره أن يعود إليهم، ويقول لهم : إن خوند عالم يقول لكم : المال عندي وأنا أنصفكم منه فلا تطلبوه به ' .

وأمر عماد الدين السمناني وخداوند زادة غياث الدين أن يقعدوا بهزار أسطون، ويأتي أهل الدّين بعقودهم وينظروا إليها ويتحققوها، ففعلا ذلك. وأتى الغرماء بعقودهم، فدخلوا إلى السلطان وأعلماه بثبوت العقود فضحك، وقال مماًزحاً : أنا أعلم أنه قاض جُزْء شغلها فيها ! ثم أمر خداوند زادة أن يعطيني ذلك من الخزانة فطمع في الرشوة على ذلك وامتنع أن يكتب خطاً خرد، فبعثت إليه مانتتي تَنَكَّة، فردّها ولم يأخذها، وقال لي عنه بعض خدامه : إنه طلب خمسمائة تَنَكَّة فامتنعت من ذلك، وأعلمت عميد الملك بن عماد الدين السمناني بذلك، فأعلم به أباه وعلمه الوزير وكانت بينه وبين خداوند زادة عداوة، فأعلم السلطان بذلك وذكر له كثيراً من أفعال خداوند زادة فغيّر خاطر السلطان عليه، فأمر بحبسه في المدينة وقال : لأي شيء أعطاه فلان ما أعطاه، ووقفوا ذلك حتّى يُعْلَم هل يُعْطى خداوند زادة شيئاً إذا منعتُه أو يمنعه إذا أعطيته ؟! فبهذا السبب توقّف عطاء ديني.

414/3

ذكر خروج السلطان إلى الصيد وخروجه معه وما صنعتُ في ذلك

ولما خرج السلطان إلى الصيد خرجت معه من غير تربّص وكنت قد أعددت ما يحتاج إليه وعملت ترتيب أهل الهند فاشتريت سراجة وهي أفراج، وضربتها هناك مباح ولا بدّ منها لكبار الناس وتمتاز سراجة السلطان بكونها حمراء وسواها بيضاء، منقوشة بالأزرق، واشتريت الصيوان، وهو الذي يظلّ به داخل السراجة، ويرفع على عمودين كبيرين ويحمل ذلك الرجال على أعناقهم، ويقال لهم : الكيوانية.

415/3

والعادة هناك أن يكتري المسافر الكيوانية، وقد ذكرناها، ويكتري من يسوق له العشب لعلف الدواب لأنهم لا يطعمونها التبن، ويكتري الكهارين (106) وهم الذين يحملون أواني المطبخ، ويكتري من يحمله في الدولة، وقد ذكرناها، ويحملها فارغة، ويكتري الفراشين وهم الذين يضربون السراجة ويفرشونها ويرفعون الأحمال على الجمال، ويكتري الدواذوية وهم الذين يمشون بين يديه ويحملون المشاعل بالليل فاكترت أنا جميع من احتجت له منهم، وأظهرت القوة والهمة ! وخرجت يوم خروج السلطان، وغيري أقام بعده اليومين والثلاثة

416/3

فلما كان بعد العصر من يوم خروجه ركب الفيل، وقصده أن يتطعم على أحوال الناس

(106) الكهارين ج كَهَار (KAHARS) حاملوا الماء، ما نسميه في المغرب الكتراب نسبة إلى القرية انظر III، 44-369 حول افراج والكيوانية ص 427.



Figure 1. A group of people in a field, possibly a school or community gathering.

ويعرف من تسارع إلى الخروج ومن أبطأ^١ وجلس خارج السراجة على كرسي فجنت وسلّمت ووقفت في موقف باليمين، فبعث إليّ الملك الكبير قبولة سرّجامدار^(١٠٧) وهو الذي يشردُ الذباب عنه، فأمّرني بالجلوس عناية بي ولم يجلس في ذلك اليوم سواي ثم أتى بالفيل والصق به سلّم، فركب ورفّع الشطر فوق رأسه، وركب معه الخواص وجال ساعة ثم عاد إلى السراجة

417/3

وعادته إذا ركب أن يركب الأمراء أفواجا، كلّ أمير بفوجه وعلاماته وطبوله وأنفاره وصرّنا ياته، ويسمّون ذلك المراتب، ولا يركب أمام السلطان إلّا الحجاب وأهل الطرب والطبالة الذين يتقلّدون الأبطال الصغار والذين يضربون الصرنايات، ويكون عن يمين السلطان نحو خمسة عشر رجلا، وعن يساره مثل ذلك، منهم قضاة القضاة والوزير وبعض الأمراء الكبار وبعض الأعزّة، وكنت أنا من أهل ميمنته، ويكون بين يديه المشاؤون والأدلاء، ويكون خلفه علاماته وهي من الحرير المذهب، والأبطال على الجمال، وخلف ذلك مماليكه وأهل دخلته. وخلفهم الأمراء وجميع الناس، ولا يعلم أحد أين يكون النزول، فإذا مرّ السلطان بمكان يعجبه النزول به أمر بالنزول، ولا تضرب سراجة أحد حتّى تضرب سراجته، ثم يأتي الموكلون بالنزول فينزّلون كلّ أحد في منزله

418/3

وفي خلال ذلك ينزل السلطان على نهر أو بين أشجار، وتقدّم بين يديه لحوم الأغنام والدجاج المسنّنة والكراكي وغيرها من أنواع الصيد، ويحضر أبناء الملوك، وفي يد كلّ واحد منهم سقود، ويوقدون النار ويشتّون ذلك، ويوتي بسراجة صغيرة فتضرب للسلطان ويجلس من معه من الخواص خارجها، ويؤتى بالطعام ويستدعى من شاء فيأكل معه. وكان في بعض تلك الأيام، وهو بداخل السراجة، يسأل عمّن بخارجها، فقال له السيّد ناصر الدين مطهر الأوهري، أحد ندماه: ثمّ فلان المغربي، وهو متغيّر! فقال: لماذا؟ فقال: بسبب الدين الذي عليه وغرماؤه يلحّون في الطلب، وكان خوند عالم قد أمر الوزير باعطائه فسافر قبل ذلك، فإن أمر مولانا أن يصبر أهل الدين حتّى يقدم الوزير أوامر بإنصافهم؟ وحضر لهذا الملك دولة شاه، وكان السلطان يخاطبه بالعمّ، فقال: ياخوند عالم! كلّ يوم هو يكلمني بالعربية ولا أدري ما يقول، يا سيدي ناصر الدين: ماذا؟ وقصد أن يكرّر ذلك الكلام، فقال: يتكلم لأجل الدين الذي عليه، فقال السلطان: إذا دخلنا دار الملك فامض أنت يا أومار، ومعناه: ياعم إلى الخزانة فأعطه ذلك المال، وكان خذا وند زادة حاضرا فقال: ياخوند عالم، إنه كثير الإنفاق وقد رأيت ببلادنا عند السلطان طرّمشيرين.

419/3

420/3

(١٠٧) السرجامدار SAR-Jamadar المشرف على دولا ب ملابس السلطان ونرى أنه هنا بمعنى الذي يطرد الذباب عن السلطان، ويصحب هذا الموظف مندبل أبيض ويتقدم الركب الملكي وهو يلوح بين الفينة والأخرى بمنديله في الهواء لطرد الذباب وتلطيف المناخ

وبعد هذا الكلام استحضرني السلطان للطعام ولا علم عندي بما جرى، فلما خرجت قال لي السيد ناصر الدين : اشكر للملك دولة شاه، وقال لي الملك دولة شاه : أشكر لخواوند زادة!

وفي بعض تلك الأيام، ونحن مع السلطان في الصيد ركب في المحلة وكان طريقه على منزلي وأنا معه في المينة وأصحابي في الساقية، وكان لي خباء عند السراجة فوقف أصحابي عندها وسلموا على السلطان، فبعث عماد الملك وملك دولة شاه ليسالاً : لمن تلك الأخبية والسراجة ؟ فقليل لهما : لفلان، فأخبراه بذلك، فتبسّم، فلما كان الغد نفذ الأمر أن أعود أنا وناصر الدين مطهر الأوهري (108) وابن قاضي مصر وملك صبيح إلى البلد فخلع علينا وعدنا إلى الحضرة.

421/3

ذكر الجمل الذي أهديته للسلطان

وكان السلطان في تلك الأيام سألني عن الملك الناصر، هل يركب الجمل فقلت له : نعم يركب المهاري في أيام الحج، فيسير إلى مكة من مصر في عشرة أيام، ولكن تلك الجمال ليست كجمال هذه البلاد، وأخبرته أن عندي جملاً منها فلما عدت إلى الحضرة بعثت عن بعض عرب مصر، فصور لي صورة الكور الذي تركب المهاري به، من القير، وأريتها بعض النجارين، فعمل الكور واتقنه وكسوته بالملف، وصنعت له ركبا وجعلت على الجمل عباءة حسنة وجعلت له خطام حريز.

وكان عندي رجل من أهل اليمن يحسن عمل الحلواء فصنع منها ما يشبه التمر وغيره، وبعثت الجمل والحلواء إلى السلطان وأمرت الذي حملها أن يدفعها على يد ملك دولة شاه، وبعثت له بفرس وجمالين، فلما وصله ذلك دخل على السلطان، وقال : ياخوند عالم، رأيت العجب قال : وما ذلك؟ قال : فلان بعث جملاً عليه سرج فقال : انتوا به ! فأدخل الجمل داخل السراجة، وأعجب به السلطان، وقال لراجلي : إركبه، فركبه ومشاه بين يديه، وأمر له بمائتي دينار دراهم وخلعة، وعاد الرجل إلي فأعلمني فسرّني ذلك، وأهديت له جملين بعد عودته إلى الحضرة .

422/3

423/3

(108) حول ناصر الدين هذا انظر 1، 420-III-145-345-348-318-418-419-441

ذكر الجملين الذين أهديتهما إليه والحلواء، وأمره بخلاص ديني وما تعلق بذلك.

ولما عاد إلي راجلي الذي بعثته بالجمال فأخبرني بما كان من شأنه صنعت كورين اثنين وجعلت مُقدم كل واحد ومؤخره مكسواً بصفائح الفضة المذهبة وكسوتهما بالخلف، وصنعت رَسْناً مصقفاً بصفائح الفضة، وجعلت لهما جَلَيْن من زرد خاتة مبطنين بالكُنْخا، وجعلت للجملين الخلاخيل من الفضة، وصنعتُ أحد عشر طيفوراً وملأتها بالحلواء، وغطيت كل طيفور بمنديل حرير، فلما قدم السلطان من الصيد وقعد ثاني يوم قدومه بموضع جلوسه العام، غدوت عليه بالجمال فأمر بها فحركت بين يديه وهزلت، فطار خلخال أحدها فقال ليها الدین بن الفلکی: بایل ورداری، معنی ذلك ارفع الخلخال، فرفعه، ثم نظر إلى الطيافير، فقال: جداری برزان طبعها حلواً است، معنی ذلك: ما معك في تلك الأطباق؟ حلواء هي؟ فقلت له: نعم فقال للفقیه ناصر الدین الترمذی الواعظ: ما أكلت قط ولا رأيت مثل الحلواء التي بعثها إلينا ونحن بالمعسكر.

424/

ثم أمر بتلك الطيافير أن ترفع لموضع جلوسه الخاص، فرفعت وقام إلى مجلسه واستدعاني، وأمر بالطعام، فأكلت، ثم سألني عن نوع من الحلواء الذي بعثت له قبل، فقلت له: يا خوند عالم، تلك الحلواء أنواعها كثيرة ولا أدري عن أي نوع تسألون منها؟ فقال: انتو بتلك الأطباق، وهم يسمون الطيفور طبقاً، فأتوا بها وقدموها بين يديه وكشفوا عنها فقال عن هذا سألتك، وأخذ الصحن الذي هي فيه فقلت له: هذه يقال لها: المقرضة (109)، ثم أخذ نوعاً آخر فقال: وما اسم هذه فقلت له: هي لُقيمات القاضي، وكان بين يديه تاجر من شيوخ بغداد يعرف بالسامري، وينتسب إلى آل العباس رضي الله تعالى عنه، وهو كثير المال ويقول له السلطان: والدي، فحسدني وأراد أن يُخجلني، فقال: ليست هذه لُقيمات القاضي بل هي هذه، وأخذ قطعة من التي تسمى جلد الفرس (110)، وكان بازائه ملك الندماء ناصر الدين الكافي الهروي، وكان كثيراً ما يمازح هذا الشيخ بين يدي السلطان، فقال له: ياخواجه أنت تكذب، والقاضي يقول الحق فقال له السلطان: وكيف ذلك؟ فقال: ياخوند عالم! هو القاضي وهي لُقيماته فأنه أتى بها، فضحك السلطان، وقال: صدقت!

425/

426/

(109) سائر النسخ ترسم المقرضة (بالصاد) إلا النسخة التي تحتفظ به الخزانة العامة بالرباط. فترسم (الضاد) عوض الصاد: المقرضة وهو الاستعمال الذي يجري على الألسنة إلى اليوم في بلاد المغرب وبخاصة في تونس.

(110) عند ما كان ابن بطوطة في زيارته لبعليك تحدث عن حلواء تصنع من مربى يجعل فيها الفستق واللوز ويسمونها بالملبن، كما يسمونها أيضاً بجلد الفرس 1، 186

فلما فرغنا من الطعام أكل الحلواء، ثم شرب الفقاع بعد ذلك، وأخذنا التنبول وانصرفنا، فلم يكن غير هنيئة وأتاني الخازن، فقال : ابعت أصحابك يقبضون المال فبيعتهم وعدت إلى داري بعد المغرب، فوجدت المال بها وهو ثلاث بدر فيها ستة آلاف ومائتان وثلاث وثلاثون شئكة، وذلك صرف الخمسة والخمسين ألفاً التي هي دين علي، وصرف الاثنى عشر ألفاً التي أمر لي بها فيما تقدم بعد حط العشر على عادتهم، وصرف التكنة ديناران ونصف دينار من ذهب المغرب

427/3

ذكر خروج السلطان وأمره لي بالإقامة بالحضرة

وفي تاسع جمادى الأولى خرج السلطان برسم قصد بلاد المعبر (111)، وقتال القائم بها وكنت قد خلصت أصحاب الدين وعزمت على السفر وأعطيت مرتب تسعة أشهر للكهارين والفراشين والكيوانية والدواوية، وقد تقدم ذكرهم، فخرج الأمر بإقامتي في جملة ناس وأخذ الحاجب خطوطنا بذلك لتكون حجة له،، وتلك عادتهم خوفاً من أن ينكر المبلغ، وأمر لي بستة آلاف دينار براهيم، وأمر لابن قاضي مصر بعشرة آلاف، وكذلك كل من أقام من الاعزة (112)، وأما البلديون فلم يعطوا شيئاً وأمرني السلطان أن اتولى النظر في مقبرة السلطان قطب الدين الذي تقدم ذكره (113) وكان السلطان يعظم تربته تعظيماً شديداً لأنه كان خديماً له، ولقد رأيته إذا أتى قبره يأخذ نعله فيقبله ويجعله فوق رأسه.

428/3

وعادتهم أن يجعلوا نعل الميت عند قبره فوق متكة، وكان إذا وصل القبر خدم له كما كان يخدم أيام حياته، وكان يعظم زوجته ويدعوها بالأخت وجعلها مع حرمه، وزوجها بعد ذلك لابن قاضي مصر، واعتنى به من أجلها وكان يمضي لزيارتها في كل جمعة.

ولما خرج السلطان بعث عنا للوداع فقام ابن قاضي مصر فقال : أنا لا أودع ولا أفارق خوند عالم، فكان له في ذلك الخير فقال له السلطان : امض فتجهز للسفر ! وقدمت بعده للوداع . وكنت أحب الإقامة ولم تكن عاقبتها محمودة ! فقال : مالك من حاجة؟ فأخرجت بطاقة فيها ست مسائل، فقال لي : تكلم بلسانك ! فقلت له : إن خوند عالم أمر لي بالقضاء وما قعدت لذلك بعد، وليس مرادي من القضاء إلا حرمة، فأمرني بالعودة للقضاء وعود الثائبين معي، ثم قال لي : إيه، فقلت : وروضة السلطان قطب الدين ماذا أفعل فيها ؟ فأني رتب فيها أربع مائة وستين شخصاً، ومحصول أوقافها لا يفي بمرتباتهم وطعامهم ؟

429/3

(111) كان يوم تاسع جمادى الأولى من عام 741 يوافق 21 أكتوبر 1341

(112) يعنون بالاعزة الغرباء وهو تعبير حضاري جميل كما أسلفنا III، 98-222-229 الخ.

(113) انظر التعليق الماضي رقم 75

فقال للوزير : بُنْجَاه هُزار، ومعناه خمسون ألفاً، ثُمَّ قَالَ : لَا بَدْلَ لَكَ مِنْ غَلَّةٍ بَدِيَّةٍ، يَعْنِي : أَعْطَاهُ مِائَةَ أَلْفٍ مِّنْ الْمَغْلَّةِ، وَهِيَ الْقَمْحُ وَالْأَرْزُ يُنْفَقُهَا فِي هَذِهِ السَّنَةِ حَتَّى تَأْتِيَ غَلَّةُ الرُّوْضَةِ، وَالْمَنْ عَشْرُونَ رَطْلاً مَغْرِبِيَّةً، ثُمَّ قَالَ لِي : وَمَاذَا أَيْضاً؟ فَقُلْتُ : إِنَّ أَصْحَابِي سَجَنُوا بِسَبَبِ الْقُرَى الَّتِي أُعْطِيتُمُونِي، فَأَبْنِي عَوْضَتُهَا بِغَيْرِهَا، فَطَلَبَ أَهْلُ الدِّيْوَانِ مَا وَصَلَنِي مِنْهَا أَوْ الِاسْتِظْهَارَ بِأَمْرِ خُونَدِ عَالَمٍ أَنْ يَرْفَعَ عَنِّي ذَلِكَ، فَقَالَ : كَمْ وَصَلَكَ مِنْهَا ؟ فَقُلْتُ : خَمْسَةَ أَلْفٍ دِينَارٍ، فَقَالَ : هِيَ إِنْعَامٌ عَلَيْكَ، فَقُلْتُ لَهُ : وَدَارِي الَّتِي أَمَرْتُمْ لِي بِهَا مِفْتَاحَةً إِلَى الْبِنَاءِ، فَقَالَ لِلْوِزِيرِ عِمَارَةَ كُنَيْدٍ، أَيْ مَعْنَاهُ عَمَرُوهَا، ثُمَّ قَالَ لِي : دِيكَرُ نَمَانَدٍ، فَقُلْتُ لَهُ (114) : لَا، مَعْنَاهُ هَلْ بَقِيَ لَكَ كَلَامٌ؟ فَقَالَ لِي : وَصِيَّةٌ دِيكَرُ هَسْتُ مَعْنَاهُ أَوْصِيكَ أَنْ لَا تَأْخُذَ الدِّينَ لِنَاسٍ تُطَلِّبُ فَلَا تَجِدُ مَنْ يَبْلُغُ خَبْرَكَ إِلَيَّ، أَنْفَقَ عَلَى قَدَرٍ مَا أُعْطِيتُكَ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ (115)، وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا (116)، وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يَسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَاماً (117)، فَأَرَدْتُ أَنْ أَقْبَلَ قَدَمَهُ فَمَنْعَنِي، وَأَمْسَكَ رَأْسِي بِيَدِهِ فَقَبَّلْتُهَا وَانْصَرَفَتْ.

430/3

431/3

وَعُدْتُ إِلَى الْحَضْرَةِ فَاشْتَغَلْتُ بِعِمَارَةِ دَارِي وَانْفَقْتُ فِيهَا أَرْبَعَةَ أَلْفٍ دِينَارٍ، أُعْطِيتُ مِنْهَا مِنَ الدِّيْوَانِ سِتْمَايَةَ دِينَارٍ، وَزِدْتُ عَلَيْهَا الْبَاقِي وَبَنَيْتُ بَازَانَهَا مَسْجِداً، وَاشْتَغَلْتُ بِتَرْتِيبِ مَقْبَرَةِ السُّلْطَانِ قُطْبِ الدِّينِ وَكَانَ السُّلْطَانُ قَدْ أَمَرَ أَنْ تُبْنَى عَلَيْهِ قَبَّةٌ يَكُونُ ارْتِفَاعُهَا فِي الْهَوَاءِ مِائَةَ ذِرَاعٍ بِزِيَادَةِ عَشْرِينَ ذِرَاعاً عَلَى اتِّفَاعِ الْقَبَّةِ الْمَبْنِيَةِ عَلَى قَازَانَ مَلِكِ الْعِرَاقِ (118)، وَأَمَرَ أَنْ تُشْتَرَى ثَلَاثُونَ قَرْيَةً تَكُونُ وَقفاً عَلَيْهَا وَجَعَلَهَا بِيَدِي عَلَى أَنْ يَكُونَ لِي الْعِشْرُونَ مِنْ فَائِدِهَا عَلَى الْعَادَةِ.

432/3

ذَكَرَ مَا فَعَلْتُهُ فِي تَرْتِيبِ الْمَقْبَرَةِ

وَعَادَةُ أَهْلِ الْهِنْدِ أَنْ يَرْتَبُوا لَأَمْوَاتِهِمْ تَرْتِيباً كَثَرْتِيبُهُمْ بِقَيْدِ الْحَيَاةِ، وَيُوتِي بِالْقِيلَةِ وَالْخَيْلِ فَتُرْبِطُ عِنْدَ بَابِ التَّرْبَةِ وَهِيَ مَزِينَةٌ، فَارْتَبْتُ أَنَا فِي هَذِهِ التَّرْبَةِ بِحَسَبِ ذَلِكَ وَارْتَبْتُ مِنْ قُرَاءِ الْقُرْآنِ مِائَةَ وَخَمْسِينَ، وَهُمْ يَسْمَوْنَهُمُ الْخُثْمِيِّينَ، وَارْتَبْتُ مِنَ الطُّلَبَةِ ثَمَانِينَ، وَارْتَبْتُ الْإِمَامَ

(114) بَقِيَ مَعَ ذَلِكَ طَلَبَانِ اثْنَانِ، بَيِّدُ أَنْ ابْنَ بَطُوطَةَ - عَلَى مَا يَظْهَرُ - لَمْ يَجْزِ عَلَى مُوَاصَلَةِ الْكَلَامِ. وَهَذِهِ تَهْجِيَةُ الْكَلِمَاتِ الْفَارْسِيَّةِ حَسَبَ إِفَادَةِ كَيْبِ Gilbb
digar hast

(115) السُّورَةُ 17، آيَةُ 29.

(116) السُّورَةُ 7، آيَةُ 31.

(117) السُّورَةُ 25، آيَةُ 67.

(118) قَازَانَ هَذَا يَوْجَدُ قَبْرَهُ فِي ضَوَاحِي تَبْرِيزِ... 148 II 115-129-144.

والمؤذنين والقراء بالأصوات الحسان، والمداحين وكتّاب الغيبة والمعرفين، وجميع هؤلاء يعرفون عندهم بالآرباب ورثت صنفاً آخر يعرفون بالحاشية وهو الفَراشون والطباخون والوداوية والأبدارية، وهم السقاؤون والشريدارية الذين يسقون الشربة، والتنبول دارية الذين يعطون التنبول والسلحدارية والنيزدارية والشطردارية والطشت دارية والحجاب والنقباء، فكان جميعهم أربعمئة وستين.

433/3

وكان السلطان أمر أن يكون الطعام بها، كل يوم اثني عشر مناً من الدقيق، ومثلها من اللحم فرأيت أن ذلك قليل، والزرع الذي أمر به كثيراً، فكنت أنفق كل يوم خمسة وثلاثين مناً من الدقيق، ومثلها من اللحم مع ما يتبع ذلك من السكر والنبات والسمن والتنبول وكنت أطعم المرتبين وغيرهم من صادر ووارد، وكان الغلاء (119) شديداً فارتفق الناس بهذا الطعام وشاع خيره.

434/3

وسافر الملك صبيح إلى السلطان بدولة أباد فسأله عن حال الناس، فقال له : لو كان بهلي اثنان مثل فلان لما شكى الجهد ! فاعجب ذلك السلطان، وبعث اليّ بخلعة من ثيابه، وكنت أصنع في المواسم، وهي العيدان والمولد الكريم (120) ويوم عاشوراء وليلة النصف من شعبان، ويوم وفاة السلطان قطب الدين مائة من من الدقيق ومثلها لحماً، فيأكل منها الفقراء والمساكين، وأما أهل الوظيفة فيجعل أمام كل إنسان مهم ما يخصه، ولنذكر عاداتهم في ذلك

435/3

• ذكر عاداتهم في اطعام الناس في الولايم.

وعاداتهم ببلاد الهند وببلاد السرا (121) أنه إذا فُرج من أكل الطعام في الوليمة جُعل أمام كل إنسان من الشرفاء والفقهاء والمشايخ والقضاة وعاءٌ شبه المهد له أربع قوائم منسوج سطحه من الخوص وجعل عليه الرقاق ورأس غنم مشوي وأربعة أقراص معجونة بالسمن مملوءة بالحلواء الصابونية (122) مُغطاة بأربع قطع من الحلواء كأنها الآجر، وطبقاً صغيراً مصنوعاً من الجلد فيه الحلواء والسמושك ويغطى ذلك الوعاء بثوب قطن جديد، ومن كان

(119) يتعلق الأمر بالقسط الكبير الذي ابتداء عام 736=1336 يراجع التعليق رقم 39 من هذا الفصل.

(120) يلاحظ الاهتمام بعيد المولد الذي كان من المستحدثات الحسنة في المغرب والمشرق في تلك الفترة من التاريخ - د. التازي - لماذا عيد المولد في المغرب الاسلامي دعوة الحق، دجنبر 1989.

(121) حول السرا عاصمة خان قفجق... انظر II، 446-450-449-450.

(122) الصابون القصد إلى حلواء تصنع من الزيت والسمن. والنشاء واللوز والعسل III، 421.

دون من ذكرناه جعل أمامه نصف رأس غنم ويسمونه الزَّلَّة (123)، ومقدار النصف ممّا ذكرناه، ومن كان دون هؤلاء أيضا جعل أمامه مثل الربع من ذلك، ويرفع رجال كل أحد ما جعل أمامه.

436/3

وأول ما رأيتهم يصنعون هذا بمدينة السرا حضرة السلطان أوزبك، فامتعت أن يرفع رجالي ذلك إذ لم يكن لي به عهد، وكذلك يبعثون أيضا لدار كُبراء الناس من طعام الولائم

ذكر خروجي إلى هَرَار أمروها

وكان الوزير قد اعطاني من الغلة المأمور بها للزاوية عشرة آلاف من، ونفذ لي الباقي في هَرَار (124) أمروها، وكان والي الخراج بها عزيز الخمار (125)، وأميرها شمس الدين الينخشاني فبعثت رجالي فاخذوا بعض الإحالة، وتشكّوا من تعسف عزيز الخمار فخرجت بنفسي لاستخلص ذلك، وبين دهلي وهذه العمالة ثلاثة أيام، وكان ذلك أوان نزول المطر (126)، فخرجت في نحو ثلاثين من أصحابي واستصحبت معي اخوين من المغنيين المحسنين يغنيان لي في الطريق! فوصلنا إلى بلدة بَجَنُور (127) وضبط اسمها بكسر الباء الموحدة وسكون الجيم وفتح النون وآخره راء، فوجدت بها أيضا ثلاثة أخوة من المغنيين فاستصحبتهم فكانوا يغنون لي نوبة والآخران نوبة!

437/3

ثم وصلنا إلى أمروها، وهي بلدة صغيرة حسنة، فخرج عمالها للقائي وجاء قاضيها الشريف أمير علي وشيخ زاويتها وأضافاني معاً ضيافة حسنة، وكان عزيز الخمار بموضع يقال له أفغان بُور على نهر السَرُو (128)، وبيننا وبينه النهر، ولا معدية فيه، فأخذنا الانتقال في معدية صنعناها من الخشب والتبّات وجزنا في اليوم الثاني وجاء نجيب أخو عزيز في جماعة من أصحابه وضرب لنا سراجة، ثم جاء أخوه إليّ الوالي، وكان معروفا بالظلم، وكانت القرى التي في عمالته ألفاً وخمسمائة قرية، ومجباها سنون لكأ في السنة، له فيها نصف العشر، ومن عجائب النهر الذي نزلنا عليه أنّه لا يشرب منه أحد في أيام نزول المطر

438/3

(123) الزَّلَّة تعني الطعام الخفيف الذي يمكن أن يحمله المرء معه.

(124) إقليم أمروها (Amroha)، على بعد 130 كم شرق دهلي.

(125) ظهر هذا الشخص لأول مرة مشهورا بابتزازه ونهبه في إقليم أمروها يراجع التعليق رقم 61 من هذا الفصل

(126) من المحتمل أن يكون هذا تمّ في يونيو 1336...

(127) بَجَنُور (BINJOR) إقليم يحمل نفس الاسم، يقع شمال أمروها.

(128) كلمة السَرُو (SARU) التي تعني أعالي غاغرا (Ghaghra)، (تعليق 49) يظهر هنا أنها تعني الكانج

ولا تسقى منه دابة، ولقد أقمنا عليه ثلاثاً فما غرف منه أحد غرفة ولا كدنا نقرب منه لأنه ينزل من جبل قراجيل (129) التي بها معادن الذهب، ويمر على الخشاش المسمومة فمن شرب منه مات (129).

وهذا الجبل متصل مسيرة ثلاثة أشهر، وينزل منه إلى بلاد تُبَت حيث غزلان المسك، وقد ذكرنا ما اتفق على جيش المسلمين بهذا الجبل، وبهذا الموضع جاء إلي جماعة من الفقراء الحيدرية وعملوا السماع واوقدوا النيران فدخلوها ولم تضرهم، وقد ذكرنا ذلك (130).

وكانت قد نشأت بين أمير هذه البلاد شمس الدين البذ خشاني وبين واليها عزيز الخمار منازعة وجاء شمس الدين لقتاله، فامتنع منه بداره وبلغت شكاية أحدهما الوزير بداهلي، فبعث إلي الوزير وإلى الملك شاه أمير الممالك بأمرها، وهم أربعة آلاف مملوك للسلطان، وإلى شهاب الدين الرومي أن ننظر في قضيتهما، فمن كان على الباطل بعثناه مثقفا إلى الحضرة، فاجتمعوا جميعاً بمنزلي وادعى عزيز على شمس الدين دعاوي منها أن خديماً له يعرف بالرّضى الملتاني نزل بدار خازن عزيز المذكور، فشرب بها الخمر وسرق خمسة آلاف دينار من المال الذي عند الخازن، فاستفهمت الرّضى عن ذلك، فقال لي: ما شربت الخمر منذ خروجي من ملتان، وذلك ثمانية أعوام، فقلت له: أوشربتها بملتان؟ قال نعم! فأمرت بجلده ثمانين وسجنته بسبب الدعوى للوث ظهر عليه.

وانصرفت عن أمورها فكانت غيبتي نحو شهرين، وكنت في كل يوم اذبح لأصحابي بقرة وتركت أصحابي لياتوا بالزرع المنقذ على عزيز، وحمله عليه، فوّرّع على أهل القرى التي لنظره ثلاثين ألف من يحملونها على ثلاثة آلاف بقرة، وأهل الهند لا يحملون إلا على البقرة وعليه يرفعون أثقالهم في الأسفار، وركوب الحمير عندهم عيب كبير وحميرهم صغار الأجرام يسمونها اللاشة (131)، وإذا أرادوا إشهار أحد بعد ضربه أركبوه الحمار!

ذكر مكرمة لبعض الأصحاب

وكان السيد ناصر الدين الا وهري قد ترك عندي لما سافر ألفا وستين تنكة فتصرفت فيها، فلمّا عدت إلى دهلي وجدته قد أحال في ذلك المال خذاوند زادة قوام الدين، وكان قدم نائباً عن الوزير، فاستقبحت أن أقول له: تصرفت في المال، فأعطيته نحو ثلثه، وأقمت بداري أياماً.

(129) انظر II 6 III، 325-438 - يلاحظ كيب أنه لا يوجد ذهب في الهيمالايا

(130) يراجع حديث ابن بطوطة في II، 6-7 - حول التُّبَت انظر ج IV، 216 وانظر معجم البلدان.

(131) تعبير فارسي يعني الجثة والهيكل.

وشاع عني أنني مرضت، فأتى ناصر الدين الخوارزمي صدر الجهان لزيارتي فلما رءاني قال : ما أرى بك مرضاً، فقلت : إني مريض القلب ! فقال لي : عرفني بذلك ! فقلت له : ابعت إليّ نائبك شيخ الاسلام اعرفه به، فبعته إليّ فاعلمته، فعاد إليه فأعلمه، فبعث إليّ بألف دينار دراهم، وكان له عندي قبل ذلك ألف ثمان ثم طلب مني بقية المال، فقلت في نفسي : ما يخلصني منه إلا صدر الجهان المذكور لأنه كثير المال، فبعثت إليه بفرس مسرج قيمة سرجه ألف وستماية دينار، وبفرس ثمان قيمة سرجه ثمانمائة دينار وببغلتين قيمتهما ألف ومايتا دينار، وبتركش فضة وبسيوفين غمدهما مغشيان بالفضة، وقلت له : انظر قيمة الجميع وابعت إليّ ذلك، فأخذ ذلك وعمل لجميعه قيمة ثلاثة آلاف دينار، فبعث إليّ ألفاً واقطع الألفين، فتغير خاطري، ومرضت بالحمى، وقلت في نفسي : إن شكوت به إلى الوزير افتضحت، فأخذت خمسة أفراس وجاريتين ومملوكين، وبعثت الجميع للملك مغيث الدين محمد بن ملك الملوك عماد الدين السمناني، وهو فتى السن، فرد عليّ ذلك وبعث إليّ مايتي تنكة واعتذر وخلصت من ذلك المال، فشتان بين فعل محمد ومحمد !

442/3

443/3

ذكر خروجي إلى محلة السلطان.

وكان السلطان لما توجه إلى بلاد المغير وصل إلى التلّك ووقع الوياء بعسكره فعاد إلى دولة آباد، ثم وصل إلى نهر الكنك فنزل عليه، وأمر الناس بالبناء، وخرجت في تلك الأيام إلى محلّته واتفق ما سردناه من مخالفة عيّن (132) الملك، ولأزمت السلطان في تلك الأيام وأعطاني من عتاق الخيل لما قسمها على خواصه، وجعلني فيهم وحضرت معه الواقعة على عيّن الملك والقبض عليه وجزت معه نهر الكنك ونهر السرو لزيارة قبر الصالح سالار عود، وقد استوفيت ذلك كله، وعدت معه إلى حضرة دهلي لما عاد إليها.

444/3

ذكر ما هم به السلطان من عقابي وما تداركني من لطف الله تعالى

وكان سبب ذلك أنني ذهبت يوماً لزيارة الشيخ شهاب الدين بن الشيخ الجام بالغار الذي احتفراه خارج دهلي (133).

وكان قصدي رؤية ذلك الغار، فلما أخذه السلطان سأل أولاده عمّن كان يزوره فذكروا ناساً أنا من جملتهم، فأمر السلطان أربعة من عبيده بملازمتي بالمشور.

445/3

(132) يراجع III 342-344-350.

(133) لقد عرض ابن بطوطة نفسه للخطر عندما كان يعتقد أن السلطان سينسى استخفاف الشيخ شهاب الدين بقوته وتحذيه له !! يراجع III، 294-295.

وعادته أنه متى فعل ذلك مع أحد قلماً يتخلص. فكان أول يوم من ملازمتهم لي يوم الجمعة فآلهمني الله تعالى إلى تلاوة قوله : حسينا الله ونعم الوكيل (134)، فقرأتها ذلك اليوم ثلاثة وثلاثين ألف مرة، وبث بالمشور وواصلت إلى خمسة أيام، في كل يوم منها اختتم القرآن وافطر على الماء خاصة، ثم افطرت بعد خمس وواصلت أربعاً وتخلصت بعد قتل الشيخ والحمد لله تعالى¹

ذكر انقباضي عن الخدمة وخروجي عن الدنيا.

ولما كان بعد مدة انقبضت عن الخدمة ولازمت الشيخ الإمام العالم العابد الزاهد الخاشع الورع فريد الدهر ووحيد العصر كمال الدين عبد الله الغاري وكان من الأولياء، وله كرامات قد ذكرت منها ما شاهده عند ذكر اسمه (135)، وانقطعت إلى خدمة هذا الشيخ ووهبت ما عندي للفقراء والمساكين!

4-16/3

وكان الشيخ يواصل عشرة أيام وربما واصل عشرين، فكنت أحب أن أواصل فكان ينهاني ويأمرني بالرفق على نفسي في العبادة ويقول لي : إِنَّ الْمُنْبِتَ لَا أَرْضًا قَطَع وَلَا ظَهراً أَبْقَى، (135) وظهر لي من نفسي تكاسل بسبب شيء بقي معي، فخرجت عن جميع ما عندي من قليل وكثير وأعطيت ثياب ظهري لفقير ولبست ثيابه، ولزمت هذا الشيخ خمسة أشهر والسلطان إذ ذاك غائب ببلاد السند

4-17/3

ذكر بعث السلطان عني وإبائتي عن الرجوع إلى الخدمة واجتهادي في العبادة.

ولما بلغ السلطان خبر خروجي عن الدنيا استدعاني، وهو يومئذ بسيوستان (136)، فدخلت عليه في زي الفقراء، فكلمني أحسن كلام وأطفه، وأراد مني الرجوع إلى الخدمة فأبيت وطلبت منه الإذن في السفر إلى الحجاز، فأذن لي فيه وانصرفت عنه، ونزلت بزاوية

(134) السورة 3، الآية 167

(135) انظر III، 160-161 مقولة ذكّية سائرة وقد نسبها بعضهم للرسول عليه الصلوات لكن الذي ذكره ابن منظور في لسان العرب أنها لمطرف (ابن الشخير) المشهور بمقالاته في الحكمة ووردت كذلك في كتاب الأمثال للميداني... وتضرب مثلاً لتبنيه للذين يحاولون أن يقضوا أغراضهم بسرعة دون ما تريث كنت أجعلها نصب عيني وأنا أقدم على بعض أعمالي وقد ترجمت هكذا

¹ Certes, celui qui veut aller vite et devancer les autres, ne fait pas de chemin et ne salue point de monture

(136) سيوستان (SEIHWAN) على نهر السند شمال حيدر آباد، محمد ابن تغلق كان يوجد بالسند في أعقاب ثورة الملك شاهوودي - راجع بداية هذا الفصل الخاص بمملكة محمد ابن تغلق.

تعرف بالنسبة إلى الملك بشير، وذلك في أواخر جمادى الثانية سنة ثنتين وأربعين (137)، فاعتكفت بها شهر رجب وعشراً من شعبان، وانتهت إلى مواصلة خمسة أيام وافطرت بعدها على قليل أرز دون إدام، وكنت أقرأ القرآن كل يوم واتهجد بما شاء الله، وكنت إذا أكلت الطعام أذاني، فإذا طرحته وجدت الراحة، وأقمت كذلك أربعين يوماً ثم بعث عني ثانية.

448/3

ذكر ما أمرني به من التوجه إلى الصين في الرسالة

ولما كملت لي أربعون يوماً بعث إليّ السلطان خيلاً مسرجةً وجواري وغلماناً وثياباً ونفقةً فلبست ثيابه وقصدته، وكانت لي جبة قطن زرقاء مبطنة لبستها أيام اعتكافي فلمّا جرّدتها ولبست ثياب السلطان أنكرت نفسي ! وكنت متى نظرت إلى تلك الجبة أجد نوراً في باطني، ولم تزل عندي إلى أن سلبني الكفار في البحر. ولما وصلت إلى السلطان زاد في إكرامي على ما كنت أعهده، وقال لي : إنّما بعثت إليك لتوجه عني رسولاً إلى ملك الصين فأبني أعلم حبك في الأسفار والجولان، فجهّزني بما احتاج له وعين للسفر معي من يذكر بعد (138).

449/3

(137) 742 = دجنبر 1341.

(138) هنا فقط شعر الناشران D.S. بالحاجة إلى الاتيان بالنص الكامل لما قاله ابن خلدون في مقدمته عن رحلة ابن بطوطة وتناجي الناس بتكذيبه مما بسطته بإسهاب في المقدمة وسنذكره في ملاحق هذا التأليف.

فهرس موضوعات المجلد الثالث

الموضوع	الصفحة
الفصل التاسع : آسيا الوسطى	3
الاتجاه إلى خوارزم عبر سراجوق	7
الحديث عن خوارزم : أكبر مدن الأتراك	9
الحديث عن امبرها قطلوڤمور	12
مغادرة خوارزم إلى بخارى	15
ذكر أولية التتر وتخريبهم لبخارى وسواها	21
الاجتماع بالسلطان طرُمشيرين سلطان ماوراء النهر... والحديث عن فضائله	27
الاتجاه إلى مدينة سمرقند والحديث عن مكارم أهلها	35
أهمية زيت السمسم كدهن ومادة إحراق	40
سلطان هرات حسين بن السلطان غياث الدين	46
إلى مدينة طوس وهي من أكبر بلاد خراسان	52
مدينة مشهد	52
المقارنة بين مدارس خراسان ومدرسة أبي عنان	56
من نيسابور إلى مدينة بسطام	57
في مدينة غزنة بلد السلطان محمود بن سيُكْتِكِين...	61
مدينة كابل التاريخية	63
نهاية السفر الأول في الرحلة	65
الفصل العاشر : الطريق إلى دهلي	67
بداية السفر الثاني من الرحلة والحديث عن البريد في الهند	71
حديث عن الكركدن	75
مركز الفيل في الهند كاداة تنقل وعلامة رفاه...	77
السفر في نهر السند والترتيب في ذلك	82
في مدينة ملتان عاصمة السند مع أميرها قطب الملك	89
التزام بن بطوطة بشروط الإقامة في الهند والتحضير للسفر إلى دهلي...	92
ذكر أشجار بلاد الهند وفواكهها	94
ذكر الحبوب التي يزرعها أهل الهند...	96
ابن بطوطة يشهد أول غزوة في بلاد الهند	98
ذكر أهل الهند الذي يحرقون أنفسهم بالنار !	101
الوصول إلى العاصمة : دهلي ووصفها	105
سور دهلي وأبوابها	106
جامع دهلي	108
ذكر الحوضين العظيمين بخارجها	113

الصفحة	الموضوع
114	ذكر مزاراتها وبعض رجالها
117	الفصل الحادي عشر : فتح دهلي ومن تداولها من الملوك
120	ذكر السلطان شمس الدّين للْمِش وابنه ركن الدّين
121	ذكر السلطنة رضية
123	ذكر السلطان غياث الدّين بَلْبَن
125	ذكر السلطان معز الدّين حفيد بَلْبَن
126	ذكر السلطان جلال الدّين
129	ذكر السلطان علاء الدّين محمد شاه الخلجي وابنه شهاب الدّين
133	ذكر السلطان قطب الدّين ابن علاء الدين
136	ذكر السلطان خسروخان ناصر الدّين
138	ذكر السلطان غياث الدّين تغلق شاه
145	الفصل الثاني عشر : السلطان محمد ابن تغلق
149	الحديث عن محمد تغلق باسهاب
150	ذكر أبواب قصره ومشوره وترتيب ذلك
152	ذكر جلوسه للناس وأنه على نحو جلوس الإنسان للتشهاد !
155	كيف يستقبل الغرباء وأصحاب الهدايا
157	ذكر خروجه للعديد... ودور الفيل في هذه المراسم
164	وصف المبخرة العظمى والسريّر الأعظم...
164	ترتيبه عند العودة من السفر ونثره للمستقبلين بالدنانير !
164	ترتيب الطّعام الخاصّ والعام
167	ذكر بعض أخباره في الجود والكرم
167	عطاؤه للكايزروني والترمذي والأرنؤيلي
173	عطاؤه لحاجي كاوين ابن عم السلطان أبي سعيد بهادور
174	قدوم ابن «ال خليفة» من مصر وأخبار هذا الأخير في الهند : بخله وشحه !
178	ما أعطاه للأمير سيف الدّين غدا حفيد مهنا أمير عرب الشام
178	زواج الأمير سيف الدّين بأخت السلطان وما جرى في ذلك
181	تغيّر السلطان على الأمير سيف الدّين وسجنه
182	تزويج السلطان بنتي وزيره لابني قوام الدّين...
183	ذكر تشدّد السلطان في إقامة الصلاة وأحكام الشرع
185	ذكر فتكات هذا السلطان وما ينقم من أفعاله...
186	ذكر تغذيّه للشيخ شهاب الدّين وإطعامه رطلين ونصف الرطل من العذرة !!
188	ذكر قتله للفقير الدّين...
189	ذكر قتله للشيخ هود... والشيخ الحيدري

الصفحة	الموضوع
193	ذكر تخريبه لدهلي ونفي أهلها والإجهاز على العُمي والمقعدين ^١
195	الفصل الثالث عشر : تاريخ مملكة محمد ابن تغلق
199	ذكر مادشمن به أمر ولايته
199	الحديث عن الثورات التي شبت ضد السلطان... وموقفه
204	ذكر ماحل بجيشه قرب جبال الهيمالايا...
206	ثورة الأمير هلاجون بمدينة لاهور...
208	الارجاف بموت السلطان وهو في دولة أباد
210	تمرد نائب السلطان ببلاد الكنك
211	تنقل السلطان إلى نهر الكنك... وثورة الأمير عين الملك
215	عودة السلطان إلى العاصمة وتمرد علي شاه كر
217	فرار أمير بخت وتمكن السلطان من القبض عليه...
218	تمرد شاه أفغان بأرض السند وتوالي الثورات
220	خروج السلطان بنفسه إلى كنباية
222	الفلاء الذي حلّ بالهند وأثره على تدهور الأوضاع
223	ابتداء ابن بطوطة في الحديث عن ظروف وصوله إلى البلاط الهندي والسلطان غائب عن العاصمة...
224	حديثه عن والدته السلطان وذكر فضائلها وماكان من أمر ضيافته
226	الخبر عن وفاة ابنة الرحالة المغربي وماقاموا به من مبادرات بهذه المناسبة
228	إحسان الوزير أثناء غياب السلطان
229	قدوم السلطان واستقباله لابن بطوطة
230	الحوار الهام بين سلطان الهند الذي سأل الرحالة : هل أنت من بلاد عبد المؤمن ؟
232	توالي ضروب التكريمات على ابن بطوطة من سائر أعوان الدولة...
235	ابن بطوطة يقول الشعر في سلطان الهند
237	دعوة ابن بطوطة للقيام برحلة صيد مع السلطان...
240	عمل ابن بطوطة على أن يظهر بالمظهر المشرف تجاه السلطان...
242	أمر السلطان لابن بطوطة بالإقامة في العاصمة وتكليفه ببعض المهام
247	تغير السلطان على ابن بطوطة بسبب زيارة هذا لبعض المعارضين !!
248	إعراض ابن بطوطة عن الدنيا والحاح السلطان على عودته للحياة العادية
249	أمر السلطان له بالتوجه سفيراً إلى الصين.

فهرس الرسوم والصور بالمجلد الثالث

الصفحة	الرسم أو الصورة
5	خريطة آسيا الوسطى
8	الجمل سفينة الصحراء
18	مدينة الأمراء المحصنة
19	منارة في بخارى
21	جنكيز خان - جندي مغولي
23	جامع بلخ الذي خرب به جنكيز خان بحثاً عن المال
25	قبرية الإمام البخاري
36	مدينة سمرقند : المدرسة
39	الصفحة الأخيرة من كتاب المنظومة الخلافية بين الفقهاء الأربعة
41	ضريح تيمورلنك في سمرقند
45	ضريح عكاشة في بلخ والمسجد الجامع في هرات
53	مشهد الإمام الرضا : خراسان
54	لقطة أخرى من مشهد
62	لقطة من غزنة، منارة مسعود الثالث
64	منارة جام في أفغانستان
69	خريطة الطريق إلى الهند
73	نهر السند
74	يحملون الرجل المطلوب على سرير ليبلغوه فوراً لمن طلبه
76	الكركدن يسميه القزويني كركد
78	موكب السلطان على الفيل
80	من مدينة سيوستان
83	المنجنيق
86	التمثيل...
89	ملتان التي كانت عاصمة السند
92	العنبة : المانكو
98	أول غزوة شهدها ابن بطوطة بالهند
102	عن الأرامل اللاتي يحرقن أنفسهن ! بريشة ليون بينييط...
106	القصر الملكي في دهلي
108	العمود بوسط الجامع - لقطة أخرى للعمود
110	صحن الجامع...
111	صومعة جامع دهلي...
120	التفوذ الإسلامية في بلاد السند والهند منذ عهد أئتك
128	رسم مع الحريم

الصفحة	الرسم أو الصورة
131	المحتسب يسهر على صحة المواطن
135	جامع دولة أباد
144	ضريح السلطان غياث الدين تغلق شاه
145	مشور ألف سارية
151	جدران (تغلق أباد) في الهند
153	جلوس السلطان للناس - عن المكتبة الوطنية بباريز رقم M39304
154	من خيول السلطان...
156	الفيل بريشة فاتحة عمر بوستة
161	السُرير الأعظم الذي يحمل على أكتاف العبيد
163	الطرب في حضرة السلطان...
165	صورة ماذبة عن المكتبة الوطنية بباريز رقم M39326
171	وقطعوا رأسه وبعثوا به إلى سليمان - عن المكتبة الوطنية بباريز رقم M39324
190	السلطان راكب على الدولة أي المحفة
200	نقود إسلامية أخرى من بلاد السند والهند
203	إحدى المعارك - عن المكتبة الوطنية بباريز رقم M39688
207	لقطات من مدينة لاهور
216	استعمال الفيل كوسيلة للفتك بأهل الجرائم III 354
231	علامة الخليفة عبد المومن - قيراط مومني ضرب بسببة من مدينة (مافرا) جنوب البرتغال
238	رحلة صيد عن المكتبة الوطنية بباريز رقم M39302

يضم هذا الكتاب أخبار رحلات ابن بطوطة المسمّاة تحفة النظار في غرائب الأمصار. وهذه الرحلات التي تبين أن ابن بطوطة برحلاته هذه إنما يمثل المواطن الإسلامي الذي طاف أرجاء العالم الإسلامي في القرن الثامن الهجري بدافع المغامرة والتجارة أو حب الرحلة المجرد، سيبقى دليلاً على وحدة الشعور الإسلامي أيامها في أمصار الإسلام المتعددة، حيث قدم من خلال رحلته هذه كثيراً من المعلومات التاريخية عن مناطق معروفة، ومناطق أخرى في الشرق الأقصى وفي بعض مجاهل أفريقيا، لم تكن معرفتها واسعة الانتشار إن لم تكن معدومة أحياناً. من هذا المنطلق يسعى المحقق إلى إبراز هذه الهدف من خلال كتابه هذا.

على مولا

ISBN 978-9933-407-05-6

